

سلسلة دراسات في علوم القرآن (١)

المنطق في علوم القرآن

تأليف

د. طه عابدين طه

الأستاذ المساعد ورئيس قسم الدراسات القرآنية
كلية المعلمين - حماة

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ

دار الأندلس للنشر والتوزيع
حماة

دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

طه، طه عابدين

المنتقى في علوم القرآن / طه عابدين طه - حائل ، ١٤٢٤هـ

٣٣٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٩٩٦٠-٧٨٦-٨٨-٩

١- علوم القرآن

١- العنوان

١٤٢٤/٥٧٠٠

ديوي ٢٢٠

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٥٧٠٠

ردمك : ٩٩٦٠-٧٨٦-٨٨-٩

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

لا يجوز استنساخ الكتاب أو أي جزء منه بأي طريقة كانت سواء بالتصوير

أو بالتخزين إلا بإذن خطي من الناشر

تم الإخراج الفني للكتاب

بقسم الجمع التصويري بدار الأندلس للنشر والتوزيع - حائل



دار الأندلس للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - حائل ت الإدارة / ٥٣٢٥٦٤٥ فاكس ٥٣٢٥٦٤١ ص ب ٢٠١٧ المكتبة الرئيسية
حي المطار شارع رشيد الليلاء ت ٥٣٣٣٤١ فرع حوار الساعة ت ٥٣٣٣٧٠٠ المستودع / ٥٤٣٠٣٧٣

سلسلة دراسات في علوم القرآن (١)

المنطق في علوم القرآن

تأليف

د. طه عابدين طه

الأستاذ المساعد ورئيس قسم الدراسات القرآنية
كلية المعلمين، حائل

الطبعة الأولى

٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ

دار النشر
حائل

دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

طه، طه عابدين

المنتقى في علوم القرآن / طه عابدين طه - حائل ، ١٤٢٤هـ

٣٣٠ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٩-٨٨-٧٨٦-٧٩٦٠

١- علوم القرآن

١- العنوان

١٤٢٤/٥٧٠٠

ديوي ٢٢٠

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٥٧٠٠

ردمك : ٩-٨٨-٧٨٦-٧٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

لا يجوز استنساخ الكتاب أو أي جزء منه بأي طريقة كانت سواء بالتصوير

أو بالتخزين إلا بإذن خطي من الناشر

تم الإخراج الفني للكتاب

بقسم الجمع التصويري بدار الأندلس للنشر والتوزيع - حائل



دار الأندلس للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - حائل ت الإدارة / ٥٣٢٥٦٤٥ فاكس ٥٣٢٥٦٤١ ص ب ٢٠١٧ المكتبة الرئيسية

حي المطار شارع رشيد الليلاء ت ٥٣٣٣٤١ فرع دوار الساعة ت ٥٣٣٣٧٠٠ المستودع / ٥٤٣٠٣٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة الكتاب

الحمد لله الذي أنار لنا الطريق بنوره المبين، وهدانا إلى صراطه المستقيم ،
إلى طريق الهدى واليقين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، وآله الطاهرين،
وصحبه الطيبين، ومن سار على نهجهم إلى يوم البعث والدين .
أما بعد :

فإن أولى ما ينبغي أن تصرف فيه نفائس الأوقات ، وتبذل فيه
أقوى وأعز الطاقات ؛ الاشتغال بتعلم وتعليم هذا الكتاب العزيز تلاوة ،
وفهماً، وعملاً، ودعوةً، خاصة العلوم الموصلة لحكمه ، والميسرة لفهمه ،
والهادية إلى نوره ، والتي من أبرزها وأعلاها وأنفعها مادة " علوم القرآن
الكريم " التي هي أساس لفهمه وتدبره وفق منهج سليم، وأساس صحيح .
وقد ترددت كثيراً في الكتابة حول مواضيع هذه المادة ، ولكن بعد
سنوات مباركة مضت بين الدراسة والتدريس ؛ والمطالعة المستمرة في
المصادر والمراجع ، والقراءة المتواصلة في الكتب والرسائل رأيت أن أقدم
جهدي المتواضع هذا وذلك بعد استخارة الله ، واستعانة به دائمة أن
يكتب لي التوفيق والسداد والقبول لهذا العمل ، وأن يكون نافعاً مباركاً؛
شرح الله صدري ، وقوى عزمي ، خاصة وكان الرجاء في نيل شرف
خدمة هذا الكتاب المجيد ؛ الذي يتشرف بخدمته كل مسلم هو أعظم
الأسباب التي دفعتني من دواخلي .

وحين أردت أن أكتب في هذه المباحث سألت نفسي ما الجديد الذي سأضيفه في علم أرسى مبادئه ، ووضح معالمه جهابذة العلماء ؟ ولكن عرفت في أثناء مطالعتي أن جهود البشر ناقصة تحتاج في كل زمان إلى من يكملها ، ليبقى الكمال لله وحده ، والعصمة لرسوله ، ويكون الباب مفتوحاً لكل من يقبل على خدمة كتابه العزيز .

كما أن كتابات السلف بعضها قد جاءت طويلة تحتاج إلى من يختصرها ، وبعضها اختصرت لظروف لم تمكن مؤلفيها من بسطها ، تحتاج إلى من يفصل فيها ويحققها ويزيد عليها ، كما أن بعض الأدلة التي استندوا إليها تحتاج إلى من يخرجها ويحكم عليها ، ويبين الضعيف من الصحيح الذي ورد فيها ، وقد ضمت بعض الكتابات عقائد منحرفة مخالفة لأهل السنة والجماعة اقحموها في مباحث هذه المادة تحتاج إلى من يستخلصها وينبه عليها لأن بعضهم تأثروا بالعصور والبيئة التي عاشوا فيها ، خاصة الأشاعرة والمعتزلة منهم ، وفق ذلك نجد أن بعض تلك الكتابات القيمة قد خلت من التبويب والترتيب تحتاج إلى صياغة جديدة يستفاد فيها من تطور مناهج البحث العلمي وطرقه في تسهيلها وحسن عرضها وتقسيمها وتبويبها ، لأننا نعيش في زمان غير زمانهم ، ونكتب لجيل غير جيلهم ، والناس أشبه بزمانهم من شبههم بأبائهم ، كما أن لكل كاتب أهدافه الخاصة التي يفرضها عليه زمانه بوقائع أحداثه ، لذا ميّزت هذه الكتابة بميزات هي روحها ورونقها وجديدها أبرزها ما يلي :

١- أبرزت من خلال كتابة هذه المباحث مكانة القرآن وقيّمه ، بما يزرع اليقين في القارئ والمتعلم ، ويدرك عظمة هذا الكتاب المبين وفضله ، ويدفعه إلى تعلمه ، ودفع كل شبهة وريب من قلبه تبعده عن نوره وهداه ، وذلك لأنني رأيت قلباً قد تمالكها الهوى ، ونفوساً قد تصاغرت من ارتكاب الردى حتى نستطيع أن نصل من خلال نسق هذه الكلمات ونسجها إلى إحياء جيل يحى بالقرآن وللقرآن ، إذ هو روح الحياة وماؤها ونورها ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] .

٢- أصّلت كل قول بدليله ، ولا أذكر دليلاً إلا إذا كان صحيحاً ، ووجه الاستدلال به قوياً ، وكان مناسباً مع مقام التعليم والدعوة ، وقد خرجت أدلة السنة من مظانها وأكثرها قد جاء في الصحيحين ، وما انتقيته من أقوال أهل العلم عزوته إلى مراجعه ومصادره الأصيلة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، وقد انتقيت من أقوالهم أنضجها ، وأرجحها ، ولا أذكر من خلافاتهم إلا ما توفر له قدر من تسديد النظر ، أو بلغ موقعاً من الشهرة ، وجعلت منهجي في مسائل الخلاف بسط أدلة الفريقين ومناقشتها والترجيح بينها على منهج الدليل بما تبين لي أنه الحق والصواب ، فإن أصبت فذاك قصدي وهو من فضل ربي ، وله الحمد على توفيقه ، وإن أخطأت فاستغفر الله من ذنبي ، ورحم الله من هدى إليّ عيبي .

٣- وقد حرصت أن تكون العبارة سهلة ، والألفاظ واضحة وعذبة ، والأفكار متسلسلة ، والشواهد والأمثلة متعددة حرصاً لكسر جفاف أحسست به في أثناء دراستي لهذه المادة في بداية طلي لهذا العلم ، فأرجو الله أن أكون قد وفقتم لما قصدت .

٤- كما أنني بعد أن نظرت في طرائق المؤلفين حول هذه المادة وجدتها اختلفت حسب أهدافهم ومقاصدهم بين من كتب مختصرات ميسرة لمبتدئين ، ومباحث عميقة لاختصاصيين فاعتني بدقائق المسائل وغامضها ومشكلها ، حاولت أن أكتب هذا المنتقى وأجمع فيه مستوى لفئتين مبتدئين ومتقدمين ، لذا أحياناً هنالك نقاط اختصرتها ، وبعضها بسطها ، وهذا من الأمور التي وجدت فيها مشقة ، وذلك لأن الجمع دائماً بين منهجين في الكتابة عزيز . وإن كنت قد ملت في الجزء الأول إلى التيسير ، وفي الجزء الثاني إلى التحقيق ، وقد أعانني في إخراج هذا المنتقى أخوة أفاضل ، استفدتُ من ملاحظاتهم كثيراً ، وكانت لي نوراً وبصيرة ، جزاهم الله خيراً . فهذا هو جهدي ، وقد بينت قصدي ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والحمد لله على نعمه وإحسانه .

المبحث الأول

تعريف علوم القرآن الكريم

تعريف علوم القرآن الكريم

* أولاً: تعريف القرآن الكريم :

أ- في اللغة : اختلفت فيه أقوال العلماء بين أهو مصدر أم وصف ، ومهموز أم غير مهموز ، والذي نختاره على أنه مصدر مهموز على وزن فعلان بالضم كالغفران ، والشكران ، من قرأ يقرأ قراءة ، وقرأناً ، ويشهد لهذا الاختيار ورود القرآن بمعنى القراءة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ * فإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْمِعْ قُرْآنَهُ (١) ، أي قراءته .

فهو مصدر من القراءة بمعنى التلاوة (٢) ، وقد نقل من هذا المعنى المصدري ، وجعل اسماً للكلام المعجز ، المنزل على محمد ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، فأصبح كالعلم الشخصي له .

* ويطلق على الكل قرآن ، كما يطلق على الجزء منه ولو آية واحدة ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣) ، ولذا عندما يقول الفقهاء « يحرم على الجنب قراءة القرآن » ، يقصدون بذلك الكل والجزء منه على حد سواء .

(١) سورة القيامة ، الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٢) القاموس المحيط ، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، مادة

(القرآن) ، ج ١ / ٣٠ .

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٤) .

ب- وفي الاصطلاح: القرآن الكريم أعظم من أن تحده ، أو تحده مصطلحات البشر ذات الفصول والخواص المحددة ، بحيث تصير هذه المصطلحات حداً حقيقياً له ، والحد الحقيقي له هو استحضاره في الذهن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ، أو الإشارة إليه في الحس ، مكتوباً في المصاحف ، ولكن العلماء ذكروا له تعاريف المقصود منها تقريب معناه وتميزه عن غيره ومن أجمعها قولهم بأنه :

(كلام الله ، المنزل على محمد ﷺ ، المتعبد بتلاوته).

١- فكلام الله : خرج كلام غير الله ، ككلام الإنس ، والجن ، كما قال تعالى حاكياً عنهم قولهم : ﴿وَأذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا فَلَئِمًا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١) ، وكلام الملائكة ، كما قال تعالى : ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) .

٢- المنزل : خرج كلام الله غير المنزل ، الذي استأثر به ، لأن كلام الله ﷻ أعظم من أن تحتويه الأوراق ، ويكفيه المداد ولو كانت البحار ، وترسمه

(١) سورة الأحقاف الآيات (٢٩ - ٣١) .

(٢) سورة البقرة الآية (٣٢) .

الأقلام ولو بلغت عدد الأشجار وأزيد ، قال تعالى : ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ حِثًّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٢) .

٣- على محمد ﷺ : خرج ما أنزل على الأنبياء قبله ، كالتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، والزبور المنزل على داود عليه السلام ، والصحف المنزلة على إبراهيم عليه السلام ، وغيرها .

٤- المتعبد بتلاوته : تخرج قراءات الآحاد ، وما نسخ تلاوة وحكماً من الآيات ، والأحاديث القدسية عند من يقول إنها لفظاً ومعناً من عند الله ﷻ ، لأن التعبد بتلاوته معناه القراءة به في الصلاة ، كما قال تعالى : ﴿فَاقْرَأُوا مَا

يُنسَرِّ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٣) ، وما جعل في تلاوته من ثواب خاص ، لا يوجد في قراءة غيره ، إذ الحرف الواحد بعشر حسنات ، كما قال النبي ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »^(٤) .

(١) سورة الكهف الآية (١٠٩) .

(٢) سورة لقمان الآية (٢٧) .

(٣) سورة المزمل الآية (٢٠) .

(٤) رواه الترمذي ، كتاب ثواب القرآن ، باب في ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، ح رقم ٢٩١٢ ، والدارمي في السنن ٢/٤٢٩ ، وقال محقق جامع الأصول ٤٩٨/٨ وهو حديث صحيح .

فالأحاديث القدسية ليس في تلاوتها الثواب الوارد في تلاوة القرآن الكريم، بل يثيب الله عليها ثواباً عاماً غير محدد بهذا الفضل .

ثانياً : الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

قبل أن نعرف الفرق بين القرآن الكريم، والحديث القدسي ؛ لا بد من معرفة الحديث القدسي ، و الحديث والنبوي .

أ- تعريف الحديث النبوي :

* الحديث لغة : ضد القديم ، وهو الجديد ^(١) ، « ويطلق ويراد به كل كلام يتحدث به، وينقل ويبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي، في يقظته أو منامه»، ومن هنا سمي القرآن حديثاً، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا

مَحَدِيثٍ مِّمْلِهِ﴾ ^(٢) وسمي ما يحدث به الإنسان في منامه حديثاً كذلك، كما قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ ^(٣) «^(٤) .

* اصطلاحاً : « ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول ، أو فعل، أو تقرير، أو صفة » . وأضاف بعض الأصوليين أو " هم "

فالقول كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» ^(٥) .

(١) القاموس المحيط ، للفيروز ابادي ، مادة (حدث) ، ج ١/٢٢٢ .

(٢) سورة الطور الآية (٣٤) .

(٣) سورة يوسف الآية (١٠١) .

(٤) انظر مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ص ٢٤، ٢٣ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ح

والفعل : كالذي ثبت عنه ﷺ في تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة والحج ثم قال لهم: « صلُّوا كما رأيتموني أصلي » (١) ، وقال عن الحج « خذوا عني مناسككم » (٢) . والإقرار: وهو أن يقرر النبي ﷺ أمراً علمه عن أحد من أصحابه من قول ، أو فعل ، سواء كان ذلك في حضرته ﷺ ، أو في غيبته ثم بلغه ، مثل ما روي عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية . وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بر « قل هو الله أحد » . فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » ، فسألوه . فقال : لأنها صفة الرحمن . فأنا أحب أن أقرأ بها . فقال رسول الله ﷺ « أخبروه أن الله يجبه » (٣) .

والصفة : كما روي عن النبي ﷺ أنه كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا صخاب ، ولا فحاش ، ولا عياب ، ولا جبان ، ولا بخيل ، ولا عتاب ، ونحو ذلك من الصفات التي عددها العلماء رحمهم الله .

ب- تعريف الحديث القدسي :

* لغة: القدسي، نسبة إلى القدس، وهي نسبة تدل على التطهير، والتنزيه ، والتقدیس ، لأن مادة الكلمة دالة على ذلك . لأن القدس بالضم ، وبضمّتين الطهر، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٤) ،

(١) رواه البخاري ، كتاب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة ، ح رقم ٦٢٩ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الحج، باب استحباب رمي العقبه يوم النحر ركباً ، ح رقم ٢٢٨٦ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) ،

ح رقم ٨١٣ .

(٤) سورة البقرة (٣٠) .

أي نظهر أنفسنا لك، والتقديس: التطهير ، ومنه الأرض المقدسة (١) ،
والقدوس من أسماء الله تعالى: أي الطاهر ، أو المبارك ، كما قال تعالى :
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ﴾ (٢) .

* اصطلاحاً : هو « ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى » ، مثل أن يقول
الراوي : قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى ، أو قال رسول الله ﷺ فيما
يرويه عن ربه .

وقد اختلف العلماء في الحديث القدسي هل هو لفظاً ومعنى من
عند الله ، أو المعنى من عند الله ، واللفظ من عند النبي ﷺ ، والأظهر في
ذلك والله أعلم أن اللفظ من عند النبي ﷺ ، والمعنى من عند الله ﷻ ،
وذلك لأنه لو كان منزلاً من عند الله بلفظه ومعناه لكان له من الحرمة ،
والقداسة ، والأحكام ما للقرآن الكريم ، إذ لا وجه للتفريق بين لفظين
منزليين من عند الله ﷻ ، وكان من لوازم ذلك :

أ- المحافظة على نصوصه بمستوى الحفاظ على نصوص القرآن الكريم .

ب- وحرمة روايته بالمعنى .

ج- ولجاز أن يقرأ به في الصلاة .

د- ولكان له من الأحكام ما للقرآن مثل الطهارة ، والاستعاذة ،
والبسمة ، وكل هذا لم يقل به أحد من أهل العلم .

(١) القاموس المحيط ، للفيروزي ابادي ، مادة (قدس) ، ج ٢/٣٧٣ .

(٢) سورة الحشر الآية (٢٣) .

* أما نسبة روايته إلى الله تعالى فهي نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه ، وهذا شائع في اللغة العربية، حيث ينسب الكلام باعتبار مضمونه؛ لا باعتبار ألفاظه، نحو أن تقول: قال فلان كذا، وتروي مضمون ما قاله ، لا نفس الألفاظ والعبارات ، وقد نقل القرآن مضمون ما قاله نوح ، وإبراهيم ، وعيسى ، وموسى ، بألفاظ غير ألفاظهم ، ونسب ذلك إليهم ، كقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنِّ قَلْبِي﴾ (١) .

وكقوله تعالى عن موسى وفرعون : ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (٢) .

ج- الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

هنالك فروق كثيرة بين القرآن الكريم والحديث القدسي من

أبرزها وأهمها:

١- القرآن الكريم كلام الله قطعاً ، أوحاه إلى رسوله ﷺ باللفظ والمعنى إجماعاً ، والحديث القدسي معناه من عند الله ، واللفظ مختلف فيه ، والراجح أنه من عند الرسول ﷺ .

٢- القرآن تحرم روايته بالمعنى ، والحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين .

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٠) .

(٢) سورة طه الآيتان (٤٩ ، ٥٠) .

٣- القرآن الكريم وقع به التحدي والإعجاز، تحدى الله الخلق أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله ، فعجزوا ، وسيظل العجز قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأنه معجزة خالدة ، وسوف يأتي الحديث عن هذا إن شاء الله في خصائص القرآن .

أما الحديث القدسي فلم يقع به التحدي والإعجاز .

٤- إن القرآن الكريم متعبد بتلاوته ، وقراءته عبادة ذات ثواب خاص ، أمر الله بذلك فقال تعالى : ﴿وَرِثِلِ الْقُرْآنِ تَرْتِيلاً﴾^(١) ، وتتعين القراءة به في الصلاة دون غيره .

والحديث القدسي في قراءته ثوابٌ عامٌ ، ليس فيه ثواب تلاوة القرآن ، ولا تجزئ الصلاة به .

٥- إن القرآن الكريم منقول إلينا بالتواتر، فهو قطعي الثبوت كله ، سوره، وآياته ، وجمله ، وألفاظه ، وحروفه ، وسكناته ، وحركاته، أما الأحاديث القدسية ففيها الصحيح المتواتر، والحسن، والضعيف ، بل أكثرها أحاديث آحاد، ظنية الثبوت .

٦- إن القرآن الكريم تعدد نزوله ، وكان بوحي جلي . وذلك بنزول جبريل على الرسول ﷺ يقظة ، دون إلهام أو منام ، أما الحديث القدسي فلم يتعدد نزوله ، وكان منه ما هو بوحي جلي، ومنه ما هو بوحي خفي .

٧- القرآن الكريم اشترط له الطهارة ، أما الأحاديث القدسية فلم تشترط لها الطهارة .

(١) سورة المزمل الآية (٤) .

فهذه أبرز الفروق ، وهنالك من العلماء من زاد على ذلك (١) .

ثالثاً : أسماء القرآن الكريم وأوصافه :

للقرآن الكريم أسماء وصفات كثيرة ، وردت في القرآن ، والسنة ، ولكثرتها أفردتها بعض العلماء بالتأليف منهم : ابن قيم الجوزية ، في كتابه « شرح أسماء الكتاب العزيز » ، و الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ، في كتابه « الهدى والبيان في أسماء القرآن » ، و د. محمد جميل بن أحمد غازي ، في كتابه « أسماء القرآن في القرآن » وغيرهم كثير ممن كتب في هذا الموضوع .

أ- عدد أسماء القرآن الكريم :

لم يتفق العلماء على عدد محدد لأسماء القرآن الكريم ، فقد ذكر بدر الدين الزركشي رحمه الله في كتابه البرهان «خمسة وخمسين اسماً» (٢) ، وذكر الشيخ محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي في كتابه [بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز] «ثلاثة وتسعين اسماً» (٣) ، وذكر الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي في كتابه «ستة وأربعين اسماً» (٤) ، وذلك لاعتقاده أن بعض هذا العدد إن لم يكن أكثره فهو أوصاف للقرآن، وليست أسماء .

(١) انظر دراسات في علوم القرآن الكريم ، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان لرومي ص ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ، ج ١/ ٢٧٣ .

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز ، ج ١/ ٨٨-٩٦ .

(٤) الهدى والبيان في أسماء القرآن ص ٤٤ .

ولكن هنالك قاعدة عامة مهمة فيما يتعلق بأسماء القرآن الكريم وأوصافه وهي : « أن أسماء القرآن الكريم وأوصافه توقيفية » ، بمعنى أنه لا يجوز أن نسميه باسم ، أو نصفه بوصف ، إلا إذا قام عليه دليل من الكتاب ، أو السنة ، وإذا ثبت الدليل في أي زمان أو مكان أخذ به .

ب- بعض أسماء القرآن الكريم :

نذكر هنا بعض أسماء القرآن الكريم مع الدليل، من باب التمثيل فقط وهي:

- ١- القرآن ، الدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾^(٢) .
- ٢- الكتاب، الدليل قوله تعالى: ﴿ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾^(٣) .
- ٣- الفرقان، الدليل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٤) .

٤- الذكر، الدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥) .

٥- النور، الدليل قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^(٦) .

(١) سورة الإسراء الآية (٩) .

(٢) سورة ق الآية (١) .

(٣) سورة البقرة الآيتان (١،٢) .

(٤) سورة الفرقان الآية (١) .

(٥) سورة الحجر الآية (٨) .

(٦) سورة التغابن الآية (٩) .

٦- كلام الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿وَأَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (١) .

٧- حبل الله، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٢)

إلى غير ذلك من أسماء ، وقد قال العلماء : غلب من أسمائه ، القرآن الكريم ، والكتاب العزيز ، وفي ذلك إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد ، إذ روعي في تسميته (قرآن) كونه مجموع في الصلور ، وملتو بالألسنة ، وفي تسميته (كتاباً) كونه مجموع في السطور .

ج- بعض صفات القرآن الكريم :

وصف القرآن كذلك في الكتاب والسنة بأوصاف كثيرة ، تدل كل صفة على معانٍ عظيمة منها أنه :

١- نور ، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ تَوْرًا مُبِينًا﴾ (٣) .

٢- موعظة، وشفاء، وهدى، ورحمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) .

٣- عزيز، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٥) .

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٣) .

(٣) سورة النساء الآية (١٧٤) .

(٤) سورة يونس الآية (٥٧) .

(٥) سورة فصلت الآية (٤١) .

٤- مجيد ، قال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (١) .

٥- كريم ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ (٢) .

٦- مبارك ، قال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٣) .

٧- فصل ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ﴾ (٤) .

وقد وصف كذلك بأنه بشيراً ، ونذيراً ، وبياناً ، ومهيماً ، وروحاً ، وعلياً ، وحكماً ، وقيماً ، وبرهاناً ، إلى غير ذلك من الصفات العظيمة التي تدل على عظمة هذا الكتاب ، وعلو قدره .

د- الحكمة من تعدد أسماء القرآن وصفاته :

تعدّد أسماء القرآن الكريم وتنوع صفاته تدل دلالة واضحة على عظمة هذا الكتاب، ومنزله ، وعلو قدره عند الله، وعند أهل الإيمان، قال الشيخ الفيروزابادي رحمه الله (ت: ٨١٧هـ): « اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته ، وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته ، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها ، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته ، وكثرة أسماء النبي ﷺ

(١) سورة البروج الآية (٢١) .

(٢) سورة الواقعة الآية (٧٧) .

(٣) سورة الأنعام الآية (٩٢) .

(٤) سورة الطارق الآية (١٣) .

دلت على علو رتبته ، وسمو درجته ، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته» (١) .

٤- تعريف علوم القرآن الكريم :

علوم القرآن مركب إضافي ، مكون من كلمتين ، كلمة علوم ، وهي جمع علم ، والعلم في اللغة نقيض الجهل ، وهو مصدر مرادف للفهم والمعرفة، ويراد به إدراك الشيء على حقيقته والقرآن قد سبق له التعريف.

ولعلوم القرآن معنيان :

أ- معنى عام .

ب- و معنى خاص ك(فن مدون)، وإليك الحديث عن كل نوع:

أ- تعريف علوم القرآن في المعنى العام هو:

«أنواع المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم ، سواء كانت خادمة له ، أو دل القرآن على مسائلها وأحكامها» .

فعلوم خادمة للقرآن كعلم التوحيد ، وعلم التفسير ، وعلوم اللغة العربية ، وعلم النسخ والمنسوخ ، ونحو ذلك ، وعلوم دل القرآن على مسائلها وأحكامها ، كعلم الفقه ، وعلم التوحيد ، وعلم الفرائض ، وعلم التاريخ، ونحو ذلك .

وقد توسع بعض العلماء في ذلك حتى أدخلوا علم الطب ، وعلم الفلك، والجبر ، والهندسة ، وغيرها (٢) .

(١) بصائر ذوي التمييز ج ١/ ٨٨ .

(٢) انظر دراسات في علوم القرآن للرومي، ص ٢٩ .

ولكن ليس هنالك شك أن كل العلوم الدينية والعربية داخلة في
معنى علوم القرآن في معناه العام .

ب- تعريف علوم القرآن كعلم مدون :

علوم القرآن كفن مدون عبارة عن مباحث أساسية ينبغي الإمام
بها لكل مقبل على فهم ودراسة القرآن الكريم وإلا ضل عن سواء
السييل، لذا عرف بأنه : « مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله،
وجمعه ، ورسمه ، وقراءاته ، وأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه ،
وتفسيره ، ونحو ذلك » .

ج- أهمية تعلم علوم القرآن :

علوم القرآن من أهم العلوم ، وأعلها ، وأنفعها ، إذ هو السبيل
لفهم كتاب الله ، ومعرفة أحكامه ، وحكمه ، ولذا تظهر أهمية دراسة
هذه العلم من جوانب عديدة أبرزها ما يلي :

١- يساعد على فهم وتدبر القرآن الكريم ، واستنباط أحكامه ، ومعرفة
حكمه ، وحل مشكله ، وفهم متشابهه ، بصورة صحيحة دقيقة ، لأنه لا
يمكن أن يفهم القرآن ويفسره من لا يعرف نطقه، ورسمه ، وأوجه قراءته،
وأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ونحو ذلك ،
فهو الأساس، والمفتاح لفهم القرآن الكريم.

٢- زيادة الثقة واليقين بهذا القرآن العظيم ، خاصة لمن يتعمق في معرفة
إعجازه ، وأحكامه، وحكمه، ويقف على دقيق أسرارهِ، إذ الجهل بمثل
هذه العلوم يجعل المسلم عرضة للشبهات التي يقصد من ورائها زعزعة اليقين.

٣- معرفة الجهود العظيمة - الممتدة عبر التاريخ وفي كل القرون - التي بذلها العلماء لخدمة هذا الكتاب ، ودور هذه الجهود في حفظه من التغيير والتبديل ، وفي تيسير فهمه .

٤- التسلح بعلوم قيمة تمكن من الدفاع عن هذا الكتاب العزيز ضد من يتعرض له من أعداء الإسلام ، ويبث الشكوك والشبهات في عقائده وأحكامه ، وتعاليمه ، وهو من أعظم الواجبات .

٥- زيادة ثقافة الفرد المسلم بالمصدر الأول لدينه ، وأعظم ما يملكه في وجوده ، إذ ينبغي لكل مسلم أن يأخذ حظه من القرآن مهما كان تخصصه، ومهنته، وحرفته .

٦- نيل الأجر والثواب ، إذ تعلم مثل هذه العلوم من أوسع أبواب العبودية لله ﷻ .

٧- تطهير القلب ، وتهذيب النفس ، وزيادة الإيمان، إذ تعلم علوم القرآن يربط المسلم بصورة قوية بكتاب الله الذي أنزله الله شفاء للناس ورحمة .

المبحث الثاني

علوم القرآن عبر التاريخ

" النشأة والتطور "

علوم القرآن عبر التاريخ

"النشأة والتطور"

أ- فترة ما قبل التدوين :

١- في عهد النبي ﷺ :

كان القرآن الكريم ينزل على النبي ﷺ على حسب مراحل الدعوة، وتطورها، وحاجاتها، ووقائعها، وأحداثها، ووفق الحكمة الإلهية، وقد تكفل الله ﷻ لرسوله ﷺ منذ بداية الوحي بأن يجمع له القرآن في صدره، فلا ينسى منه شيئاً، إلا ما شاء الله، وأن ينطق به لسانه عند تلاوته كما سمعه من جبريل عليه السلام، بأحرفه، وأوجه قراءاته، وأن يكشف له عن معانيه، كما قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَلِّيهَ* إِنَّ عَلَيْنَا جُمُوعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُتِيَ بِقُرْآنِهِ* تَمْثِلًا إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١).

ولهذا حين نزل جبريل على النبي ﷺ في غار حراء بصدر سورة "اقرأ" ذهب النبي ﷺ إلى زوجته خديجة رضي الله عنها، وأخبرها بما حدث، وتلا عليها الآيات من صدر سورة العلق من حفظه.

وكان يتلو على أصحابه رضي الله عنهم كل ما يسمعه من جبريل مجرد ما ينفصل عنه الوحي، ويبلغه إليهم، ويشرح لهم ذلك بأقواله وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

(١) سورة القيامة الآيات (١٦-١٩).

لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَوَعَلِّمُهُم بِتَفَكُّرٍ ﴿١﴾ .

ومن هنا كان النبي ﷺ أعلم الخلق بعد معلمه جبريل عليه السلام بالقرآن الكريم وعلومه ، وذلك بسبب ما تكفل الله له ، وما أفاض على قلبه الطاهر ، وبما أراه من حكمه ، وأحكامه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ... ﴾ (٢) .

٢- في عهد الصحابة رضي الله عنهم :

أعلم الخلق بعد النبي ﷺ بالقرآن الكريم ، وعلومه هم أصحابه رضي الله عنهم ، إذ أدركوا من أسراره وعلومه ما لا نستطيع أن ندركه نحن اليوم ، على الرغم من كثرت العلوم ، وتعدد المدارس ، والمعاهد ، والكليات ، والجامعات ومراكز البحوث ، وتطور وسائل التعليم ، وذلك للآتي :

١- لأنهم تعلموا على يدي النبي ﷺ ، أفضل ، وأبرك ، وأحسن معلم ، فسمعوا منه ما لم يسمعه غيرهم ، وفصل لهم ما أجمل فيه ، ووضح لهم ما خفي عليهم ، فقد روي عن عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٣) ألا إن القوة الرمي . ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي » (٤) .

(١) سورة النحل الآية (٤٤) .

(٢) سورة النساء الآية (١٠٥) .

(٣) سورة الأنفال الآية (٦٠) .

(٤) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب : فضل الرمي والحث عليه ، ح رقم ١٩١٧ .

وأنه لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١) قال أصحابه: «وأيضا لم يظلم، فنزلت: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)»^(٣)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: يا رسول الله ﷺ جعلني الله فداءك، أليس يقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٤)، قال: ذاك العرض يعرضون، من نوقش الحساب هلك»^(٥).

٢- ولأنهم كانوا أهل لغة، و نزل القرآن الكريم بلغتهم، فهم أعرف الناس ببيانه، وأساليبه، وتراكيبه.

٣- ولما تمتعوا به من قوة الحافظة، و صفاء العقول، وذلك لما خصهم الله به، ووقفهم إليه، حتى يحفظ الله بهم دينه.

٤- ولأنهم عايشوا التنزيل، وعاصروا الوحي، وعرفوا زمان النزول ومكانه، وملايساته، كما روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قوله «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن أنزلت. ولو أعلم

(١) سورة الأنعام الآية (٨٢).

(٢) سورة لقمان الآية (١٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب " ولم يلبسوا إيمانهم بظلم " ح رقم ٤٦٢٩.

(٤) الانشقاق الآية: ٨.

(٥) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب " فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا "، ح رقم ٤٦٢٩.

أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه» (١) .

وقد روي معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال شهدت علياً يخطب ، وهو يقول : « سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخرجتكم ، سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم : ألبليل نزلت أم بالنهار ، أم في سهل أم في جبل » (٢) .

٥- ولأنهم تميزوا بمنهج خاص ، وهمة عالية في تعلم القرآن ، حفظاً ، وفهماً ، وعملاً ، مما جعلهم يلمون بعلومه ، كما روى عن عبد الرحمن السلمي قوله : « حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : « فتعلمنا القرآن ، والعلم ، والعمل جميعاً » (٣) .

فهذه الأسباب مجتمعة وغيرهم جعلت الصحابة مضرِباً للمثل في الإلمام بالقرآن الكريم وعلومه ، واشتهر كثير منهم بتفسير القرآن كالحلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبي موسى الأشعري ، وعائشة رضي الله عنهم .

(١) البخاري كتاب فضائل القراء ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ، ح رقم ٥٠٠٢ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن ، للسيوطي ج ٤/١٢١٢ .

(٣) رواه الإمام أحمد ٤١٠/٥ ، وابن أبي شيبة رقم ٢٩٩٢٠ ، تفسير الطبري ٨٠/١ ،

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٣/٣٣١ . وإسناده صحيح .

وظهر في عهدهم بصورة بارزة علم رسم القرآن ، وإعرابه ،
وناسخه ومنسوخه ، والمكي والمدني منه ، ونحو ذلك ، إلا أن علومهم
هذه كانت فيما بينهم عن طريق التلقي والمشاهدة ، ولم تكن عن طريق
الخط والكتابة ، وذلك لعدة أسباب أهمها :

- ١- أن أغلب الصحابة كانوا أميين ، لا يعرفون القراءة ولا الكتابة .
- ٢- أن أدوات الكتابة لم تكن متوافرة لديهم ، وكانت بدائية من الصعوبة
تدوين كل شيء عليها .
- ٣- أن الرسول ﷺ نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن ، كما في قوله ﷺ :
« لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمححه »^(١) .
- ٤- أن العلم كان متوافراً بينهم ، مشاعاً عند الكثيرين منهم ، فتجد الآية
يفهمها الجميع ، والحديث يحفظه غالبهم ، فلم تكن الحاجة شديدة لتدوين
مثل هذه العلوم ، ولذا عندما استحر القتل بالقراء أمر الصديق ﷺ زيد بن
ثابت بجمع القرآن ، وعندما ظهر الوضع في الحديث ، وقل الحفاظ ،
جُمعت السنة .

٣- في عهد التابعين رضي الله عنهم :

انتشر الصحابة رضي الله عنهم في الأقاليم والأمصار القريبة
والبعيدة يعلمون أهلها الدين ، من خلال تعليمهم للقرآن الكريم وعلومه ،
خاصة بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وأقبل الناس على تلقي

(١) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرفائق ، باب التثبت في الحديث ، وحكم كتابة العلم ، ح

العلوم من أصحاب النبي ﷺ، فبرزت مراكز علمية اعتمدت بالقرآن الكريم وعلومه ، وكانت منارات هدى خرجت أعلام وأئمة التابعين ، أبرزها كانت في مكة، والمدينة، والكوفة، وإليك الحديث عن كل واحد منها .

١- مكة المكرمة :

إمامها وشيخها هو الصحابي الجليل حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله ، وترجمانه ، عبد الله بن عباس، الذي دعا له النبي ﷺ بعد أن ضمه إليه ، بقوله : « اللهم علمه الكتاب »^(١) - وفي رواية - « اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل »^(٢) ، ولم يكن على وجه الأرض في زمانه أحد أعلم منه ، قال عنه ابن عمر رضي الله عنهما : « ابن عباس أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ » ، قال الأعمش: عن أبي وائل استخلف عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس ، فقرأ في خطبته سورة البقرة - وفي رواية سورة النور - ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم ، والترك ، والديلم لأسلموا »^(٣) .
توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ : ((اللهم علمه الكتاب))، ح رقم ٧٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/٢٦٦ ، ٢١٤ ، وإسناده صحيح .

(٣) انظر كتاب معرفة القراء الكبار على البقاع والأعصار ، للإمام الحافظ أبي عبد الله بن أحمد الذهبي ، تحقيق : أبي عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي ص ٢٢ ، والبداية والنهاية ج ١٢ / ٩٠ - ١٠٥ ، وانظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للإمام شهاب الدين أبي الفلاج عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، ج/١٣٧ ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

من أبرز تلاميذه :

١- سعيد بن جبير بن هشام الأسدي : الذي قتله الحجاج ، ولم يسلط على أحد من بعده ، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : « قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج ، أو قال مفتقر ، إلى علمه » ، وقد كان من أئمة الإسلام في التفسير ، والفقه ، وأنواع العلوم ، وعرف بكثرة العمل الصالح ، ورأى خلقاً من أصحاب النبي ﷺ ، وقد قال عبد الله بن عباس وقد أتاه أهل الكوفة يسألوه : « أليس فيكم سعيد بن جبير » ، (توفي سنة ٩٥ هـ) (١) .

٢- مجاهد بن جبر : الإمام المكي ، كان أعلم أصحاب ابن عباس بالتفسير ، وهو الذي قال عن نفسه : « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها » ، وقال عنه سفيان الثوري رحمه الله : « إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به ، توفي ١٠٣ هـ » (٢) .

٣- عكرمة بن خالد مولى ابن عباس : أحد فقهاء مكة ، من التابعين الأعلام ، وقيل لسعيد بن جبير : « هل تعلم أحداً أعلم منك ، قال : عكرمة ، توفي سنة ١٠٥ هـ » (٣) .

(١) انظر كتاب البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ١٢/٤٦٦ ، وتذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ج

٧٦/١ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١١/٤ ، وشذرات الذهب ١/١٩٨ .

(٢) انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن العماد الحنبلي ، ج ١/٢٢٤ .

(٣) انظر شذرات الذهب ١/١٣٠ .

ومن تلاميذه كذلك عطاء بن يسار، وطاووس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وعلي بن الحسين، وشهر بن حوشب، وغيرهم من الأعلام.

٢- المدينة النبوية :

إمامها وشيخها هو الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس الأنصاري رضي الله عنه ، أسلم قديماً بالمدينة ، وهو من أصحاب بيعة العقبة الثانية، وأول من كتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو سيد القراء ، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « أقرؤهم أبي بن كعب » (١) .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، قال أبي : الله سماني لك؟ قال : والله سماك لي . فجعل أبي يبكي » (٢) ، وفي لفظ آخر للبخاري : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ » (٣) .

وروى أبو وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: « استقرؤا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب » (٤) .

(١) رواه الترمذي في سننه، ح رقم ٣٧٩٣ ، وابن ماجه، ح رقم ١٥٤ ، والإمام أحمد في المسند ١٨٤/٣ ، والحاكم في المستدرک ٤٢٢/٣ ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة لم يكن ، ح رقم ٤٩٦٠ ، ٤٩٥٩ ، ٤٩٦١ .

(٣) سورة البينة الآية : ١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ح رقم

وروي عن النبي ﷺ قوله لأبيّ : « يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، قال: فضرب في صدري وقال: « والله لِيَهْنِكَ العلم (١) أبا المنذر » (٢) .
ومن أبرز تلاميذه :

١- أبو العالية الرّياحي : وهو رفيع بن مهران ، وهو أحد أعلام التابعين ، وكان إماماً في القرآن ، والتفسير ، والعلم ، والعمل .

قال أبو بكر بن أبي داود: ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقرآن من أبي العالية ، وبعده سعيد بن جبير ، وكان ابن عباس يرفعه على السرير ، وقريش أسفل ، توفي سنة ٩٣هـ » (٣) .

٢- محمد بن كعب القرظي : الكوفي المولد ، والمنشأ ، والمدني الأصل ، روى عن كبار الصحابة ، وكان كبير القدر ، ثقة ، موصوفاً بالعلم ، والصلاح ، والورع كما قال الذهبي ، توفي ١٠٨هـ » (٤) .

٣- زيد بن أسلم العدوي : الفقيه العابد ، وكانت له حلقة للفتوى والعلم بالمدينة ، سمع من جماعة من الصحابة ، قال أبو حازم الأعرج : لقد

(١) أي ليكون العلم هنيئاً لك .

(٢) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، ح رقم ٨١٠ .

(٣) انظر كتاب شذرات الذهب ١/١٨٩ ، تذكرة الحفاظ ١/٥٨ ، الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم ٢٧٤٠ ، سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٧ .

(٤) انظر كتاب شذرات الذهب ١/٢٤٢ ، سير أعلام النبلاء ٥/٦٥ .

رأيتنا في حلقة زيد بن أسلم أربعين فقيهاً ، وله تفسير للقرآن يرويه عنه
ابنه عبد الرحمن ، توفي سنة ١٣٦هـ» (١) .

٣- الكوفة :

إمامها وشيخها هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو أحد
السابقين الأولين للإسلام ، ومن مهاجرة الحبشة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ،
وهو أول من جهر بالقرآن في مكة وأسمعه لقريش بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم :
« من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » (٢) يعني
ابن مسعود ، وعن شقيق بن سلمة قال : « خطبنا عبد الله بن مسعود فقال : « والله
لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم أنني من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم . قال شقيق : فجلست في الحلق
أسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك » (٣) .

وهو أحد القراء الأربعة الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ منهم القرآن ، توفي

سنة ٣٢هـ (٤) .

(١) انظر كتاب شذرات الذهب ١/٣٢٧ ، تذكرة الحفاظ ١/١٣٢ - ١٣٣ ، طبقات الحفاظ
٥٤ ، سير أعلام النبلاء ٥/٣١٦ .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، رقم ٣٥ ، ٤٢٥٥ ، ٤٣٤٠ ، ٣٤٤١ ، وسنن ابن ماجه
١/٦٣ ، ح رقم ١٣٨ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ح رقم
٥٠٠٠ ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ، ح رقم
٢٤٥٩ .

(٤) انظر شذرات الذهب ١/٦٥ ، طبقات القراء ١/٤٥٨ ، سير أعلام النبلاء ١/٤٦١ .

ومن أبرز تلاميذه :

١- أبو عبد الرحمن السلمي : مقرر أهل الكوفة بلا مدافعة ، واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج « أي نحو أربعين سنة » ، وقرأ عليه عاصم بن أبي النجود « (١) .

٢- علقمة بن قيس النخعي الكوفي : ولد في حياة النبي ﷺ ، وكان أشبه الناس بابن مسعود سمتا، وهدياً، وعلماً، وأحسنهم صوتاً بالقرآن ، قال ابن مسعود : « ما أعلم شيئاً ، أو ما أقرأ ، إلا وعلقمة يعلمه » ، توفي سنة ٦٢ هـ (٢) .

٣- مسروق بن الأجدع الهمداني : الفقيه العابد ، وكان يصلي حتى تتورم قدماه ، وحج فما نام إلا ساجداً ، وقال عنه الشعبي : ما رأيت أطلب للعلم منه ، كان أعلم بالفتوى من شريح (٣) .

وكذلك من تلاميذه :

قتادة بن دعامة ، وعمرو بن شرحبيل ، وغيرهم . وكانوا جميعاً أئمة وأعلام في هذا الفن وغيره .

(١) انظر كتاب البداية والنهاية ٢٤٠/١٢ ، وسير أعلام النبلاء ، ج ٤/٤٢٧ .

(٢) انظر البداية والنهاية ، ج ١١/٦١٢ ، وشنرات الذهب ١/١٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ١/٤٥ ، والإصابة رقم ٦٤٤٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٣ .

(٣) انظر شنرات الذهب ١/١٢٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/٤٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤/٦٣ ، والإصابة ترجمة رقم ٨٠٤٦ .

ولهذا كان أهل مكة، والمدينة، والكوفة، أعلم الناس بالتفسير، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما "التفسير" فإن أعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاووس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما يميز به على غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم، الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذه عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن، وأخذه عن عبد الرحمن، عبد الله بن وهب» (١).

ولكن أغلب هذه العلوم كانت عن طريق المشافهة والتلقين، لا الكتابة والتدوين.

عهد التدوين :

لم تكن علوم القرآن كغيرها من العلوم الإسلامية مدونة في عهد الصحابة، وفترة طويلة من عهد التابعين، ولكن بدأ تدوين العلوم الإسلامية بصورة واضحة في عهد الدولة الأموية عندما أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بجمع أحاديث النبي ﷺ، واتسعت دائرة التأليف وظهرت بصورة واسعة في عهد الدولة العباسية حتى شملت معظم العلوم الدينية، وعلوم اللغة، وغيرهما، وذلك بعد توفر وسائل الكتابة والكتاب، وظهور الحاجة الملحة لتدوين علوم الدين، واللغة، والتاريخ، وغيرها.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج ١٣ / ٣٤٧.

التدوين في علوم القرآن :

البدايات الأولى لتدوين علوم القرآن يمكن أن نصنفها إلى قسمين :

أ- القسم الأول : التدوين في علم واحد من علوم القرآن مثل :

علم التفسير :

فأول ما دون من علوم القرآن بعد رسمه في المصاحف ، علم التفسير ، الذي بدأ أولاً كباب من أبواب الحديث ، ومن كتب عنه في هذه المرحلة ، يزيد بن هارون (ت : ١١٧هـ) ، ومقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) ، وسفيان الثوري (ت : ١٦١هـ) ، وو كيع بن الجراح (ت : ١٩٧هـ) ، وسفيان بن عيينة (ت : ١٩٨هـ) ، وعبد الرزاق بن همام (ت : ٢١١هـ) وغيرهم ، وكان تفسيرهم جمعاً لأقوال الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين ، كباب من أبواب الحديث ، ولم يكن جمعاً للتفسير في مؤلفات مستقلة ، ومنفردة .

ثم دون التفسير بعد ذلك في مؤلفات مستقلة وشاملة ، وأصبح علماء قائماً بنفسه ، وأشهر من كتب فيه علي هذا النحو ، يحيى بن سلام البصري (ت : ٢٠٠هـ) ، وابن ماجة (ت : ٢٧٣هـ) ، وابن جرير الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، وابن حبان (ت : ٣٦٩هـ) ، والحاكم النيسابوري (ت : ٤٠٥هـ) ، وغيرهم ، وكلها كانت تفاسير بالإسناد ، لكن لم يصلنا منها بصورة كاملة إلا تفسير ابن جرير الطبري " جامع البيان " الذي يعتبر اليوم من أعظم التفاسير ، وأرفعها قدراً ، وذلك لأنه جمع فيه الكثير من أقوال الصحابة

والتابعين بإسنادها ، وتميز بمنهجه الدقيق في الاستنباط والترجيح ،
والتوفيق بين الأقوال ، كما أنه حوى الكثير من قواعد التفسير ، وأوجه
القراءات ، وأسباب النزول ، وإعراب القرآن، وغير ذلك من علوم
القرآن، وتميز بأنه ليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن متهمين ، ثم توالى من
بعده التفاسير المستقلة للقرآن الكريم ما بين مسترسل ، ومختصر،
ومتوسط، إلا أنه يعتبر ابن جرير عمدة المفسرين ، وكتابه المرجع الأول
للمختصين .

* ولم تقتصر جهود العلماء على علم التفسير ، بل كتبوا في أغلب جوانب
علوم القرآن ، فمثلاً ألف في :

الناسخ والمنسوخ :

قتادة بن دعامة (ت: ١١٧هـ) ، وأبو عبيدة القاسم بن سلام
(ت: ٢٢٤هـ) ، وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨هـ) ، وابن حزم
(ت: ٤٥٦هـ) ، والشيخ مرعي الكرمي (ت: ١٠٣٣هـ) ، له " قلائد المرجان
في الناسخ والمنسوخ من القرآن " ، وابن حميد العامري (ت: ١٢٩٥هـ) ،
له " الناسخ والمنسوخ " .

وألف في أسباب النزول :

علي بن المديني (ت: ٢٣٤هـ) ، وأبو الحسن الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) ،
له " أسباب النزول " ، وابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، له " العجاب
في بيان الأسباب " ، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) ، له " لباب النقول في
أسباب النزول " .

وألف في القراءات :

أبو الحسن البصري (ت: ١١٠هـ) ، وأبو بكر بن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ) ، وابن الباذشي (ت: ٥٤٠هـ) ، له "الإقناع في القراءات السبع" ، وعلم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) ، له "جمال القراء وكمال الإقراء" ، وابن حجر العسقلاني (ت: ٩١٣هـ) له "لطائف الإشارات في علم القراءات، والعقود السننية في شرح مقدمة الجزرية" ، "والكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز" ، وشهاب الدين أحمد بن محمد عبد الغني الدمياطي الشهير بالبناء (ت: ١١١٧هـ) ، له "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" ، وعبد الغني النابلسي (ت: ١١٤٣هـ) له "غاية المستفيد في علم التجويد" ، والجمزوري (ت: ١١٩٨هـ) ، له "تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن" .

وألف في مشكله وغريبه :

عطاء بن أبي رباح (ت: ١١٢هـ) له "غريب القرآن" ، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) ، له "تأويل مشكل القرآن ، وتفسير غريب القرآن" ، والكرماني (ت: ٥٠٠هـ) له "الرهان في متشابه القرآن" ، والراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) ، له "المفردات في غريب القرآن" ، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) ، له "مفحمت الأقران في مبهمات القرآن" ، وأبو يحيى زكريا الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ) ، له "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن" .

وَأَلَّفَ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ :

أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، له " إعراب القرآن " ، وعلي
بن إبراهيم الحوفي (ت: ٤٣٠هـ)، له " إعراب القرآن " ، وأبو حيان
النحوي (ت: ٧٤٥هـ)، له " لغات القرآن" ، وأحمد بن محمد المقرئ
(ت: ١١٠٢هـ) ، له " إعراب القرآن" .

وَأَلَّفَ فِي إِعْجَازِهِ :

ابن درستويه (ت: ٣٣٠هـ) ، له " إعجاز القرآن " ، وأبو بكر
الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) ، له " إعجاز القرآن " ، ومصطفى صادق
الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) ، له " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية " .

وَأَلَّفَ فِي مَجَازِهِ :

أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ) ، وابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) ،
والشريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ) ، والعز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ) .

وَأَلَّفَ فِي أَقْسَامِهِ :

ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، له " أقسام القرآن " .

وَأَلَّفَ فِي أَمْثَالِهِ :

أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) ، له " أمثال القرآن" .

وَأَلَّفَ فِي أَسْئَلَتِهِ :

محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٠هـ)، له " أسئلة القرآن
وأجوبتها" .

كما أن هنالك عدد من العلماء ألقوا في رسمه ، وفضائله ، وغير ذلك ، وهذا الذي ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر ، ومنها ما وصل إلينا ، ومنها ما هو مفقود^(١) .

وقد تميزت هذه الكتابات بالاستيعاب ، والتتبع ، والاستقراء لأجزاء هذه الأنواع التي كتبوا فيها ، فمن دون في أسباب النزول ، تجده يتتبع في الغالب كل الآيات التي لها سبب نزول ، ويذكر الروايات التي جاءت فيها ، وكذلك من ألف في أمثال القرآن تجده يتتبع كل آية فيها مثل ، وكذلك من كتب في أقسام القرآن ، أو رسمه ، ونحو ذلك . لكنها اشتملت على نوع واحد من أنواع علوم القرآن الكثيرة ، دون التعرض للأنواع الأخرى . ولكن كانت هنالك جهود أخرى لبعض العلماء موازية لهذه الجهود ، وإن كانت أقل منها بكثير ، تناولوا فيها علوم القرآن بمباحثه المتنوعة ، حيث شملت مؤلفاتهم الملامح الأساسية للأنواع السابقة ، وغيرها ، بصورة فيها شيء من الإجمال ، والتنوع ، وهو ما اصطاح عليه اليوم كفن مدون بـ " علوم القرآن " .

ب- القسم الثاني : التدوين في علوم القرآن كفن مدون :

هنالك جهود أخرى للعلماء الذين كتبوا حول علوم القرآن عبر التاريخ ، حيث جمع بعض العلماء المباحث المتعلقة بخدمة القرآن الكريم في كتب مستقلة كعلم خاص ؛ عرف بـ " علوم القرآن " ، مشتملة على المعالم والملامح الرئيسية لأبحاث هذه المادة ؛ دون الإحاطة بكل المسائل ،

(١) انظر مقدمة الإتقان ، للسيوطي ، ص ١٧ - ٢٠ ، فقد ذكر الكثير الذي لم نذكره .

والجزئيات ، وإنما اختصروا فيها على الأصول ، والرمز إلى أهم المباحث والفصول ، وهي طريقة وإن جاءت متأخرة بعض الشيء عن الطريقة الأولى في التأليف ، لكنها كانت معلومة عند الأوائل ، مكنوزة في عقولهم ، متناثرة في مؤلفاتهم .

وأول من ألف في هذا الفن ؛ تحت هذا المصطلح الفني هو الشيخ أبو بكر محمد بن خلف المرزبان البغدادي ، حيث كتب كتابه المسمى بـ " الحاوي في علوم القرآن " ، وكان ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري ، وبداية القرن الرابع الهجري (ت: ٣٠٩هـ) .

ثم توالى الكتابات من بعد ذلك على هذا النهج ، نذكر فيما يلي أهم هذه المؤلفات وهي :

- ١- الأمد في علوم القرآن، لعبيد الله بن محمد بن جرو الأسدي (ت: ٣٨٧هـ) .
- ٢- فنون الأفتان في علوم القرآن، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، وله كتاب آخر " المجتبي في علوم القرآن " ، و" المجتني من المجتبي " .
- ٣- الجامع الحريز الحاوي لعلوم الكتاب العزيز، للقزويني (ت: ٦٢٠هـ) .
- ٤- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، للعلامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، المعروف بأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ) .
- ٥- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ، " ذكر فيه سبعة وأربعين نوعاً من أنواع علوم القرآن " ، وقال: وأعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره ، ولكننا اقتصرنا من كل نوع

على أصوله، والرّمز إلى بعض فصوله ، فإن الصناعة طويلة ، والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير»^(١) .

٦- مواقع العلوم من مواقع النجوم ، لجلال الدين البلقيني (ت: ٨٢٤هـ) ، ذكر في كتابه هذا خمسين نوعاً من علوم القرآن ، وقال فيه: «وأنواع علوم القرآن شاملة، وعلومه كاملة فأردت أن أذكر في هذا التصنيف ما وصل إليه علمي ؛ مما حواه القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف»^(٢) ، قال السيوطي رحمه الله : «فرايته تأليفا لطيفا ، ومجموعا ظريفا ، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتخيير»^(٣) .

٧- الإتيان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، وقد جمع فيه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن ، وقال : "ولو نوعت باعتبار ما أدمجت في ضمنها لزادت على الثلاثمائة ، وغالب هذه الأنواع فيها تصانيف مفردة ، وقفت علي كثير منها " ^(٤) ، وهو من أهم الكتب التي دونت في علوم القرآن الكريم ، لأنه استفاد مما كتبه العلماء من قبله ، وجمع فيه الكثير من مادة علوم القرآن ، ولكن الكتاب لا يخلو من ملاحظات؛ خاصة ما فيه من انحرافات عقديّة في آيات الأسماء والصفات ، كما ضم الكثير من الروايات

(١) الإتيان ، للسيوطي ج ١/١٢٠ .

(٢) الإتيان ، للسيوطي، ج ١/٤٠

(٣) المرجع السابق .

(٤) الإتيان ، للسيوطي، ج ١/١٦٠

الضعيفة ، وهو يذكر أحيانا بعض الأقوال الشاذة ، والآراء المنحرفة دون التعليق عليها .

ثم فتر التأليف بعد هذا التاريخ ، بل قال بعض العلماء أنه توقف ، حتى جاء عصر النهضة .

المؤلفات في العصر الحديث :

الكتابات الحديثة في علوم القرآن كثيرة ، يصعب حصرها وترتيبها حسب الأهمية ، والزمان ، ولكن يمكن تصنيفها كالاتي :
أ- بعضها اختص بنوع معين من أنواع علوم القرآن ، كعلم الرسم ، أو القراءات ، أو الأحرف السبعة ، أو المكّي والمدني ، أو المحكم والمتشابه ، وغيرها .

ب- وبعضها شمل كثيرا من مباحث علوم القرآن كفن مدون ، وهي ما بين مسترسل ، ومتوسط ، ومختصر ، وذلك حسب مقاصد كل مؤلف ، والجهة التي يستهدفها ، والمؤثرات التي تؤثر عليه، وإليك ذكر بعض هذه المؤلفات :

أولا : كـ " فن مدون " :

١- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ، للعلامة طاهر الجزائري ، وهو مختصر لبعض مباحث الإتيقان مع بعض الزيادات .

٢- منهج الفرقان في علوم القرآن ، للشّيخ محمد سلامة ، وقد اشتمل على كثير من أنواع علوم القرآن .

٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، وقد تميز بتنوع مباحثه ، وسهولة عبارته ، واعتنائه بالرد على الشبه والمشكلات التي أثرت حول القرآن والوحي .

ولا يخلو الكتاب من ملاحظات أبرزها انتصاره إلى عقيدته الأشعرية ، ومحاولة تقريرها .

٤- المدخل لدراسة القرآن للشيخ د. محمد بن محمد أبو شهبه وهو بحق من أفضل ما كتب من الكتابات الحديثة ، وقد استفاد من شيخه الزرقاني فائدة كبيرة ، وزاد عليه بتحقيقاته المفيدة .

٥- مباحث في علوم القرآن ، لمناع القطان ، وقد جمع فيه أبحاث مهمة بصورة مختصرة ، ومفيدة في بداية الطلب لعلوم القرآن ، ولغير المختصين في الدراسات القرآنية ، وقد قصد مؤلفه هذه الفئة .

٦- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح .

٧- لمحات في علوم القرآن، للشيخ محمد الصباغ .

٨- علوم القرآن، د. عدنان زرزور .

٩- المنار في علوم القرآن، د. محمد علي الحسن .

١٠- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، د. فاروق حماده .

١١- التبيان في علوم القرآن، د. القصيبي محمود زلط .

١٢- دراسات في علوم القرآن ، د. أمير عبد العزيز .

١٣- دراسات في علوم القرآن ، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي وقد

اشتمل على أبحاث مفيدة ، ومحقة تحقيقات جيدة ، وله تعليقات مرضية.

١٤- المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع ، وهو من الكتب الحديثة المفيدة جداً في علوم القرآن ، وذلك لاعتماد مؤلفه على صحيح المنقول في كل ما جمعه ، ولحسن تبويه ، وتصنيفه ، وسهولة عرضه ، وأسلوبه .

وهناك مؤلفات أخرى كثيرة ، لكن غالبها عبارة عن مبادئ أولية، تخاطب شرائح معينة من المجتمع التعليمي الحديث ، وهو الطالب الجامعي. مما جعلها مختصرة ، ومكررة ، ما زالت هنالك قضايا كثيرة تحتاج إلى تحقيق وتدقيق ، وعرض ، وتصنيف .

ثانياً : كـ " علم واحد " :

هنالك كثير من العلماء المعاصرين من كتب في بعض الموضوعات الخاصة من مباحث علوم القرآن الكريم، أبحاث علمية، جيدة، ومفيدة، ومحققة، منها على سبيل المثال:

١- القواعد الحسان في تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، صاحب تفسير " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ، ذكر فيه إحدى وسبعين قاعدة مهمة تعين على فهم ، وتدبر القرآن .

١- وقواعد التفسير ، للشيخ خالد بن عثمان السبت .

٢- الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، د. حسن ضياء الدين عتر .

٣- التفسير والمفسرون ، للشيخ محمد حسين الذهبي .

٤- خصائص القرآن ، د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي .

٥- نزول القرآن على سبعة أحرف ، لمناع القطان .

٦- مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى مسلم .

وغيرها كثير وهذه فقط أمثلة ونماذج ، وما زالت المكتبة الإسلامية موعودة بكتب ورسائل وبحوث كثيرة من هذا النوع الذي يحتاج إلى جهود متواصلة .

المبحث الثالث

فضائل القرآن الكريم

وآداب تعامله

فضائل القرآن الكريم

القرآن الكريم هو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم، ونوره المبين، أحسن الحديث ذكراً ، وأكمله هديً ، وأصدقه خيراً ، وأبينه حكماً ، وأعظمه فضلاً ، وأجله قدراً ، وأثقله وزناً ، وأعذبه لفظاً ، وأغزره علماً ، وأشدّه على النفوس أثراً ، لذا فالحديث عن فضائل القرآن الكريم يصعب على مخلوق ضعيف أن يحيط بجوانبه ، أو تسعفه الألفاظ والجمل إلى كمال وصفه، إذ كيف يصف البحر بكل أغواره، وأطواره، وجوانبه ، وشواطئه ، ومكنونه ؛من لم يحط إلا بالقليل من معالمه ، والحديث عن فضائل القرآن الكريم ، هو حديث عن كلام كملت فضائله ، وعلا شأنه ، وعظم هداه ، فهو نور الحياة لظلماتها ، وظلها لهجيرها ، وماؤها لظمئها . لذا سوف نتحدث عن جوانب محددة يظهر لك من خلالها بعض فضائل القرآن الكريم ، الذي عجز الخلق أن يأتوا بمثله ، ولن يأتوا بمثله ، أو سورة من مثله أبداً ، وهناك كثير من العلماء ممن كتب حول هذا الموضوع وأفرده بالتأليف منهم أبو بكر بن أبي شيبة ، والإمام النسائي ، وأبو عبيدة بن سلام ، وابن الضريس ، وابن كثير ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وغيرهم ، ولذا سأحاول هنا أن أجمع دررها ، وأستخلص عتاقها ، في كلمات جامعة ، وأدلة قوية مانعة ، متناسبة مع زماننا ، والناس بزمانهم أشبه منه بآبائهم، لعلها تحرك في النفوس ساكننا، وتحدد في الأرواح عهدنا ، وتكون حافزا إلى رحاب الذكر الحكيم .

القرآن في الملأ الأعلى :

القرآن الكريم عظيم عند الله ، وفي الملأ الأعلى الطاهر ، معظم قبل أن ينزله الله إلينا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ (١) ، قال ابن كثير رحمه الله : « بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ، ويعظمه ، ويطيعه أهل الأرض » (٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (٤) .

فهذه الآيات توضح منزلة هذا الكتاب ، وفضله ، وشرفه ، في الملأ الأعلى ؛ فهو عليّ عند الله ، و مكرّم عند ملائكته ، الذين طهرهم الله عنك من الذنوب والآثام ، وجعلهم كثيري الخير والبركة .

القرآن عند نزوله :

تظهر عظمة القرآن ، وفضله ، ومنزلته كذلك من خلال نزوله ، حيث أنزله الله تعالى في شهر مبارك معظم هو أفضل الشهور قال تعالى :

(١) سورة الزخرف الآيات (٢ ، ٣) .

(٢) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ص ١٢٤٠ .

(٣) سورة الواقعة الآيات (٧٥ - ٨٠) .

(٤) سورة عبس الآيات (١١ ، ١٦) .

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْقُرْآنِ﴾^(١) ،

في ليلة مباركة ، هي خير من ألف شهر ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٣) ، فهو كتاب مبارك نزل في شهر مبارك ، في ليلة مباركة ، في بلدة مباركة ، محرمة ، معظمة ، مشرفة ، محبية ، كما قال النبي ﷺ عن مكة : « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ »^(٤) .

كذلك نزل بواسطة ملك كريم ، مطاع أمين ، قوي ، من أشرف الملائكة ، وأعظمهم رتبة عند الله ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^(٥) ، « وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تعالى ، فإنه بعث بواسطة هذا الملك الكريم ، الموصوف بتلك الصفات الكاملة ، والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

(٢) سورة الدخان الآيتان (٣،٤) .

(٣) سورة القدر الآيات (١-٣) .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ح رقم ١٧٩٦٦ ، والترمذي ، ح رقم ٣٨٦٠ ، وابن ماجه

٣٠٩٩ ، والدارمي ح رقم ٢٣٩٨ ، وقال الترمذي حسن غريب صحيح .

(٥) سورة التكويد الآيات (١٩-٢١) .

عليها إلا في أهم المهمات ، وأشرف الرسائل » (١) .

وقد أنزله الله على قلب أعظم رسول أرسله الله ﷻ للناس ، أبرهم قلباً ، وأكملهم هديً ، وأعظمهم خلقاً ، وأوفرهم عقلاً ، وأصدقهم لهجة ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا لِتُنزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (٢) ، بلغة هي أكمل اللغات لفظاً ، وأوضحها بياناً ، وأغزرها معنىً ، قال تعالى : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (٥) ، فهو لسان واضح بين ، جلي ، لا لبس فيه ، ولا غموض ، ولا انحراف ، معانيه واسعة ، وألفاظه عذبة .

وجعله الله كتاباً خاتماً لما قبله من الكتب ، ومصداقاً لما فيها ، ومهيماً عليها ، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٦) ، فهو أفضلها ، وأكملها ، والحاكم عليها ، والمصدق لما جاء فيها ، والمشمول على ما اشتملت عليه ؛ وما لم تشتمل عليه ، ولا يدخله تغيير ولا تبديل ، كما حصل للكتب السماوية

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٩١٣ .

(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢-١٩٥) .

(٣) سورة الزمر الآية (٢٨) .

(٤) سورة فصلت الآية (٣) .

(٥) سورة النحل الآية (١٠٣) .

(٦) سورة المائدة الآية (٤٨) .

السابقة ، فهو كتاب خالد باقي، محفوظ بحفظ الله ﷻ ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) .

كذلك جعله الله ﷻ معجزاً للإنس والجن، أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة مثله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (٢) ، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْسَادُ قُلُوبِنَا فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣) ، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٤)

فقد تحدى الله ﷻ الخلق كلهم متفرقين ومجتمعين ، حاضرهم وغائبهم ، متعلمهم وجاهلهم ، بكلام قاطع جازم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله؛ ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، مما يدل على شرفه وعظمته ، إذ هو كلام الخالق ، الكامل ، العليم ، الحكيم ، المجيد ، الحميد ، فكيف للمخلوق أن يأتي بكلام ككلام الخالق سبحانه وتعالى ، الذي

(١) سورة الحجر الآية (٩) .

(٢) سورة الإسراء الآية (٨٨) .

(٣) سورة هود الآية (١٣) .

(٤) سورة البقرة الآيتان (٢٣ ، ٢٤) .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) عالم السر وأخفى ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وأتقن كل شيء صنعا .

أوصاف القرآن الكريم :

ومما يدل على شرفه وفضله ، ما جاء عن القرآن الكريم من أوصاف عديدة عظيمة، تدل على كماله، وجماله، وتمامه ، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٢) ، فوصفه بالكريم يدل على غزارة علمه ، وكثرة خيره ، وعميم نفعه ، وعظيم سلطانه ، وتعدد بركاته .

كما وصفه الله بأنه عليٌّ ، وعظيم ، ومجيد ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ق- وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾^(٥) .

كما وصفه الله ﷻ بأنه نورٌ ، ومنير ، ومبين قال تعالى : ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نُهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٦) ، وقال تعالى : ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾^(٧) ،

(١) سورة الشورى الآية (١٢) .

(٢) سورة الواقعة الآية (٧٧) .

(٣) سورة الزخرف الآية (٤) .

(٤) سورة الحجر الآية (٨٧) .

(٥) سورة ق الآية (١) .

(٦) سورة الشورى الآية (٥٢) .

(٧) سورة آل عمران الآية (١٨٤) .

وقال تعالى : ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ﴾ ^(١) ، كما وصفه بأنه هدى ،
شفاء ، ورحمة ، وموعظة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢) .

كذلك وصفه الله بأنه بشير ونذير ، قال تعالى : ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتِهِ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ^(٣) .

كما وصفه الله تعالى بأنه مبارك ، قال تعالى : ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ^(٤) ، ووصفه بأنه روح ، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ^(٥) .

كما وصفه بأنه حكيم ، قال تعالى : ﴿يَسِّمُ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ ^(٦) ،
ووصفه بأنه عزيز ، وفصل ، وقيم ، وأحسن الحديث ، وغير ذلك من
الصفات الكثيرة ، التي تدل كل صفة منها على عظمة هذا الكتاب ،
وشرفه ، وفضله .

(١) سورة الزخرف الآيتان (١٠٢) .

(٢) سورة يونس الآية (٥٧) .

(٣) سورة فصلت الآيتان (٣،٤) .

(٤) سورة الأنعام الآية (٩٢) .

(٥) سورة الشورى الآية (٥٢) .

(٦) سورة يس الآيتان (١٠٢) .

تلاوة القرآن وتعلمه :

ومما يدل على عظمة القرآن ، وفضله أن تلاوته تجارة رابحة ، وعبادة مرضية من أعظم القربات ؛ التي يتقرب بها العبد إلى الله ، قال تعالى : ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أتلُوَ الْقُرْآنَ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿وَرَمِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿لِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ يَبُورَ * لِيُؤْتِيَهُمُ أَجْرَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٣) .

وكيف لا تكون تلاوته تجارة رابحة ؛ والنبي ﷺ قد وضح الثواب الوافر ، والأجر المضاعف لمن تلا القرآن ابتغاء رضوان الله كما جاء عن عبد الله بن مسعود أنه قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلاَمٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ »^(٤) .

بل مجرد الاستماع إليه رحمة ، وسرور ، وزيادة إيمان وحبور ، وعمل صالح مشكور ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

(١) سورة النمل الآيات (٩٢، ٩١) .

(٢) سورة المزمل الآية (٤) .

(٣) سورة فاطر الآيات (٣٠، ٢٩) .

(٤) رواه الترمذي في ثواب القرآن ، باب في ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، ح رقم ٢٨٣٥ ، والدارمي في السنن ٢/٤٢٩ ، وقال محقق جامع الأصول ٤٩٨/٨ " وهو حديث صحيح " ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب .

تُرْحَمُونَ ﴿١﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا بُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُول : « إِنْ الْبَيْتَ لِيَتَسَعَ عَلَىٰ أَهْلِهِ ، وَتَحْضُرَهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَهْجُرَهُ الشَّيَاطِينُ ، وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ إِنْ يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ ، وَإِنْ الْبَيْتَ لِيَضِيقَ عَلَىٰ أَهْلِهِ ، وَتَهْجُرَهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَحْضُرَهُ الشَّيَاطِينُ ، وَيَقِلُّ خَيْرُهُ ، إِنْ لَا يُقْرَأَ فِيهِ الْقُرْآنُ » (٣) .

وتعلمه بالتدبر والفهم تعلم لأفضل العلوم وأزكاها وأرفعها وانفعها وهو من المقاصد الأساسية التي أنزل الله من أجلها القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٤) قال الشيخ السعدي « هذه الحكمة من إنزاله ليتدبر الناس آياته ، فيستخرجوا علمها ، ويتأملوا أسرارها وحكمها ، فإنه بالتدبر فيه ، والتأمل لمعانيه ، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة ، تدرك بركته وخيره ، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن الكريم ، وأنه من أفضل الأعمال ، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود » (٥) ، وقد

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٤) .

(٢) سورة الأنفال الآية (٢) .

(٣) رواه الدارمي رقم ٣٣٥٢ ، وقال محققه حسين سليم إسناده صحيح ، رواه ابن أبي شيبة ح رقم ١٠٧٦ ، وابن المبارك في الزهد برقم ٧٦٠ ، وابن الضريس في فضائل القرآن برقم ١٨٥ .

(٤) سورة ص الآية (٢٩) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٢ .

قال النبي ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » ^(١) ، وفي لفظ « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » ، وعن عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَهُ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ ^(٢) فِي غَيْرِ إِئْمٍ وَلَا قَطْعٍ رَحِمٍ ؟ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ ، قَالَ : أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ » ^(٣) ، وقد قال عبد الله بن مسعود ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةٌ لِلَّهِ ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عَصْمَةٌ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، لَا يَعْجُوزُ فَيَقُومُ ، وَلَا يَزُورُ فَيَسْتَعْتَبُ ^(٤) ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبَهُ ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ رَدِّ ، أَتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، لَمْ أَقُلْ لَكُمْ "الْم" حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ ، وَوَلَامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ » ^(٥) ، فهذا كلام أعلم أصحاب النبي ﷺ بالقرآن عن فضل تعلم القرآن ، والأحاديث في هذا كثيرة .

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ح رقم ٤٦٣٩ .

(٢) الكوماء من الأبل : العظيمة السنم .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه ، ح رقم ٨٠٣ .

(٤) ومعنى " لا يزوغ فيستعتب " : أي لا يميل باتباعه عن الصواب فيطلب العفو عما وقع منه كشأن المخلوق ، فهو صواب وعدل كله .

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم ٦٠١٧ ، والطبراني رقم ٨٦٤٦ ، بإسناد صحيح .

ومن هنا كانت مجالس القرآن هي مجالس الرحمة في الأرض، وذلك لما فيها من خير وبركة ، وثناء الله تعالى عليهم في الملأ الأعلى ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ صلى الله عليه وسلم : « ... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ؛ سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » ^(١) ، قال الإمام النووي رحمه الله : « وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور . . . ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوها إن شاء الله ، ويدل عليه الحديث الذي بعده ^(٢) ؛ فإنه مطلق يتناول جميع المواضع ، ويكون التقييد في الحديث الأول خرج على الغالب لا سيما في ذلك الزمان ، فلا يكون له مفهوم يعمل به » ^(٣) .

^(١) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ، ح رقم ٢٦٩٩ ، وأبو داود ، ح رقم ١٤٥٥ ، والترمذي ، ح رقم ٢٩٤٦ ، وابن ماجه في المقدمة ٢٥٥ .

^(٢) وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ... » ، رواه مسلم ، ح رقم ٢٧٠٠ .

^(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٩ / جزء ١٧ / ص ١٨ .

مترلة أهل القرآن :

ومما يدل على فضل القرآن ، وعظمة منزلته أن الله ﷻ عظم من عظمه ، وجعلهم أهله وخاصته ، وأن من إجلاله إجلالهم ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ﷺ : « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ ؛ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ ؛ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ »^(١) ، وفي لفظ مسلم : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ ؛ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ »^(٢) .

قال ابن الأثير رحمه الله : « أي : حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله ، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به »^(٣) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « القرآن مشفع ، وماحل مصدق^(٤) ؛ من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار »^(٥) .

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب : سورة عبس ، ح رقم ٤٩٣٧ . ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الماهر القرآن... ح رقم ١٣٢٩

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، ح رقم ١١٨٣١ ، والنسائي ح رقم ٥٦ ، وابن ماجه ح رقم ٢١١ ، والدارمي ، ح رقم ٣١٩٢ ، والحاكم ح رقم ٢٠٤٦ ، وهو حديث حسن ، انظر مسند الدارمي تحقيف حسين سليم ج٤/٢٠٩٤ ح رقم ٣٣٦٩ .

(٣) النهاية في غريب الحديث ٨٣/١ .

(٤) ماحل مصدق : خصم مصدق القول ضد من ترك العمل به .

(٥) أخرجه البزار في كشف الأستار رقم ١٢٢ ، وابن حبان رقم ١٢٤ ، والبيهقي في الشعب رقم ٢٠١٠ ، وهو حديث صحيح .

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ ؛ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ ، وَالْجَانِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ » (١) .

وعن عمر بن الخطاب ؓ قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ » (٢) ، أي يرفع الله من رفعه وأعلى شأنه ، وعمل به ، ويضع من وضعه .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ؓ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأُ ، وَارْتَقَى ، وَرَتَّلُ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا » (٣) .

فكل هذه الأحاديث وغيرها تدل على فضل ، ومنزلة صاحب القرآن ، وما له في الدنيا والآخرة من المنزلة ، والرعاية الإلهية . ومن هنا كان القرآن الكريم مرتعاً للعلماء العارفين ، ورياضاً للناشئة المهتدين ، وأنيساً للصفوة الذاكرين ، وسلاحاً للدعاة المجاهدين ، وسلوى للمؤمنين المبطلين ، وهدى وزاداً للمتقين لدينهم وأحرامهم .

(١) رواه أبو داود في الأدب ، في تنزيل الناس منازلهم ، ح رقم ٤٨٤٣ ، ورواه مسلم في المقدمة ٦/١ بنلا سند ، وهو حديث حسن ، صححه الترمذي في ثواب القرآن ، ح رقم ٢٩١٤ ، وقال حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم ، صلاة المسافرين وقصرها ، فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، ح رقم ١٣٥٣ .

(٣) رواه الترمذي ، ح رقم ٢٨٣٨ ، وأبو داود ، ح رقم ١٢٥٢ ، وابن ماجه ح رقم ٣٧٧٠ ، والنسائي ، ح رقم ٨١ ، وابن حبان ، ح رقم ٧٦٦ ، والحاكم ، ح رقم ٢٠٣٠ ، وأحمد ، ح رقم ٦٥٠٨ ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

أحكام القرآن وهدية :

تظهر عظمة القرآن الكريم كذلك ، بأن الله عظم هديه وأحكامه ،
إذ جعله هدى للناس ؛ لا هدى لهم بسواه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُنشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١)
وقال تعالى : ﴿فَمَنْ آتَبَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ
مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَخْشَرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (٢) .

وجعله الله سبحانه وتعالى نعمة من أعظم النعم ؛ التي أنعم بها
على عباده ، قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) ، فلم تنزل هذه الآية إلا في حجة الوداع
عشية عرفة ، بعد أن أكمل الله للناس شرعه ، وهديه ؛ بإكمال نزول
الوحي ؛ الذي باكماله انكشفت الظلمة كاملة ، وبان لأولياء الله طريق
الحسنى واضحاً قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأُنزَلْنَا
إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ
وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (٤) ؛ فقد أوضحت هذه الآية على أن من
لم يتمسك بحبل الله ، ونوره ، ويتبع ما جاء فيه ؛ فقد حرم نفسه من

(١) سورة الاسراء: (٩).

(٢) سورة طه الآيتان (١٢٣ ، ١٢٤) .

(٣) سورة المائدة الآية (٣) .

(٤) سورة النساء الآيتان (١٧٤ ، ١٧٥) .

رحمته ، وفضله وهديه ، وسبيل جنته ، كما قال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ
اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ^(١) كما جعله الله شفاءً ،
وموعظةً ، ورحمةً ، وذكرى ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ فَضَّلَ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ
فِيذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ^(٢) ، فذكر الله في هذه الآيات بعض
الأمر المرغبة عباده للإقبال على هذا الكتاب العظيم من خلال ما جاء فيه
من أوصاف حسنة ، وهدى ، ونفع عظيم ، إذ فيه موعظة لأصحاب
القلوب الحية ، وشفاء لما في الصدور ؛ التي بصلاحها يصلح الجسد كله ،
وهو هدى لمن أراد الهدى للعلم النافع ، والعمل الصالح ، ورحمة بها يحصل
العبد على خير عاجل وآجل ، فهو فضل الله الذي من به على عباده ، لذا
ينبغي أن يفرح به المؤمنون ، وذلك لأن من اتبع هداه لا يضل ولا
يشقى ، وكذلك لا يخاف ولا يحزن ، قال تعالى : ﴿فَمَنْ يَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٣) ، وكما في اتباعه الأمن في البلدان ، كذلك في
إقامة أحكامه السعة في الأرزاق ، قال تعالى : ﴿وَوَلَّوْهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ

(١) سورة المائدة الآيتان (١٥ ، ١٦) .

(٢) سورة يونس الآيتان (٥٧ ، ٥٨) .

(٣) سورة البقرة الآية (٣٨) .

وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ^(١)، والله لا يخلف وعده؛ ولكن الأمم هي التي أخلفت وعد الله .

ففي اتباع هديه هدى ، وشفاء ، ورحمة ، وسعادة ، وأمن ، وعدل ، وحياة كريمة مباركة ، فهل هنالك كتاب على وجه الأرض نجد في أتباعه واحداً من هذه النعم العظيمة ؛ التي أمرنا الله أن نفرح بما خصنا بها ؟!

التحذير من هجر القرآن :

ينبغي للمسلم أن يجعل القرآن أنيسه ، وورده ، وجليسه ، ويجذر من هجرانه ، والابتعاد عن ظلاله ، والغفلة عن نفحاته ، وذلك بالانشغال بأمور سافلة ، وأقوال ساقطة ، وحياة بهيمية ؛ دائرة بين الأكل والمتاع ، واللهو والفساد ، ومن فعل ذلك فقد حرم الخير الأعظم ، وعضَّ على يديه من الندم في يوم الفزع الأكبر ؛ حيث لا ينفع الندم ، قال تعالى :

﴿يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾^(٢) ، والمراد بالذكر هنا القرآن الكريم ، أي صرفه عن تعلمه

والعمل به ، بما زينه له من طرق الضلال ، وخدعه بها ، والمسلم حذره الله من هذا ؛ قال تعالى : ﴿وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفُلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ

(١) سورة المائدة الآية (٦٦) .

(٢) سورة الفرقان الآيتان (٣٠، ٣١) .

أَمْرُهُ فُرْطًا»^(١) ، وذلك لأنَّ اتباع من اتبع هواه ، وما تشتبهه نفسه ، هلاك وخسران كما قال تعالى : ﴿تَسُوا الذِّكْرَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾^(٢) ، قال ابن عباس : « أي هلكى » ، وقال الحسن البصري ، ومالك عن الزهري : « أي لا خير فيهم »^(٣) ، وكل من أعرض عن القرآن سواء كان ذلك في باب الإيمان به ، أو تلاوته ، أو تعلم أحكامه ، أو العمل بشرائعه له نصيب من شكوى النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي آمَحَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٤) ، قال الحافظ ابن كثير : « وترك الإيمان ، وترك تصديقه من هجرانه ، وترك تدبره ، وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتتاب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعر ، أو قول ، أو غناء ، أو لهُو ، أو كلام ، أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه »^(٥) .

فإن الحياة بغير هذا النور المبين ظلام وضياح ، والقلب بغير هذا القرآن الكريم عذاب وخراب ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِّنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرَبِ »^(٦) ، فكيف يهجر

(١) سورة الكهف الآية (٢٨) .

(٢) سورة الفرقان الآية (١٨) .

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ص ٩٦٠ .

(٤) سورة الفرقان الآية (٣٠) .

(٥) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ص ٩٦٣ .

(٦) رواه الترمذي ، في ثواب القرآن ح رقم ٢٨٣٧ ، والدارمي في فضائل القرآن ، فضل

من قرأ القرآن ح رقم ٣١٧٢ ، وأحمد في المسند ، ح رقم ١٨٤٦ ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وصححه الحاكم .

القرآن عاقل بعد كل ما ذكرناه ، فإنه نور الحياة ، وماؤها ، وضياؤها ، وبشرها ، وهو كذلك يسمع قول النبي ﷺ : « من قرأ القرآن وتعلمه ، وعمل به ألبس يوم القيامة تاجاً من نور ، ضوعه مثل الشمس ، ويكسى والديه حلتين لا يقوم بهما الدنيا ، فيقولان : بما كسبنا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما للقرآن » (١) .

وقال ﷺ : « يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تتقدمهم سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » (٢) .
وقال ﷺ : « اقرعوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٣) .

فالأدلة على فضائل القرآن كثيرة ، وافرة ، غزيرة ، وإني مهما جمعت من فضائل ، وعددت لكتاب الله من محاسن بأبلغ عبارة ، وأجمل أسلوب ، وأحسن بيان ، مع عصارة فكر ، وإطالة نظر ؛ فلا يمكن أن أعطي هذا الكتاب العزيز حقه من الوصف والكمال والجمال ، وهو الذي لم تملك الجن حين سمعته حتى قالوا - كما قال تعالى - : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أحييُوا داعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٥) .

(١) رواه أبو داود في الصلاة رقم ١٤٥٣ ، و الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، ٦٧٦/٢ ، وأحمد في المسند ٤٤٠/٣ ، والهيتمي في مجمع الزوائد ١٦١/٧ ، ١٦٢ .

(٢) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين ، فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، ح رقم ٨٠٥ .

(٣) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين ، فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، ح رقم ٨٠٤ .

(٤) سورة الجن الآيات (١ ، ٢) .

(٥) سورة الأحقاف الآيات (٣١ ، ٣٢) .

ولكن هي كلمات هادئة ، وعبارات مذكرة ، وإضاءات على الطريق إن شاء الله مشرقة ، ونداء لأمة القرآن للقرآن ، والحمد لله الذي أتم كلماته صدقاً وعدلاً .

ب- فضائل بعض سور القرآن :

القرآن الكريم كله فاضل وعظيم ، وقد وردت أحاديث في السنة النبوية توضح فضائل بعض السور من ذلك :

١- فضل سورة الفاتحة :

عن أبي سعيد بن المعلّى قال : « كنت أصلي ، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه ، قلت : يا رسول الله أني كنت أصلي . قال : ألم يقل الله ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ^(١) ؟ ، ثم قال : ألا أعلمك أعظم سورة من القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ فأخذ بيدي ؛ فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله : إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال : الحمد لله رب العالمين ^(٢) ، وهي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته ^(٣) .

٢- فضل سورة البقرة :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها

(١) سورة الأنفال الآية (٢٤) .

(٢) سورة الفاتحة الآية (٢) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب ، ح رقم ٥٠٠٦ .

الْبَطْلَةُ^(١) «^(٢) . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ صلى الله عليه وسلم : ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ ؛ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ))^(٣) .

٣- فضل سورة الإخلاص :

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ ، قال : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن »^(٤) .

وكذا وردت أحاديث أخرى كثيرة كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ^(٥) .

(١) البطللة : السحرة .

(٢) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، ح رقم ٨٠٤ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد ، ح رقم ٧٨٠ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل " قل هو الله أحد " ، ح رقم ٥٠١٣ ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة " قل هو الله أحد " ، ح رقم ٨١١ ، واللفظ له .

(٥) رواه الترمذي ، رقم ٢٨٢٦ ، وأحمد في المسند ، ح رقم ١١٩٨٢ ، والدارمي ، ح رقم ٣٣٠٠ ، وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح .

٤ - فضل المعوذتين :

عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أَنْزَلَ أَوْ أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ الْمَعُودَتَيْنِ » (١) .

ج - فضائل بعض آيات القرآن :

هنالك بعض الآيات في القرآن الكريم ، ورد في فضلها بعض

الأحاديث النبوية من ذلك :

١ - فضل آية الكرسي :

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قَالَ : قُلْتُ « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » . قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ » (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ؛ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ؛ فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَصَّ الْحَدِيثَ - فَقَالَ : إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ، ذَاكَ شَيْطَانٌ » (٣) .

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب : فضل قراءة المعوذتين ، ح رقم ٨١٤ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب : فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، ح

رقم ٨١٠ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : صفة إبليس وجنوده ، ح رقم ٣٢٧٥ .

٢- فضل الآيتين في آخر سورة البقرة :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ عِنْدَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ : حَدِيثٌ بَلَّغَنِي عَنْكَ فِي الْآيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(١) .
« قيل معناه : كفتهاه من قيام الليل ، وقيل : من الشيطان ، وقيل : من الآفات ، ويحتمل الجميع »^(٢) .

٣- فضل عشر آيات من أول الكهف أو من آخرها :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكُهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ »^(٣) . وفي رواية شُعْبَةَ « مِنْ آخِرِ الْكُهْفِ » .

آداب تعلم القرآن الكريم

هنالك آداب وأحكام مهمة متعلقة بقارئ القرآن الكريم، ومستمعه ، ومتعلمه ، تحدث عنها العلماء ، وجمع أكثرها الإمام النووي رحمه الله في كتابه " التبيان في آداب حملة القرآن " ، وزاد عليها الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان"^(٤)، وتحدث عنها كذلك كثير من العلماء في كتبهم ، نذكر فيما يلي أهم هذه الآداب والأحكام وهي :

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب: فضل سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، ح رقم ٨٠٧ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣/ جزء ٦ / ٨٠ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ح رقم ٨٠٩ .

(٤) الإتقان للسيوطي ، ج ٢/ ٣٤٥ .

١- إخلاص النية لله ﷻ :

إخلاص الأعمال لله ﷻ شرط أساسي لقبولها، كما قال النبي ﷺ:
« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »^(١) . فلا ينبغي أن
يقصد الإنسان بتعلمه ، أو تعليمه ، أو تلاوته للقرآن الكريم عرض من
أعراض الدنيا الزائلة من مال ، أو جاه ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾^(٣) ، وكما أمر النبي ﷺ بصورة
خاصة إلى الإخلاص في قراءة القرآن وتعلمه ، وحذر من الرياء والسمعة
فيه ، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال : دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ
الْمَسْجِدَ فَإِذَا فِيهِ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : « اقرءوا القرآن ، وابتغوا به
الله ﷻ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ ؛ يَتَعَجَّلُونَهُ ، وَلَا
يَتَأَجَّلُونَهُ »^(٤) ، أي يقصدون بذلك أمراً عاجلاً من أمور الدنيا من مال
وجاه ونحوه .

(١) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ح
رقم ١ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ، ح رقم ١٩٠٧ .

(٢) سورة الكهف الآية (١١٠) .

(٣) سورة البينة الآية (٥) .

(٤) رواه أحمد في المسند ، ح رقم ١٤٨٥٥ ، وأبو يعلى ح رقم ٢١٩٧ ، والبيهقي في "

الشعب " ح رقم ٢٦٤٣ ، ٢٦٤٤ ، وقال صاحب المقدمات الأساسية في علوم القرآن

الشيخ عبد الله يوسف الجديع "حديث حسن" ، ص ٤٨٧ .

وقد أوضح رسول الله ﷺ إنَّ أول من يقضى عليه يوم القيامة :
« ... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا .
قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ،
قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ
قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ » (١) .
والأدلة على اشتراط الإخلاص أكثر من أن تحصى ، وهو من
الأمر الواضحة .

٢- الطهارة لقراءة القرآن :

وقد قسمها العلماء إلى طهارة القلب من الشرك ، والشك ،
والرياء ، وطهارة البدن من الحدث الأكبر والأصغر ، وطهارة المكان ،
وطهارة اللباس ، وطهارة الفم .

فالقراءة إذا كانت من المصحف فالصحيح ؛ الذي عليه جمهور
العلماء أنه يجب لها طهارة القلب ، والبدن من الحدث الأصغر والأكبر ،
وقد جاء عن عمرو بن حزام عن النبي ﷺ قوله : « لا يمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا
طَاهِرٌ » (٢) . قال ابن عبد البر في التمهيد عن هذا الحديث بأنه : « مشهور
عند أهل العلم ، معروف يستغنى بشهرته عن الإسناد ، وقد تلقاه جمهور

(١) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب من قاتل للرياء والسمة ، ح رقم ١٩٠٥ .

(٢) رواه الحاكم ٣٩٥/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، والدارمي ١٦١/٢ ، والهيثمي في
مجمع الزوائد ٢٨١/١ ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والصغير ورجاله موثوقون ، وقال
صاحب كتاب فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر : " فالنفس تطمئن لصحة
هذا الحديث ، لا سيما وقد احتج به إمام السنة أحمد بن حنبل ... وصححه أيضاً صاحبه
الإمام إسحاق بن راهويه " انظر ٥٥٦/٣ .

العلماء بالقبول، ولم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة ، والعراق ، والشام ،
 أنّ المصحف لا يمسه إلا الطاهر على وضوء ، وهو قول مالك ،
 والشافعي، وأبي حنيفة ، والثوري ، والأوزاعي ، وأحمد بن حنبل ،
 وإسحاق بن راهويه ، وأبي ثور ، وأبي عبيدة ، وهؤلاء أئمة الفقه
 والحديث في أعصارهم ، وروى ذلك : عن سعد بن أبي وقاص ، وعبد
 الله بن عمر ، وطاووس ، والحسن ، والشعبي ، والقاسم بن محمد ،
 وعطاء ... » (١) .

ولذلك نهى النبي ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ؛ مخافة أن تناله
 أيديهم (٢) ، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال : قال
 النبي ﷺ : « لا تسافروا بالقرآن ، فأني لا آمن أن يناله العدو » (٣) ، وقال
 الإمام النووي رحمه الله : « وافق العلماء على أنه يجوز أن يكتب إليهم كتاب
 فيه آية أو الآيات والحجة فيه كتاب النبي ﷺ إلى هرقل » (٤) .

* أما القراءة بدون مس المصحف ؛ فقد ذهب الجمهور على وجوب
 الطهارة من الحدث الأكبر ، وحرمة قراءة القرآن للجنب ، والحائض ،
 والنفساء ؛ حتى يغتسلوا ، أما الطهارة من الحدث الأصغر فالراجح عند
 المحققين أنها مستحبة ؛ لأن النبي ﷺ كان يكره أن يذكر الله تعالى إلا على

(١) فتح البر ج ٣/٥٥٧ .

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج ١/٢٨٨ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب كراهية السفر بالمصحف إلى أرض العدو ،
 ح رقم ٢٩٩ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب : النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض
 الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم ، ح رقم ١٨٦٩ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٧/جزء ١٣/ص ١٣ .

طهارة ، والقرآن أعظم الذكر . وتجوز القراءة بدونها كما جاء في حديث أبو سلام الحبشي قال: « حدثني من رأى النبي ﷺ بال ، ثم تلا شيئاً من القرآن قبل أن يمس ماءً »^(١) ، « وقد قال بذلك كثير من أصحاب النبي ﷺ كعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسلمان الفارسي ، وأبي هريرة ، ومن التابعين علي بن الحسين ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن سيرين ، وإبراهيم النخعي وغيرهم »^(٢) .

* أما طهارة المكان فلا يجوز أن يقرأ القرآن في الأماكن النجسة ؛ بل يجب تخيير الأماكن الطاهرة كما جاء في حديث أنس لذلك الإعرابي ؛ الذي بال في المسجد ، فقال له النبي ﷺ : « إنَّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، والقذر ، إنما هي لذكر الله ﷻ ، والصلاة ، وقراءة القرآن »^(٣) ، فدل هذا الحديث على أن ذكر الله ، والصلاة ، وتلاوة القرآن ، يتخير لها الأماكن الطاهرة حسياً ومعنوياً .

* أما طهارة الثياب فإنها من كمال طهارة البدن التي أمر الله بها في كتابه، قال تعالى : ﴿وَتِيَابِكُمْ فَطَهِّرْ﴾^(٤) .

(١) رواه أحمد ٢٣٧/٤ ، قال الحافظ ابن حجر في "نتائج الأفكار" ٢١٣/١ حديث صحيح .

(٢) انظر المقدمات الأساسية ص ٥٢٧ .

(٣) رواه مسلم كتاب الطهارة ، باب : وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت

في المسجد ، ح رقم ٢٨٥ .

(٤) سورة المنثر الآية (٤) .

* أما طهارة الفم فقد حثَّ عليها النبي ﷺ عموماً من خلال حثه على السواك ، ووضَّح أنَّه مطهرة للفم ، ومرضاة للرب ؛ وبصورة خاصة لتالي القرآن ، كما جاء في حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه ؛ فسمع لقراءته ، فيدنو منه - أو كلمة نحوها - حتى يضع فاه على فيه ، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فطهروا أفواهكم للقرآن »^(١) ، إذ الأفواه طرق القرآن ، والسواك يساعد كذلك على تحسين الصوت .

٣- التدبر لما يقرأ أو يسمع :

أمر الله كل قارئ للقرآن ، ومستمع له بالتدبر لمعانيه ، وذلك للعمل بأحكامه وهديه ، وذلك بشغل القلب بمعرفة معانيه ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٣) ، قال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ : « وفي الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه لا لمجرد التلاوة بدون فكر »^(٤) ، بل

(١) رواه المنذري في الترغيب ج ١/١٠٢ ، وقال رواه البزار بإسناد جيد لابأس به برقم ١٢١٣ ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٢١٣ وإسناده جيد رجاله رجال البخاري ، وفي الفضل كلام لا يضر .

(٢) سورة ص الآية (٩) .

(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٤) .

(٤) فتح القدير ٤/٤٣٠ .

استنبط منها الإمام القرطبي « وجوب معرفة معاني القرآن »^(١)، ولا شك في ذلك ، إذ لا سبيل للعمل به إلا بعد فهم معانيه ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « دخل في قوله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، تعليم حروفه ومعانيه جميعاً ؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول من تعلم حروفه ، وذلك الذي يزيد الإيمان »^(٢) .

ولهذا أمر النبي ﷺ بعدم التعجل في ختم القرآن ؛ حتى لا يقرأ بدون تدبر ، كما جاء في قوله لعبد الله بن عمر رضی الله عنهما : « فأقرأه في كل سبع ولا تزيد على ذلك »^(٣) ، وقال له : « لم يفقه من قرأ في أقل من ثلاث »^(٤) .

فعن أبي حمزة (نضر بن عمران) الضبي رضي الله عنه قال : قلت لأبي عَبَّاس : إِنِّي رَجُلٌ سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لِأَنَّ أَقْرَأَ سُورَةَ أَحَبَّ إِلَيَّ . إِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَاقْرَأْ قِرَاءَةً تُسْمِعُهَا أُذُنَيْكَ وَيُوعِيهَا قَلْبُكَ »^(٥) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩٢/١٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٥ .

(٣) جزء من حديث رواه الإمام مسلم ، كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت حقاً ، ح رقم ١١٥٩ .

(٤) رواه أحمد رقم ٦٥٣٥ ، ٦٥٤٦ ، ... وأبو داود في الصلاة ، باب: تحزيب القرآن ، والترمذي في القراءات ، ح رقم ٢٩٤٩ ، والنسائي في فضائل القرآن ، ح رقم ٩٢ ، وابن ماجه ، ح رقم ١٣٤٧ ، والدارمي ، ح رقم ١٤٦٤ ، وغيرهم ، وقال الترمذي حسن صحيح .

(٥) أخرجه البيهقي في " الشعب " ح رقم ٢١٥٩ وهو أثر صحيح .

٤- الاستعاذة والبسمة :

ومما أمر الله به لكل تالٍ للقرآن الكريم أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم ،

كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(١) .

وجمهور العلماء يرون الاستعاذة مستحبة ، وحكا الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجها ، كلما أراد القراءة ، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية " فاستعد " وهو أمر ظاهره الوجوب ، وبمواظبة النبي ﷺ عليها ، ولأنها تدرأ شر الشيطان ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولأن الاستعاذة أحوط ، ولو قال المستعيز (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) كفى ذلك ... »^(٢) .

أما البسمة بعد الاستعاذة فقد أجمع العلماء على مشروعيتها عند بداية كل سورة ما عدا سورة " براءة " لأنها نزلت للفصل بين السور . أما في أثناء السور فلا يعلم دليل على قراءتها ، وإن كان القراء تركوا القارئ على الخيار ، إلا أنها تتأكد في بعض المواضع أثناء السورة ، كما نص على ذلك الشافعي نحو : ﴿ إِلَهِيذِّعْ عِلْمَ السَّاعَةِ ﴾^(٣) وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ ﴾^(٤) لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة ، وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان^(٥) .

(١) سورة النحل الآية (٩٨) .

(٢) انظر المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٨ .

(٣) سورة فصلت الآية (٤٧) .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٤١) .

(٥) الإتيان ، ج ٢/٤٥-٣٧٩ .

٥- الترتيل وتحسين الصوت :

أن يقرأ بترسل ، مراعيًا لكل أحكام التجويد ، وذلك بإخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه ، ومراعيًا لأحكام الوقف والابتداء ؛ حتى يسهل تدبر المعنى ، قال تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نِزْلًا﴾^(٢) ، أي على تودة ، وتمهل ، وترسل " والترتيل فيه إجلال وتعظيم للقرآن ، وأشد تأثير من غيره ، محسنًا صوته ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، كما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »^(٣) .

٦- عدم قطع التلاوة بكلام لا يتصل بها :

ومن آداب التلاوة يمنع قطعها بكلام لا يتصل بها ، إلا ما دعت إليه الحاجة ، أو ألزم به الشرع كرد السلام ، وتشميت العاطس ، كما هو هدي السلف الصالح فعن نافع قال : « كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ ؛ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ ، فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا ؛ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَانٍ ، قَالَ : « تَلَدِرِي فِيمَ أَنْزَلْتَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : أَنْزَلْتَ فِي كَلْمَا وَكَلْمَا ، ثُمَّ مَضَى »^(٤) .

(١) سورة المزمل الآية (٤) .

(٢) سورة الإسراء (١٠٦) .

(٣) رواه أحمد ، ح رقم ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ ، وأبو داود ح رقم ١٢٥٦ ، والنسائي ح رقم ١٠٠٥ ، وابن ماجه ح رقم ١٣٣٢ ، والدارمي ، ح رقم ٣٣٧٢ ، وهو حديث صحيح صححه عدد من أهل العلم .

(٤) البخاري ، كتاب التفسير ، باب " نساوكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم " ، ح رقم

قال أبو عبيد الهروي : « إنما رخص ابن عمر في هذا لأنَّ الذي تكلم به من تأويل القرآن وسببه » ولو كان من أحاديث الناس وأخبارهم؛ كان عندي مكروهاً أن تقطع القراءة به »^(١) .

ومن باب أولى أن يكره الضحك ، والعبث ، ومشاهدة التلفاز ، وكل ما يلهي ونحو ذلك .

وهناك آداب أخرى تحدث عنها العلماء ؛ لكن لعل هذه هي أهم الأحكام ، والآداب المتعلقة بالتلاوة ، فبعضها واجب ، وبعضها مستحب ، وبعضها اختلف فيه العلماء بين الوجوب ، والاستحباب .

(١) فضائل القرآن ص ١٩١ .

المبحث الرابع

خصائص القرآن الكريم

خصائص القرآن الكريم

قد تميزت أمة الإسلام ، التي هي خير أمة أخرجت للناس بميزات كثيرة ليست في أمة من الأمم التي قبلها ، كما تميز دين الإسلام بخصائص ليست في غيره من الأديان ، وتميز النبي ﷺ بخصائص لم تعط لغيره من الأنبياء ، وكذلك تميز القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ بخصائص لم تتوفر في غيره من الكتب السماوية ، وقد تحدث العلماء عن خصائص الدين الإسلامي ، وعن خصائص نبي الإسلام محمد ﷺ ، وعن خصائص الأمة المحمدية في كتب ، وأبحاث خاصة ، وبعضهم في داخل مؤلفاتهم ، كما اعتنى علماء علوم القرآن الكريم قديماً وحديثاً بالحديث عن خصائص هذا الكتاب العزيز في داخل مؤلفاتهم ، كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن كثير ، والنووي ، وغيرهم وبعضهم أفرده بدراسة خاصة قديماً كالإمام السيوطي رحمه الله له الخصائص الكبرى ، وحديثاً د. فهد بن سليمان الرومي له " خصائص القرآن الكريم " ، وإن كان الأمر يحتاج إلى الشيء الكثير من الإضافة ، وسوف نذكر بعض هذه الخصائص التي تحدث عنها العلماء ، وزيادة ، وذلك على سبيل الإجمال ، والاختصار ، لا التفصيل ، والاسترسال :

١ - القرآن كلام الله :

من أبرز خصائص القرآن الكريم أنه كلام الله " سورة ، وآياته ، وألفاظه ، وحروفه ، وحركاته ، وسكناته " ، مضاف إلى الله ﷻ إضافة صفة لا إضافة خلق ، وقد نقل ابن الجوزي الإجماع على ذلك في قوله :

« إِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ ، وَأئِمَّةَ الْأُمَّصَارِ قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ إِلَيَّ عَصَرْنَا هَذَا ؛ أَجْمَعُوا عَلَيَّ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ كَفَرَ »^(١) ،
تكلّم به على الوصف الذي يليق بجلاله وعظمته ، منه بدأ ، وإليه يعود ،
كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(٢) ، وقال تعالى :
﴿ نُنزِلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ أَيُّهَا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٤) ،
وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنُنزِلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ
مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾^(٥) ، أنزله على رسوله بواسطة جبريل عليه السلام ، فأسمعه
لرسول الله ﷺ ، وسمعه منه أصحابه رضي الله عنهم بعد أن تلاه عليهم
على مكث ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُنزِّلُاهُ
نُزْلًا ^(٦) ﴾ ، فهو إذا تلي فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القارئ .
وقد كتبه الله ﷻ أولاً قبل أن ينزله في اللوح المحفوظ تعظيماً
وتشريعاً له ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾^(٧) ، وقال

(١) فنون الألفان في علوم القرآن ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، ص : ١٥٦ .

(٢) سورة النحل الآية (١٠٢) .

(٣) سورة فصلت الآية (٤٢) .

(٤) سورة الأعراف من الآية (٣) .

(٥) سورة الشعراء الآيات (١٩٢-١٩٤) .

(٦) سورة الإسراء (١٠٦) .

(٧) سورة الزخرف الآية (٤) .

تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٢) ، ثم أنزله الله تعالى إلى السماء الدنيا كله جملة واحدة في ليلة القدر من رمضان ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٥) ، ثم أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ مفرقاً في بضع وعشرين سنة ؛ حتى اكتمل نزوله ، كما صح بذلك الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : « أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، فكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه فهو قوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٦) ، وفي رواية « أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا ، فكان الله إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئاً أنزله منه ؛ حتى جمعه »^(٧) .

(١) سورة الواقعة الآيات (٧٧-٨٠) .

(٢) سورة البروج الآيات (٢١-٢٢) .

(٣) سورة القدر الآية (١) .

(٤) سورة الدخان الآية (٤) .

(٥) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

(٦) سورة القدر الآية (١) .

(٧) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري، ج ٢/١٤٥، ج ١٥/١٧٨، وأبو عبيدة في "فضائل القرآن" ص ٣٦٧، والنسائي في السنن الكبرى ٤٢١/٦، والبيهقي في شعب الإيمان ١/٣٧٠، ورواه الحاكم في المستدرک ٢/٢٢٢، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقول الصحابي في ما لا مجال للرأي فيه ، كهذه الأمور الغيبية له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ ، والاهتداء برأي حبر الأمة عبد الله بن عباس أولى من القول بقول غيره من الناس ، والله أعلم ، فلا يوجد اليوم في الأرض ما يقطع عليه أنه كلام الله غير هذا القرآن الكريم .

٢- تعدد نزول القرآن وحروفه :

ومن أبرز خصائص القرآن الكريم التي تميز بها عن غيره من الكتب السماوية تعدد نزوله ، وحروفه ، خلافاً لغيره من الكتب السماوية التي كانت تنزل جملة واحدة ، في وقت واحد ، ومكان واحد ، وعلى حرف واحد ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ^(١) ، فكان اعتراضهم على عدم نزوله جملة واحدة لأنه كتب في اللوح المحفوظ ، ثم نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة في ليلة القدر؛ كما قال ذلك عبد الله بن عباس ، ثم نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة على حسب النوازل ، والحوادث ، وما يحتاجون إليه من أحكام ، وحكم ، وفي ذلك من الحكمة والفوائد الشيء الكثير ، إذ فيه تسلية للنبي ﷺ ومن آمن معه ، وتثبيت لفؤادهم ، وأسهل في الفهم ، والحفظ والعمل ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُرَتِّلُهُ تَرْتِيلاً ^(٢) ، كما أن في نزوله منجماً رد لشبهة المشركين ، وفضح

(١) سورة الفرقان الآية (٣٢) .

(٢) سورة الإسراء (١٠٦) .

لمكائدهم ، واعتراضاتهم ، وما تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي بحجة ، أو شبهة ، أو افتراء ، ﴿إِلَّا حِثَّاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(١) ، كما أن التدرج في العلم والعمل من أنفع أساليب التربية والتعليم ، وغير ذلك من الحكم .

وكذلك القرآن الكريم تعدّد في حروفه ، فقد نزل على سبعة أحرف ، والكتب السماوية السابقة كانت تنزل على حرف واحد . كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ »^(٢) .

وسوف يأتي الحديث عن هذا الموضوع بالتفصيل في بابه إن شاء الله .

٣- تعهد الله بحفظ كتابه :

ومن خصائص القرآن الكريم تعهد الله بحفظه من التغيير والتبديل والتحريف ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٤) ،

(١) سورة الفرقان الآية (١٠٦) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ح رقم ٤٦٠٨ ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، ح رقم ١٣٥٤ .

(٣) سورة فصلت الآيات (٤١ ، ٤٢) .

(٤) سورة القيامة الآية (١٧) .

أي حفظه . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) ، فهذا هو القرآن الكريم بعد أكثر من ألف وأربعمائة عام محفوظ بحفظ الله تعالى كما أنزل على الرغم مما تعرضت له الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل من أحداث عظيمة ؛ ضاعت فيها الخلافة الإسلامية ، وتمزق العالم الإسلامي إلى دويلات متفرقة ، ومسخت الهوية الإسلامية في كثير من الدول ، وفقد الكثير من التراث ، فهو محمي الجانب من الزيادة والنقصان ، ومن يحاول فعل ذلك يذيقه الله سوء العذاب في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى مخاطباً من يتهمون الرسول ﷺ بالزيادة فيه بقوله : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ ^(٢) ، فإذا كان النبي ﷺ مع جلالة قدره ، إذا زاد شيء أو نقص منه - وحاشاه ذلك - بين الله أنه كان سيعاجله بالعقوبة الشديدة ؛ ففي ذلك دلالة واضحة على صدق رسوله ﷺ ، وأن هذا القرآن لا يستطيع أحد أن يبدل أو يغير فيه شيئاً ، وسيظل محفوظاً محمياً إلى أن يرفعه الله ﷻ في آخر الزمان ، كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ؛ حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ، ولا نسك ، ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير

(١) سورة الحجر الآية (٩) .

(٢) سورة الحاقة الآيات (٤٤-٤٦) .

والعجوز يقولون : « أدركنا آباءنا على هذه الكلمة " لا إله إلا الله " فنحن نقولها »^(١) ، قال الألباني بعد تصحيحه لهذا الحديث " وفي هذا الحديث إشارة إلي عظمة القرآن ، وأن وجوده بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ، ورسوخ بنيانه ، وما ذلك إلا بتدارسه وتدبره وتفهمه ، ولذلك تعهد الله تبارك وتعالى بحفظه إلي أن يأذن الله برفعه "^(٢) ، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه « يسري على كتاب الله ليلا فيصبح الناس ليس في الأرض ، ولا جوف مسلم منه آية »^(٣) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « يطرق الناس ريح حمراء ، يعني في آخر الزمان من قبل الشام ، فلا يبقى في مصحف رجل ، ولا في قلبه آية ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ وَلَنْ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٤) ، ولتيم الله حفظه يسر حفظه في الصدور ، وسخر له في كل زمان من يقومون بحفظه في السطور ، لذا لا نجد كتاب في الأرض وجد حفظه من الحفظ في الصدور ، والتوثيق والعناية بكتابته في السطور كما وجد هذا الكتاب العزيز ، فهو محفوظ بحفظ الله .

(١) رواه ابن ماجة في سننه ، ح رقم ٤٠٤٩ ، وابن حبان في صحيحه رقم ٦٨٥٣ ، والحاكم في المستدرک ، ح رقم ٨٤٦٠ ، وقال " حديث صحيح على شرط مسلم " .

(٢) انظر سائلة الأحاديث الصحيحة ج/١٢٨ .

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في "اختصاص القرآن بعوده إلي الرحيم الرحمن " ح رقم ١٧ ، والدلمي في الفردوس ١٦٧/٤ " وقال صاحب المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، إسناده صحيح ص : ١١ .

(٤) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٧٨٣ .

كما هو ذو فاعلية مستمرة ؛ فعلومه لا تنتهي ، وأخباره وقصصه دروس عبر الزمان والمكان ، وتشريعاته علاج لكل الناس ، فهو محتفظ بجدائته كأنه أنزل اليوم لمعالجة مشاكلنا المعاصرة سبحانه ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ ^(١) ، فهو محفوظ وذو فاعلية دائمة .

أما الكتب السماوية السابقة فلم يكتب الله لها الحفظ لذا غيّرت وُبدلت ، وانقطع حُفظها ، وعفت آثارها ، كما أنّها كانت لعلاج واقع في زمن معين .

٤- القرآن معجزة الرسالة :

من خصائص القرآن الكريم التي تميّز بها عن غيره من الكتب ، أنّ الله ﷻ جعله آية الرسالة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٢) .

وذلك يجعله معجز للحلق أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

(١) سورة غافر الآية (٧) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، ح رقم ٤٥٩٨ ، ٦٧٣٢ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، ح رقم ٢١٧ " واللفظ لمسلم " .

فَأْتُوا سُورَةَ مِّن مِّلَّةٍ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

وجه الإعجاز فيه أنه كلام الله الذي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢) ، ليس كلاماً مخلوقاً ، فالفرق بين كلام الخالق وكلام
المخلوق كالفرق ما بين ذات الخالق وذات المخلوق ، فقد جعل الله فيه
من الآيات البيّنات ، والبراهين القواطع ما يدل على وجه إعجازه ، وقت
نزوله وبعده ، بوجه كثيرة نذكر منها ما يلي :

١- ما تميّز به من ألفاظ فصيحة عذبة ، وجمل بليغة قد أحكمت نظاماً ،
وتأليفاً ، ومعنىً ، في إيقاعات صوتية عجيبة ، جاذبة للسمع والقلب ، مع
صلات نحوية وبلاغية ؛ يعجز عن مثلها بلغاء البشر ، مع أن حروفه
حروفهم ، وألفاظه ألفاظهم ، وهو من أبرز أنواع الإعجاز الذي تحدّى
الله به العرب في تلك الفترة ؛ لأن أعظم ما كان يجيدونه الفصاحة والبيان ،
شعراً ، ونثراً ، فتحدّاهم الله ﷻ عندما قالوا عنه أنه قول بشر ، فطلب
منهم أن يأتوا بمثله ! قال تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ
مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣) . فعجزوا بأن يأتوا ولو بآية من مثله كما حسم

القرآن الكريم ذلك منذ البداية ، قال الأديب مصطفى الراجعي : « فقطع

(١) سورة البقرة الآيتان (٢٤، ٢٣) .

(٢) سورة الشورى الآية (١١) .

(٣) سورة النور الآيتان (٣٣، ٣٤) .

أنهم لن يفعلوا ، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله ، ولا يقوها
عربي في العرب» ^(١) ؛ لأنه من أين لبشر أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولم
يجالس من قبل الرسالة معلّم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَلُو مِن قَبْلِهِ مِن
كِتَابٍ وَلَا مِثْلَهُ بَيْنِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُنْبِطُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ ^(٣) ، ولم يكن شاعراً
ولا أديباً كما قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ ^(٤) ليأتي بكلام
يؤكد لهم أنهم لن يأتوا بمثله أبداً .

وهذا النوع العظيم من أنواع الإعجاز قد سلّم له كل بلغاء البشر؛
حتى الذين لم يؤمنوا كالوليد بن المغيرة الذي قال : « والله إن لقوله الذي
يقول لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه
ليعلو وما يُعلَى ، وإنه ليحطم ما تحته » ^(٥) .

ولا يدرك ذلك في زماننا هذا إلا من رزق حظاً من المعرفة بلغة
العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، حتى يستطيع أن يميز هذه الجوانب
العظيمة ؛ التي جعلت كبرياء قريش بفحول شعرائها وأدبائها يتحطم .

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، ص ١٧٠ .

(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٨) .

(٣) سورة الشورى الآية (٥٢) .

(٤) سورة يس الآية (٦٩) .

(٥) رواه الحاكم في المستدرک ، ج ٢/٥٠٦ ، ٥٠٧ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط

البخاري ولم يخرجاه وواقفه الذهبي .

* كما أنه مع ما فيه من فصاحة ، وبلاغة ، اشتمل على ألفاظ العرب جميعاً ، ففيه كلام بلغة قريش ، وكلام بلغة هذيل ، وكلام بلغة تميم ، وهوازن ، واليمن ونحوها ، فقد ورد عن ابن عباس قوله في قوله تعالى : «وأتم سامدون» ^(١) قال : السمود: الغناء بلغة حمير ، فهي لغة يمانية يقال : سمد لنا : أي غن لنا ، لأنهم كانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا» ^(٢) ؛ بل نجد بعض الكلام والألفاظ التي وردت في القرآن الكريم خفيت حتى على قريش ، كما قال عمر لما تلا سورة النحل يوم الجمعة ، ووقف في قوله تعالى : «أو يأخذهم على تخوف» ^(٣) ، فقال : «ما التخوف ؟ فسكت الحاضرون ، فقال له رجل من هذيل : يا أمير المؤمنين التخوف في لغتنا التنقُّص» ^(٤) ، فلا أحد قديماً أو حديثاً يستطيع أن يحيط بلغة العرب ، فالألفاظ والمعاني والتراكيب النحوية فيه تنوعت ، ودخلت فيها كل لغات العرب الفصحى ، وهذا لا يمكن أن يكون بمقدور الخلق ؛ لأنه لا يحيط باللغات إلا الذي يعلم السر وأخفى ، والذي أحاط بكل شيء علماً .

(١) سورة النجم الآية (٦١) .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٥٩/٢٢ ، والمصباح المنير ص ١٣٢٥ ، والجامع لأحكام القرآن ج ١٣٢/١٧ ، وزاد المسير لابن الجوزي ج ٢٤٠/٧ .

(٣) سورة النحل الآية (٤٧) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١٠/١١ ، وزاد المسير ، ج ٣٢٩/٤ ، والكشاف للزمخشري ، ج ٤١١/٢ .

* كما أنَّ المعاني التي جاءت في القرآن الكريم مع تنوعها ، واختلاف زمان ومكان نزولها نجدتها متناسبة مترابطة ؛ لا قصور فيها ، ولا خلل ، ولا اختلاف بينها ، ولا تعارض ؛ بل يصدق بعضها بعضا ، قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١) وليس ككلام البشر ، الذي لا يخلو من قصور ، ونقص ، وخلل ، وعدم تناسب وتناسق ؛ خاصة إذا اختلف زمانه ومكانه .

وهذا النوع من أنواع الإعجاز واسع ، وتحدث فيه العلماء كثيراً ، وأفردوا له المؤلفات الخاصة .

٢- الإخبار بالغيب من دلائل الإعجاز في هذا الكتاب العظيم ، إذ الغيب مما اختص الله به نفسه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) ، ولا أحد يستطيع أن يدعي شيئاً مما اختص الله به نفسه من علم ، فمن أين لرسول الله ﷺ أن يأتي بأخبار أمم ماضية ؛ بعضهم اندثرت آثارهم في الأرض ، كـ « قصة نوح مع قومه ، ويوسف مع أخوته ، وموسى وفرعون ، وبعضها لها أثر ، ويصورها بصورة دقيقة ، وهو لم يرها ، كقصة عاد ، وثمود ، وقوم لوط ونحوهم ؛ بل بعضها كان في السماء ، كقصة آدم وإبليس ، إن لم يكن ذلك بوحي من الله تعالى ،

(١) سورة النساء الآية (٨٢) .

(٢) سورة لقمان الآية (٣٤) .

كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (١)

ومن أين له أن يأتي بأخبار الملكوت الأعلى فيما يتعلق بالأخبار عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وملائكته ، وجنسته وناره ، والقيامة وأشراطها ، وأهوالها ، من أمور كثيرة لا سبيل للبشر بمعرفتها إلا بوحي من الله ﷻ .

* بل كان القرآن الكريم يخبر رسوله بما تكنه بعض النفوس ، وما يدور من خفايا الأمور، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَخْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ نَنْزِلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تَنْبِئُهُمْ بِمَا فِي

(١) سورة هود الآية (٤٩) .

(٢) سورة التوبة الآية (٦١) .

(٣) سورة المنافقون الآية (٨) .

(٤) سورة التوبة الآية (٧٤) .

(٥) سورة التوبة الآية (١٠٧) .

قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تُحَدِّثُونَ ﴿١﴾ ، بل يخبر الله ﷻ عن أمور قبل
 أن تقع ، وتقع كما أخبر القرآن الكريم بما لا يمكن لبشر أن يأتي بمثله
 كما قال تعالى عن أبي لهب وامرأته : ﴿ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ
 حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ (١) فيموتا على كفرهما ، ويقول عن الوليد : ﴿ سَأَصْلِيهِ
 سَعْرًا ﴾ (٢) ، فيموت على كفره ، ويقول تعالى : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ (٣) ،
 فيهزم الله جمعهم في بدر ، ويقول تعالى : ﴿ لَمْ يَغْلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى
 الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَّغْلِبُونَ * فِي يَضَعُ سِنِينَ لِلَّهِ الْأُمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدُ
 وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) ، فما هي إلا سنوات حتى تنتصر الروم على
 فارس ، ويفرح أهل الإيمان بذلك ، ويقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
 مُبِينًا ﴾ (٥) ، ويقول : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَدْخُلْنَا الْمَسْجِدَ
 الْحَرَامَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
 فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٦) ، فيتحقق ذلك كما أخبر القرآن الكريم .

(١) سورة التوبة الآية (٦٤) .

(٢) سورة المسد الآيتان (٣،٤) .

(٣) سورة المدثر الآية (٢٦) .

(٤) سورة القمر الآية (٤٥) .

(٥) سورة الروم الآيات (١-٤) .

(٦) سورة الفتح الآية (١) .

(٧) سورة الفتح الآية (٢٧) .

ألا يدل كل ذلك على أنه كلام الله أوحاه إلى رسوله الكريم؟! .

٣- بل نحمد أعظم دلائل الإعجاز في هذا الكتاب المجيد ما جواه من حقائق علمية يسلم لها المؤمن والكافر قديماً وحديثاً ، وهي حقائق لا يمكن لبشر أن يحيط بها مهما كانت قدراته العلمية ، والعقلية ، وبعضها لم يصل إليها الإنسان اليوم إلا بعد جهود علميه استمرت عشرات ، بل مئات السنين ، سواء تلك الحقائق المتعلقة بالنفس ، أو الكون من سماء ، وأرض ، وبحار ، وجبال ، وفضاء ، ورياح وغيرها ، خاصة جاءت هذه الحقائق في فترة كانت وسائل الاكتشاف بل حتى الكتابة بدائية ، من هذه الحقائق ، حقيقة خلق الإنسان ، وتطور مراحل نموه ، قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ ^(١) ، ثم يفصل القرآن هذه الأطوار أولاً في بطن الأم ؛ وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * تَمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَحَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَحَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا تَمَّ أَشْأَانَهُ خَلَقَا آخَرَ قَبَارِكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(٢) ، ثم يفصل هذا الخلق الآخر خارج بطن الأم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ تَمَّ مِنْ نُطْفَةٍ تَمَّ مِنْ عَلَقَةٍ تَمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً تَمَّ لَبَلُّوْا أَشَدُّكُمْ تَمَّ لَكُونُوا

(١) سورة نوح الآيتان (١٣ ، ١٤) .

(٢) سورة المؤمنون الآية (١٢ - ١٤) .

شَيْوِخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْفَىٰ مِنْ قَبْلِ وَلْيَلْعَبُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ ،

فأفادت هذه الآيات حقائق علمية كثيرة ، منها أن الله ﷻ وحده الذي تفرد بالخلق ، وغيره لا يخلق شيئاً ، كما جاء ذلك واضحاً في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ

ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾ (٣) ، كما أفادت عن أطوار خلق

الإنسان ، ولم يكن النبي ﷺ طبيباً بارعاً في الطب البشري ، يمتلك أجهزة تصوير متطورة حتى يأتي بهذه الحقائق الثابتة القاطعة عن هذه الأطوار في

داخل الرحم ؛ التي لم يصل إليها الإنسان اليوم إلا بعد أن تطور العلم بصورة فائقة ، بل يحدّد الموعد الذي ينفخ فيه الروح ، ويوضّح الله تعالى

في كتابه الكريم أنّ هذه الروح سر لا يمكن للبشر أن يدركوا حقيقتها

كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) ، كما أنّها توضّح أنّ مرحلة الشيخوخة هي مرحلة لا بد

منها ، ولا علاج لها ، وهي مرحلة لمن عمّر في الدنيا ، كما قال تعالى :

(١) سورة غافر الآية (٦٧) .

(٢) سورة الحج الآية (٧٣) .

(٣) سورة النمل الآية (٦٠) .

(٤) سورة الإسراء (٨٥) .

﴿ وَمَنْ تَعَمَّرَهُ نَكَسْنُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١) ، بل يحدّد القرآن مادة خلق الإنسان ، ومن أين تخرج هذه المادة ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾^(٢) ، ويجعل القرآن سر الحياة وارتباطها ، إنساناً ، ونباتاً ، وطيئراً ، وغير ذلك في الماء ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) ، حقاً أنّ كل ذلك آيات لقوم يعلمون ، ويعقلون ، و يؤمنون ، ويوقنون ، ولكن من يضلّل الله فلن تجد له ولياً مرشداً ، وهذا باب واسع ، وما ذكرناه غيض من فيض ، فهل يمكن أن يحيط بشر أمّي بكل هذا؟! وغيره كثير من آيات جاءت تتحدث عن السماء والأرض ، والبحار ، والرياح ، ونحو ذلك ، أم هي آيات الله فقط كلف النبي ﷺ ببلاغها ، وبيانها للناس ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُلْوَاهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٤) ، ولكنّ العقول التي لم تؤمن بالقرآن وما فيه من آيات بيّنات قاطعة لكل شك وريب؛ لن تؤمن لشيء بعده كما قال تعالى : ﴿ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تُلْوَاهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ

(١) سورة يس الآية (٦٨) .

(٢) سورة الطارق الآيات (٧-٥) .

(٣) سورة الأنبياء الآية (٣٠) .

(٤) سورة البقرة الآية (٢٥٢) .

(٥) سورة الأعراف الآية (١٨٥) .

يُؤْمِنُونَ»^(١) ، فكل هذا وغيره يدل دلالة الشمس في رابعة النهار على أن هذا القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله ﷺ ، وجعله بهذه الأسرار الكثيرة العظيمة معجزة ناطقة بصدق رسالته ﷺ عبر الزمان .

٤ - كما أننا نجد جوانب الإعجاز بارزة في تشريعاته الشاملة ، والكاملة لكل حاجات البشرية على اختلاف زمانهم ، محققة العدل في أدق صورته ، وداعية إلى مثل لا مثل لها في الأرض ، ولا يمكن لبشر أن يصل إليها مهما كان علمه ، وعقله ، وصلاحه ؛ بل كلما تفكرت فيها تذكّرت قول الله ﷻ : ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ تَزْلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢) ، فهي صدق في المعاملة ، قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾^(٤) ، وسداد في القول ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٥) ، وعفو في المقدرة ، قال تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٦) ، ومشاورة في الرأي ، قال تعالى : ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٧) ، وتعاون في الخير ، قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ

(١) سورة الجاثية الآية (٦) .

(٢) سورة الاسراء الآية (١٠٥) .

(٣) سورة المطففين الآية (١) .

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٨) .

(٥) سورة الأحزاب الآية (٧٠) .

(٦) سورة الشورى الآية (٤٣) .

(٧) سورة الشورى (٣٨) .

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) ^(١) ، وعدل في الحكم ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) ^(٢) ، وردع في الحدود قال تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَٰةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ^(٣) ، وغيرها كثير بصورة لا يمكن لبشر أن يحيط بها أو يقدر عليها . سبحانك ربي إني كنت من الظالمين ، آمنت بكتابتك الذي أنزلت ، ورسولك الذي أرسلت ، والحمد لله رب العالمين .

٥- شمولية خطاب القرآن :

ومن خصائص القرآن الكريم جعله الله كتاب هداية للإنس والجن كافة ، للإنس أبيضهم وأسودهم ، ذكرهم وأنثاهم ، حاضرهم وغائبهم ، فهو رسالة الله إلى الناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿بَارِكْ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ^(٤) ، وقال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) ^(٥) ، وقال تعالى : ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) ^(٦) ، فأم القرى هي مكة ، ومن حولها :

(١) سورة المائدة الآية (٢) .

(٢) سورة المائدة الآية (٨) .

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٩) .

(٤) سورة الفرقان الآية (١) .

(٥) سورة البقرة الآية (١٨٥) .

(٦) سورة الشورى الآية (٧) .

سائر البلدان شرقاً ، وغرباً ، وشمالاً ، وجنوباً ، فهو خطاب الله للإنسان على امتداد الزمان ، وتنوع المكان ، كما أنه رسالة الله للجن جميعاً ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِبُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ (١) ، وقال تعالى عنهم كذلك لرسوله ﷺ أمر له أن يخبر قومه بذلك : ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمِعْتُمْ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (٢)

بل يفتخرون ويفاخرون بإيمانهم ، وأتباعهم للقرآن الكريم قال تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (٣) فهو خطاب شامل للإنس والجن ، يدل على عموم هذه الرسالة وشموليتها ، وهو ما لم يكن لكتاب قبله ، كما جاء عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : « وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » (٤) ، فليس في الأرض كتاب اليوم يخاطب الناس عامة ،

(١) سورة الأحقاف الآيات (٢٩ - ٣١) .

(٢) سورة الجن الآيات (١٠٢) .

(٣) سورة الجن الآية (١٣) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب السقيم بباب قول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا ح/ ٣٢٣ ، ومسلم ، كتاب المساجد ، ح/ رقم ٨١٠ .

والجنّ كافة إلى كل ما فيه صلاحهم الدنيوي والآخروي كهذا القرآن الذي عمّ خطابه ، وكمل هديه ، ووضح بيانه .

٦- القرآن شفاء للناس :

ومن خصائص القرآن الكريم أن جعله الله شفاء للناس من أمراضهم المعنوية والحسية ، والشفاء هو غاية الدواء ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾^(٢) ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) فهو علاج لأمراض القلوب المعنوية كالشك ، والشرك ، والنفاق ، والزيف ، والضلال ، والشهوات ، وعلاج لأمراضنا الحسية ، حتى التي يعجز عن علاجها الأطباء ، كما هو معروف في السنة عن مسألة التداوي بالقرآن، فعن عائشة رضي الله عنها: « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَيَّ نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا »^(٤) .

(١) سورة الإسراء الآية (٨٢) .

(٢) سورة فصلت الآية (٤٤) .

(٣) سورة يونس الآية (٥٧) .

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، ح رقم ٤٦٢٩، ومسلم،

كتاب السلام ، باب : رقية المريض بالمعوذات والنفث، ح رقم ٤٠٦٦ ، وأبي داود، كتاب

الطب، باب: كيف الرقي، ح رقم ٣٣٠٣ .

وأقر أصحابه على الاستشفاء بالقرآن ، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه « أن ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حيٍّ من أحياء العرب فلم يقرّوهم ، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيّد أولئك ، فقالوا : هل معكم من دواءٍ أو راقٍ ؟ فقالوا : إنكم لم تقرّونا ، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً ، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء . فجعل يقرأ بأمر القرآن ، ويجمع بزاقه ، ويتفيل ، فبرأ ، فاتوا بالشاء فقالوا : لا نأخذُه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألوه ، فضحك ، وقال : « وما أدراك أنّها رقيةٌ خدوها واضربوا لي بسهمٍ » ^(١) . لكن التداوي بالقرآن يحتاج إلى انضباط بهدى الشرع ، مع يقين راسخ ، وتوكّل على الله كامل ، وطهارة للظاهر والباطن ، قال الزركشي رحمه الله : « لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيتَه ، وتدبّر الكتاب في عقله وسمعه ، وعمر به قلبه ، وأعمل به جوارحه ، وجعله سميره في ليله ونهاره ، وتمسك به وتدبره » ^(٢) .

٧- شفاعة القرآن لأصحابه يوم القيامة :

ومن خصائص القرآن الكريم أنه يشفع لأصحابه يوم القيامة ، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « أقرءوا القرآنَ فإنّه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابه » ^(٣) .

(١) رواه البخاري ، كتاب الطب ، باب : الرقى بفاتحة الكتاب ح رقم ٥٢٩٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، ج ٣/٤٣٦ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : قراءة القرآن وسورة البقرة ، ح

رقم ١٣٣٧ .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « القرآن حجة لك أو عليك »^(١) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « القرآن شافع مشفع »^(٢) ، كما أن هنالك شفاعاة للأنبياء ، والشهداء والصالحين ، فكذلك جعل الله للقرآن شفاعاة لأهله تحجبهم من النار ، وتدخلهم الجنة بإذن الله .

٨- قوة تأثير القرآن في النفوس :

كذلك من خصائص القرآن الكريم قوة تأثيره في النفوس المؤمنة والكافرة ، أما المؤمنة فهو واضح في قوله تعالى : « وَإِذَا بَلَغْتَ عَلَيْهِم آيَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا »^(٣) ، وقال تعالى : « اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَاهِماً مَّا نُنزِّلُ نَسْفَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ »^(٤) ، وأما الكافرين فلقوة تأثيره قالوا لبعضهم ، كما قال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ »^(٥) ، أما الجن فقد قال تعالى عنهم عندما سمعوا لهذا القرآن « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى

(١) رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ح رقم ٣٢٨ ، سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب : منه ، ح رقم ٣٤٣٩ ، والنسائي ، كتاب الزكاة ، باب : وجوب الزكاة ، ح رقم ٢٣٩٤ .

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف رقم ٦٠١٠ ، وابن شيبانة في مصنفه رقم ٣٠٠٤٥ .

(٣) سورة الأنفال الآية (٢) .

(٤) سورة الزمر الآية (٢٣) .

(٥) سورة فصلت الآية (٢٦) .

الرُّشْدِ فَاْمْتًا بِهِ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا^(١) ، وذلك لتنوع أسلوبه بين الترغيب والترهيب ، وبين القصص والأمثال ، والأمر والنهي ، والمثل والحوار ، والأسئلة والاستفهام ، في صورة يفهمها العالم والعامي ، كل يجد في خطابه حظه مهما كان علمه وتخصصه ، ولا يدرك غوره ، ولا تشبع نفسه ، ولا تمل روحه من ترداده ، أو البحث عن معانيه ، في أسلوب يخاطب العقل بحجج مقنعة قاطعة لكل شبهة ، وأسلوب عاطفي يأخذ النفوس من دواخلها بكلماته الطيبة إلى ما فيه الخير في الدارين ، أما القلوب المعرضة ، النافرة المنكوسة ، المتكبرة فلا يزيدها نور القرآن إلا عمى ، وهدية إلا خسارة ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا^(٢) .

٩- تعدد فضائل القرآن :

ومن خصائص هذا الكتاب أنه تعدد في فضائله ، إذ هو خاتم الكتب السماوية ، والشامل لما جاء فيها ، والمهيمن عليها ، فالحق ما أحقه القرآن ، والباطل ما أبطله ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ^(٣) ، وقد أنزله الله ﷻ على آخر وأعظم رسول أرسله لخير أمة أخرجت للناس ، وجعل له من الأسماء والصفات ما

(١) سورة الجن الآيتان (١،٢) .

(٢) سورة الإسراء الآية (٨٢) .

(٣) سورة المائدة الآية (٤٨) .

لم يجعله لغيره من الكتب ، وحوى من الأحكام والهدى ما لم يشمله كتاب قبله ، وخص حامله ومتعلّمه بأجر ورفعة في الدنيا والآخرة لا توجد في غيره ، فقد جمع هذا الكتاب من الفضائل ما لم تجتمع لكتاب آخر من الكتب السماوية ، وقد سبق الحديث عن هذا في باب فضائل القرآن الكريم بما يغني عن إعادته .

١٠ - خصائص متعددة تتعلق بالقرآن :

كما أن للقرآن الكريم خصائص أخرى كثيرة منها ، أنه لا تجوز روايته بالمعنى ، ووجوب الإصغاء إليه عند تلاوته مع استعاذة ، وبسملة ، وطهارة لتلاوته ، وأنه قطعي الورد ، سورة ، وآياته وألفاظه ، وسكناته وحركاته ، انعقد الإجماع على ذلك ، كذلك من خصائصه أن الله ﷻ يسره للعلم والعمل ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾^(١) ، ومن خصائصه أن الله ﷻ جعله قرآناً عربياً غير ذي عوج ، وغير ذلك من خصائص كثيرة تحتاج أن تفرد ببحث خاص كلها تدل على عظمة هذا الكتاب الذي شرف الله به أمة الإسلام ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢) قال ابن عباس : "شرفكم"^(٣) وقال تعالى :

(١) سورة القمر الآية (١٧) .

(٢) سورة الأنبياء الآية (١٠) .

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ص ٨٦٠ .

﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَرَحْمَتِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(١) ، فيجب على أمة شرفت بهذا الكتاب العظيم أن تقبل على تعلمه ، والعمل به أثناء الليل ، وأطراف النهار ، لتنال بذلك شرف الدنيا والآخرة .

(١) سورة الزخرف الآية (٤٤) .

المبحث الخامس

جمع القرآن الكريم

جمع القرآن الكريم

تضافرت الأدلة الكثيرة التي توضح حفظ الله ﷻ لكتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿إِنَّا مَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿وَأَمَلْنَا مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣) ، فهذه الأدلة وغيرها تدل بصورة قاطعة على حفظ الله ﷻ لكتابه من التغيير والتبديل على امتداد الزمان، وأن الخلق لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك ، وقد هيأ الله الأسباب العظيمة التي من خلالها تحقق هذا الحفظ العظيم لكتابه العزيز ، وذلك من خلال نوعين من أنواع الجمع تمامًا في عهد النبي ﷺ واستمرًا إلى يومنا هذا ؛ بل وزادت وسائل أخرى تعين على الحفظ له في عصرنا الحديث ، وكل هذا الذي وقع هو مما قدره الله وأراده ليحفظ به كتابه ، ولو أراد الله بدون هذه الأسباب لتم ذلك ، ولكن أراد الله أن تجري سنته في الكون بربط الأسباب بمسبباتها ، وأن يرفع الله درجات من يقومون بهذا العمل العظيم عبر التاريخ ، وينالون شرف خدمة هذا الكتاب المجيد الذي يشرف بخدمته كل مسلم

(١) سورة الحجر الآية (٩) .

(٢) سورة الكهف الآية (٢٧) .

(٣) سورة فصلت الآيتان (٤١ ، ٤٢) .

صدق في إيمانه ، ومن هنا سوف يتم الكلام على نوعي الجمع اللذين تمّا لكتابه منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا دون انقطاع .

النوع الأول : جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور :

حفظ النبي ﷺ للقرآن :

من أبرز خصائص القرآن الكريم أن يسره الله ﷻ للحفظ ، والفهم ، والعمل قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(١) ، قال السعدي رحمه الله : « أي : ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم ، ألفاظه للحفظ والأداء ، ومعانيه للفهم والعلم ، لأنه أحسن الكلام لفظاً ، وأصدق معنًى ، وأبينه تفسيراً ، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير ، وسهّل عليه ... ولهذا كان علم القرآن حفظاً ، وتفسيراً ، أسهل العلوم ، وأجلها على الإطلاق ، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين عليه »^(٢) .

وقد تكفل الله ﷻ لرسوله ﷺ منذ بداية الوحي أن ينزل عليه كتاباً ينقش على الصدور قبل السطور ، كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم ، قلت إذن يثلقوا رأسي حتى يدعوه خبزاً ، فقال : «...إِنَّمَا بَعَثُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِيَّ

(١) سورة القمر الآية (١٧) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٢٦ .

بك، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ» (١) وفي هذا إشارة إلى أن حفظه لا يعتمد فقط على كتابته وتدوينه على ألواح وصحف يمكن أن تُغسل بالماء فيزول ما فيها ، وقد أنزل الله ﷻ منذ بداية الوحي على رسوله ﷺ عندما كان يعاني من التنزيل شدة : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ، كما روى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قَالَ : جَمَعُهُ فِي صَدْرِكَ ، ثُمَّ تَقْرُؤُهُ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَسْمِعْ قُرْآنَهُ﴾ ، قَالَ : فَاسْتَمِعَ لَهُ وَأَنْصَتُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷻ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَمَعَ ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أقرَأَهُ» (٢) .

وهذا يدل على شدة عناية النبي ﷺ منذ بداية الوحي بحفظه في صدره وهذا هو سمت العلماء ، كما قال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (٣) .

(١) رواه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ، ح رقم ٥١٠٩ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى (لا تحرك به لسانك) ، ح رقم ٦٩٧٠ ، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب : الاستماع للقراءة ، ح رقم ٦٨٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآية (٤٩) .

ومن هنا كان النبي ﷺ أول من جمع القرآن الكريم في صدره ،
 وذلك وفق عناية إلهية خاصة ، تظهر بصورة واضحة من خلال مدرسة
 جبريل معه القرآن الكريم ، كما ورد عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضي
 الله عنها قالت : « أُسْرَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ
 سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي » (١) ،
 والعرض الذي كان يتم بينهما هو صورة من صور الإجازة التي تتم اليوم
 لحملة كتاب الله ﷻ ، ولا يعتبر الإنسان حافظاً متقناً إلا إذا تلقاه عن
 شيخ متقن ، وعرض عليه ما عنده من قرآن ، وأجازه على ذلك ، وبهذا
 يكون قد نال النبي ﷺ إجازة كبرى على جمعه للقرآن من هذا الملك
 الكريم ، المكلف بإنزال القرآن الكريم ، وهي أعلى إجازة لم ينل شرفها
 غيره ﷺ .

حفظ الصحابة ومن بعدهم للقرآن الكريم :

أقبل أصحاب النبي ﷺ على تعلم القرآن الكريم حفظاً ، وفهماً ،
 وعملاً ، بصورة يندر لها مثل ، ومما دفعهم على حفظه ، والإقبال عليه
 بصورة خاصة ؛ تشجيع النبي ﷺ لهم على ذلك ، ويظهر هذا من خلال :
 أولاً : الأحاديث الكثيرة التي جاءت عن النبي ﷺ تحثُ على حفظ
 القرآن الكريم، منها حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ :
 « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ

(١) البخاري ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ، ح رقم ٣٣٥٣ ، وأحمد ،
 كتاب باقي مسند الأنصار ، باب : أحاديث فاطمة . ح رقم ٢٥٢٠٩ .

الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ» (١) ، ومما ورد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْيَبْتِ الْخَرِبِ » (٢) ، فيفهم منه أنه كلما ازداد القلب قرآناً ازداد عمارةً والله الحمد ، وقوله ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (٣) ، ولا شك أن الحفظ من أعلى مقامات التعلم ، إذ هو محقق لتلاوة صحيحة، وفهم سليم ، والارتباط بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً ، ولذا نجد حفاظ القرآن هم أكثر الناس تلاوة له ، وذلك لأنه يحتاج إلى معاهدة مستمرة كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

ثانياً : من خلال سنته العملية التي تشير بصورة واضحة إلى منزلة ومكانة أهل القرآن العالية عند الله ﷻ ؛ إذ كان النبي ﷺ يفاضل بين الصحابة أحياءً وأمواتاً بما معهم من قرآن ، كما فعل بشهداء أحد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ : « أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ » فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ » (٤) .

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب : عيس وتولى كلح وأعرض ، ح رقم ٤٥٥٦ ،

(٢) رواه الترمذي ، ح رقم ٢٨٢٩ ، والدارمي ، ح رقم ٣٢٣٤ ، وقال الترمذي حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : خيركم من تعلم للقرآن وعلمه ، ح رقم ٤٦٣٩ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب : الصلاة على الشهيد ، ح رقم ١٢٥٧ .

وقوله ﷺ: « فَإِذَا حَضَرَتُ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا » (١) ، وبتقدمه لإمامة الصلاة التي هي من أعظم العبادات دلالة على فضله ومكانته .

وقد كان النبي ﷺ يزوج الرجل الذي ليس عنده مهر بما معه من قرآن ، كما ورد في حديث سهل بن سعد في قصة الرجل الذي أراد أن يتزوج المرأة التي عرضت نفسها للنبي ﷺ ، ولم يكن له بها حاجة ، ولم يكن عند الرجل شيء ليكون معه مهراً لها ، فقال له النبي ﷺ : « مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » ؟ قَالَ : مَعِيَ سُورَةٌ كَذَا ، وَسُورَةٌ كَذَا ، وَسُورَةٌ كَذَا ، عَدَّهَا قَالَ : « أَتَقْرَأُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « اذْهَبْ فَقَدْ مَلَكَتْكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ » (٢) .

قال ابن حجر رحمه الله : « فدلَّ على فضل القراءة عن ظهر قلب لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم » (٣) .

ولذا تنافس الصحابة على حفظه ، وتلاوته ، وفهمه ، تاركين لذيد النوم ، وهاجرين دفيئ الفراش ، وهجيع الليل ، للقيام بتلاوته ، والتدبر لمعانيه التي هي أعظم ما يستمتع به أهل الإيمان في ليلهم ، قال

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب أخبرني، ح رقم ٣٩٦٣ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب: القراءة عن ظهر قلب ، ح رقم ٤٦٤٢ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٩٨ / ٩ ، ط : دار السلام ، الرياض ، للطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

تعالى : «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» (١) ، وقال تعالى : «تَجَافَى جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» (٢) ، ولذا كان
يسمع لبيوتهم دويًا كدوي النحل من تلاوة القرآن ، والقيام به في الليل ،
كما قال النبي ﷺ شاهداً على ذلك : «إِنِّي لِأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفَقَةِ
الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ
بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ؛ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ» (٣) ، وقد
كان النبي ﷺ يستمع إلى هذه الأصوات العذبة المنبثقة بين هذه البيوت
المباركة وقلبه منشرحاً بذلك ، مشجعاً لهم على ما يسمع ويرى ، كما
قال لأبي موسى الأشعري ؓ : «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَائَتِكَ الْبَارِحَةَ
لَقَدْ أَوْتَيْتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» (٤) .

ولكن هنالك أسباب أخرى غير تشجيع النبي ﷺ لهم ساعدت
على إقبال الصحابة على حفظ القرآن الكريم منها :

١- غلبة الأمية ، وعدم توفر وسائل الكتابة ، و الكتاب ، جعلهم يقبلون
على التلقي المباشر للقرآن الكريم في صدورهم ، ولعل في ذلك حكمة
عظيمة حيث بعث النبي ﷺ في أمة أمية؛ وذلك ليتحقق الجمع في الصدور

(١) سورة الذاريات الآية (١٧) .

(٢) سورة السجدة الآية (١٦) .

(٣) البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة خيبر ، ح رقم ٣٩٠٦ ، ومسلم ، كتاب
فضائل الصحابة ، باب : من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم ، ح رقم ٤٥٥٥ .

(٤) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : استحباب تحسين الصوت بالقرآن ،
ح رقم ١٣٢٢ .

والسطور بأوسع الأبواب ، إذ لو كانت وسائل الكتابة متوفرة مع الكتاب لضعفت الهمة في حفظه والله أعلم .

٢- قوة الحفظ التي تميّزوا بها ، وهي نتيجة العروبة الخالصة المعروفة بهذا التمييز ، « فإن رؤوسهم كانت دواوين شعرهم ، وإن صدورهم كانت سجلّ أنسابهم ، وإن قلوبهم كانت كتاب وقائعهم وأيامهم »^(١) ، ولعل تلك الحياة البسيطة التي عاشوها ولم يكونوا ينفقون وقتهم إلا في تحصيل الضروريات ، وعدم شغل بالهم بما فاتهم من كماليات ، وفرّ لهم وقتاً ، وأصلح لهم بالاً ؛ وساعدهم على التلقي ، إضافةً إلى طهارة القلوب التي كانت سبباً للتوفيق ، وتيسير الأمور .

٣- منزلة القرآن العظيمة في نفوسهم ، جعلتهم يقبلون عليه بهمة لا تعرف التراخي « يتنافسون في حفظ لفظه ، ويتسابقون في فقه معناه ، وجعلوه متعبّدهم في ليلهم ، ومسلاتهم في فراغهم ، وصاحبهم في أسفارهم ، وأنيسهم في وحدتهم ، وصديقهم الصدوق في منشطهم ومكرهم ، ومستشارهم الأمين في شؤون دينهم ودنياهم ، وما ظنّك بكتاب يعتقدون - وحق لهم ذلك - أنّ تلاوته عبادة ، والاشتغال به من أعظم القربات إلى الله ، وأنّ عزهم لن يكون إلا به ... »^(٢) .

٤- ما تميّز به حملة القرآن من مكانة اجتماعية ؛ كانت حافزاً ودافعاً لهم أيضاً على الإقبال على حفظه ، ولذا كان الرجل إذا حفظ البقرة

(١) مناهل العرفان ج ١/٢٩٢ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن ص ٣٥١ .

وآل عمران جدًّا في أعينهم ، بمعنى عظم ، والروايات الدالة على ذلك كثيرة منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثًا ، وَهُمْ ذُو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ ، فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدِيهِمْ سِنًا ، فَقَالَ : مَا مَعَكَ يَا فَلَانُ ؟ قَالَ : مَعِيَ كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ . قَالَ : أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَادْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ إِلَّا خَشْيَةَ أَلَا أَقُومَ بِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَعُوهُ ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ ، وَقَامَ بِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكَ ، يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْتُقِدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ ، كَمَثَلِ جِرَابٍ وَكَيْئَ عَلَى مِسْكِ » (١) .

٥- ما تمتعوا به من عروبة صافية جعلتهم يدركون جمال النظم القرآني وبلاغته التي سحرت ألبابهم ، وأخذت بمجامع قلوبهم إليه ، وخاصة وهم كانوا يتنافسون على نظم الشعر، والنثر وحفظهما، وقد جاءهم من الكلام ما قد بلغ الكمال في عذوبة ألفاظه ، ودقة بيانه ، وسلاسة أسلوبه ، وجمال نظمه .

(١) رواه الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، ح رقم ٢٨٠١ ، وقال حديث حسن . ثم رواه مرسلًا ، و رواه النسائي في المقدمة ، باب : فضل من تعلم القرآن وعلمه ، ح رقم ٢١٣ .

٦- نزول القرآن منحماً ، وتعليم النبي ﷺ لهم على مكث ، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١) ، وارتباط بعض الآيات والسور بمدلولات ووقائع وأحداث في حياتهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها ، كالأنفال ، والتوبة ، والأحزاب ، الفتح ونحوها ، جعل لها أثراً خاصاً في نفوسهم تدفعهم دفعاً إلى فهمها وحفظها، وذلك لحرارة وقعها عليهم، وإن كان لكل القرآن وقع على نفوسهم ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُشَابِهًا مَوَاطِنَ تَسْمَعُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢)

٧- قوة الإيمان الذي تميزوا بها ، مع صدق توجههم لله ﷻ ، جعلهم يدركون عظمة الله ، وعظمة كلامه ومحبته ، لأن من عرف قدر الله عرف قدر كلامه ، ومن جهل قدر الله جهل قدر كلامه ، كما هو شأن المشركين ، قال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرِاطِينَ بُدُونَهَا وَخُفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمَنَّا مَا لَمْ نَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قُلُوبُ اللَّهِ ثُمَّ دَرَسْتُمْ فِي خُوضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَسَبَهَا فِيهَا تَمَلَى

(١) سورة الإسراء الآية (١٠٦) .

(٢) سورة الزمر الآية (٢٣) .

(٣) سورة الأنعام الآية : ٩١ .

عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا (١) .

ومن هنا فقد حفظ القرآن الكريم عدد كبير من أصحاب النبي ﷺ في حياته ، وبعد مماته ، ومن الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ :
من المهاجرين :

من الرجال : الخلفاء الأربعة ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وحذيفة بن اليمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن السائب وغيرهم .

ومن النساء : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وأم ورقة ، وغيرهن .
ومن الأنصار :

عبادة بن الصامت ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وفضالة بن عبيد ، وسلمة بن مخرمة ، وأبو الدرداء ، وأنس بن مالك ، وأبو قيس بن السكن (٢) ، وغيرهم كثير ممن لم ترد أسماءهم ، ومما يدل على كثرتهم ، كثرة القراء من حملة القرآن الذين قتلوا في معركة اليمامة ؛ التي كانت بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة ، قال القاضي أبو بكر : « ومن تأمل

(١) سورة الفرقان الآيات (٥ ، ٦) .

(٢) انظر الاتقان للسيوطي ج ١ / (٢٤٧ - ٢٥٢) ، والمدخل لدراسة القرآن ، ص : ٢٣٩

هذه الأخبار ، وألفاظها علم ، وتيقن أن أمر القرآن كان بينهم ظاهراً
منتشراً ، وأن حفاظه إذ ذاك كانوا في الأمة عدداً عظيماً ، وخلقاً كثيراً^(١) ،
كما أن بعض هؤلاء الذين ورد ذكرهم في كتب علوم القرآن ؛ قد أكمل
حفظه بعد وفاة النبي ﷺ ، كما يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين ، وقد جمعت المحكم^(٢) .

وقد تلقى التابعون القرآن عن أصحاب النبي ﷺ حفظاً وفهماً ،
خاصة من أولئك الذين تفرغوا لتدريسه كابن عباس ، وابن مسعود ،
وزيد بن ثابت ، وأبي ابن كعب ، وغيرهم ، حتى اشتهر الكثير منهم
بأوجه القراءات ، وأصبحوا أعلاماً ، ومرجعاً للأمة فيها ، ونقلوها بدقة
من سمعوه وتعلموه من أصحاب النبي ﷺ ، كما سوف يأتي ذلك في باب
القراءات إن شاء الله .

لذا استمر حفظ القرآن وجمعه في الصدور في هذه الأمة منذ تلك
القرون المفضلة إلى يومنا هذا بسند متصل جيلاً عن جيلٍ لم ينقطع في فترة
من تاريخها الطويل .

بل نجد اليوم العناية بحفظه تزداد من خلال الجامعات ، والكليات ،
والمعاهد المتخصصة في الدراسات القرآنية ، ومدارس وجمعيات تحفيظ
القرآن ، وغيرها من المؤسسات المنتشرة في العالم الإسلامي ، ذات العناية
الخاصة ، على الرغم من زحمة العلوم ، وكثرة الشواغل ، وتوفر المغريات

(١) المرشد الوجز ص: ٦٣

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن باب تعليم الصبيان القرآن ، ح رقم ٥٠٣٥

الصَّارِفَة ، وانكماش منهج الإسلام في واقع الحياة في كثير من الدول الإسلامية .

حكم حفظ القرآن الكريم :

يأخذ حكم حفظ القرآن الكريم ثلاثة أحكام تكليفية :

١- واجب كفائي على الأمة ، فيجب على الأمة أن توفر العدد الكافي من حملة القرآن بما يثبت به التواتر ، ويتصل به السند ، ويتم التعليم الصحيح للقرآن ، وإلا أمتت الأمة كلها .

٢- واجب عيني على كل فرد مسلم أن يحفظ من القرآن ما يؤدّي به الصلاة ، لأنّ ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب ، كما قال تعالى : ﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(١) .

٣- ومستحب بل من أكد المستحبات ، وفضائل الأعمال ، وهو لما تبقى من دائرة الواجب الكفائي والعيني ، وقد سبق أن ذكرنا الأدلة الكثيرة التي تحث على حفظ القرآن لكل مسلم .

خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور :

١- أنه أوّل علم نشأ من علوم القرآن الكريم .

٢- وأنه دائم لا ينقطع بإذن الله ﷻ إلى أن يرفعه الله ﷻ ، فقد حفظ النبي ﷺ من جبريل ، والصحابة من النبي ﷺ ، ومن بعدهم منهم ، وظل هذا السند متصلاً إلى يومنا هذا ، والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة المزمل الآية (٢٠) .

- ٣- أن الحفظ في الصدور خاص بالقرآن الكريم الذي يسره الله ﷻ للحفظ والفهم والعمل ، ولا يوجد اليوم كتاب غيره يحفظ مثله .
- ٤- يجب على كل مسلم أن يحفظ من القرآن ما يؤدي به الصلاة ، ولا يجب على المسلم أن يكتب منه شيئاً (١) .

النوع الثاني : جمع القرآن بمعنى حفظه في السطور :

كما اهتم النبي ﷺ بتشجيع الصحابة على حفظ القرآن في الصدور اهتم كذلك بحفظه في السطور . وهناك إشارات كثيرة في القرآن والسنة تدل على أهمية جمع القرآن في السطور إليك بعضها :

أولاً : تسمية الله ﷻ القرآن الكريم بأنه كتاب ، والإشارة إليه بذلك كما في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَابِهًا﴾ (٣) ، تشير إشارة واضحة إلى أهمية جمع القرآن في السطور، كما أشار القرآن إلى ذلك بصورة واضحة في قوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَّفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَلُوكُ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٤) ، وهي سنة ماضية في

(١) انظر دراسات في علوم القرآن ، د . فهد الرومي ، ص ٧٣ .

(٢) سورة البقرة الآية (٢) .

(٣) سورة الزمر الآية (٢٣) .

(٤) سورة البينة الآيات (١ - ٣) .

الكتب السماوية السابقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى *
صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١).

ثانياً : ظهور الكتابة في أمة العرب قبل بعثة النبي ﷺ مؤشراً من مؤشرات النبوة ، ومعين من معينات حفظ الرسالة ، وقد أكد القرآن في أول الآيات التي نزلت منه على هذا المبدأ وأهمية تعلم الكتابة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢) ، والتعليم بالقلم إشارة إلى أهمية الكتابة التي هي أكبر الوسائل في حفظ العلوم ، ونقلها بين الأجيال .

ثالثاً : مما يدل على أهمية حفظ القرآن في السطور اتّخاذ النبي ﷺ عدد من كتاب الوحي كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب ، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم ، كان إذا نزل عليه شيء دعا من يكتب وأمره بكتابته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال عثمان رضي الله عنه : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، وَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ عِنْدَهُ يَقُولُ : ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَيُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ ، فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَيُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي

(١) سورة الأعلى الآية (١٨ ، ١٩) .

(٢) سورة العلق الآيات (١ - ٥) .

السُّورَةُ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذًا وَكَذَا...»^(١) ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أهمية تدوين القرآن الكريم .

رابعاً : تشجيع النبي ﷺ لكل من يعرف الكتابة من الصحابة على تدوين القرآن كما قال ﷺ لهم : « لا تَكْتُبُوا عَنِّي ، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ »^(٢) .

خامساً : كما أن الأمن من النسيان لم يعط لأحد بعد النبي ﷺ ، وفي ذلك دلالة واضحة إلى أهمية تدوينه حتى يكون للأمة مرجعية مدونة يرجعون إليها عند النسيان ، أو الاختلاف .

فهذه الأسباب وغيرها ؛ تؤكد على أهمية تدوين القرآن ، وجمعه في السطور منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، وقد مرَّ جمع القرآن في السطور بثلاث مراحل مهمة في تاريخه وهي :

المرحلة الأولى : في عهد النبي ﷺ .

المرحلة الثانية : في عهد أبي بكر الصديق ﷺ .

المرحلة الثالثة : في عهد عثمان ﷺ .

وقد تميزت كل مرحلة بميزات سوف يأتي الحديث عنها بإذن الله ﷻ :

(١) رواه الترمذي ح رقم ٣٠١١ ، وأحمد في المسند ح رقم ٣٧٦ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب : التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، ح

رقم ٥٣٢٦ .

أ- جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد النبي ﷺ :

كتاب الوحي :

اهتم النبي ﷺ منذ بداية الوحي - على الرغم من قلة الكتاب ، وعدم توفر وسائل الكتابة - بكتابة القرآن الكريم وذلك من خلال اتخاذه عدد من كُتَّاب الوحي مع الإذن للمسلمين بكتابته لأنفسهم ، كما قال ﷺ لأصحابه: « لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ »^(١) .
* ومن أبرز كتاب الوحي للنبي ﷺ ، الخلفاء الأربعة ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والزيبر بن العوام ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وحنظلة بن الربيع ، وعبد الله بن الأرقم الزهري ، وعبد الله بن رواحة ، وآخرين^(٢) .

وسائل الكتابة :

لم تكن وسائل الكتابة ميسرة في عهد النبي ﷺ بل كانوا يكتبون على وسائل بدائية توفرت لديهم على حسب الحال ؛ والتي منها :
الرقاع : جمع رقعة ، وهي القطعة التي تكون من جلد أو قماش أو ورق .
والعسب : جمع عسيب ، طرف الجريد العريض بعد أن يكشطون الخوص يكتبون عليه .

واللخاف : جمع لخرة ، بفتح فسكون ، وهي الحجارة الرقيقة .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) انظر فتح الباري ، ج ٢٩/٩

والأقتاب : جمع قتب ، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه .

والأكتاف : جمع كتف ، وهي العظام العريضة من أكتاف الحيوان كالإبل والبقر . وغير ذلك من وسائل توفرت لهم ^(١) .

ولم يتوف النبي ﷺ إلا والقرآن كله مكتوب مجموع عنده في بيته ، وعند عدد من الصحابة ، كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَّاعِ » ^(٢) .

قال ابن حجر رحمه الله : « تأليف القرآن : أي جمع آيات السورة الواحدة ، أو جمع السور مرتبة في مصحف » ^(٣) .

مميزات جمع القرآن في عهد النبي ﷺ :

تميز الجمع الذي تم في عهد النبي ﷺ بعدة مميزات أبرزها ما يلي :

١- كانت كتابته بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ، فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » ^(٤) .

٢- كتب وجمع تحت رعاية إلهية ، إذ لو كان في هذه الكتابة أدنى ملاحظة ، لأخبر الوحي النبي ﷺ ، وذلك لأن الكتابة كانت الأساس

(١) انظر فتح الباري ، خ ١٩/٩ ، والإتقان للسيوطي ج ١/٢٠٦ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب : في فضل الشام واليمن ، ح رقم ٣٨٨٩ ، وقال حسن غريب ، والحاكم في المستدرک ج ٢/٢٢٩ وصححه بقوله على شرط الشيخين .

(٣) فتح الباري ، خ ٤٩/٩

(٤) البخاري ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ح رقم

لكل جمع جاء بعده ، وهي صورة من صور حفظ القرآن الكريم التي قدرها الله ﷻ .

٣- كان مشتتلا على بعض الآيات التي نسخت تلاوة ، لأنها ظلت مكتوبة ولم تخرج من المكتوب حتى توفي النبي ﷺ ، ولكن الصحابة كانوا يعلمون بنسخها قطعاً ، فعن عائشة أنها قالت : « كَانَ فِيمَا أُتْرِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرَّمْنَ » ، ثُمَّ نُسِخْنَ « بِخَمْسِ مَعْلُومَاتٍ » ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ « (١) .

٤- أجمع العلماء على أنه مرتب الآيات ، واختلفوا في ترتيب السور .

٥- لم يكن القرآن الكريم قد جمع في مصحف واحد ، وإنما كان مكتوباً لكن مفرقاً على الرقاع ، والعسب ، والأقتاب ، ونحوها ، ولهذا قال زيد بن ثابت عن الجمع الذي تم في عهد أبي بكر الصديق : « فَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ ، وَصُدُورِ الرَّجَالِ » (٢) .

أسباب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ :

هنالك عدة أسباب أدت إلى عدم جمع القرآن في مصحف واحد

في عهد النبي ﷺ منها :

١- الأمن من ذهاب شئ من القرآن الكريم ، والنبي ﷺ موجود ، والصحابة كانوا إذا اختلفوا في شئ رجعوا إلى النبي ﷺ لا إلى المكتوب ، إذ هو المرجع الأوّل بالنسبة لهم في حياته ، وقد أمنه الله من النسيان ، قال

(١) مسلم ، كتاب الرضاع ، باب : التحريم بخمس رضعات ، ح رقم ٢٦٣٤ .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن ، ح رقم ٤٦٠٣ .

تعالى : ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(١) ، أي: ما شاء الله أن ينسخه .

٢- ما كان يترقبه النبي ﷺ من ورود ناسخ لبعض الآيات ، إذ التشريع لم يكن قد اكتمل .

٣- لأن ترتيب نزول القرآن لم يكن على ما هو عليه اليوم في المصاحف ، وما استقر عليه القرآن في العرصة الأخيرة ، مما كان يضطرهم إلى تغييره كلما نزل شيء جديد ، ولم يكن هذا بالإمكان لعدم توفر وسائل الكتابة ، ومشقتها على تلك الوسائل البدائية .

٤- قصر الفترة بين اكتمال نزول القرآن ووفاة النبي ﷺ ، وهي لم تتجاوز تسع ليالٍ فقط ، وهي مدة لا تكفي لجمع القرآن الكريم .

٥- توفر عدد كبير من حملة القرآن وكتابه ، بصورة لا يخشى معها ذهاب شيء من القرآن الكريم .

ولذا عندما اشتد القتل بالقراء في معركة اليمامة ، وفقد العدد الكبير من حملة القرآن ، أمر الصديق زيد بن ثابت بجمع القرآن في مصحف ؛ يكون مرجعاً للأمة في مستقبل أيامها ، وذلك خوفاً من ذهاب شيء من القرآن . فلما اكتمل نزول الوحي ، وانتهى أمر النسخ ، وتوفي النبي ﷺ ، واشتد القتل بالقراء ، ألهم الله تعالى عمر ، ومن بعده أبي بكر ﷺ على جمعه في مصحف واحد .

(١) سورة الأعلى الآيات (١٦ ، ١٧) .

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

أسباب الجمع :

تولّى أمر الأمة بعد وفاة النبي ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ ، وقد واجهته فتنة عظيمة ، من أبرزها ارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام ، وامتناع بعضهم عن أداء الزكاة ، مما دعا الصديق ﷺ إلى أن يجزم أمره ، ويجرد جيوشه لمقاتلة المرتدين ، والمانعين ، قائلاً قوله المشهورة : « وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ » (١) .

وكان قوام هذه الجيوش أصحاب النبي ﷺ ، ومن أبرزهم حملة القرآن الكريم ، وقد اشتد القتل بالمسلمين في معركة اليمامة ، وقتل الكثير من حملة القرآن ؛ وذلك لشراسة المعركة ، وكثرة المرتدين حتى قيل أن عدد القرءاء الذين قتلوا خمسمائة (٢) ، وقيل سبعمائة ، وقيل أكثر (٣) ، فخشى الفاروق عمر ﷺ أن يشتد القتل بالقرءاء في المواضع الأخرى فيضيع شيء من القرآن بمقتل حملته في المعارك ، إذ العلم يقبض بقبض أهله ، ولذا جاء إلى الصديق ﷺ وحثّه على جمع القرآن في مكان واحد ، على مصحف إمام ، بدلاً من العسب ، والرقاع ، واللخاف ، ونحوها . فتردد الصديق في بداية الأمر ؛ خوفاً من إحداث شيء في الدين لم يفعله رسول

(١) البخاري ، الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، ح رقم ٦٧٤١ ، مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، ح رقم ٢٩ .

(٢) فضائل القرآن ، لابن كثير ، ص ٢٦

(٣) فتح الباري ج ١٦/٩

الله ﷺ ؛ وذلك لشدة حرصه على الأتباع ، وخوفه من الابتداع ، ولكن مراجعة عمر المتكررة له جعلته يطمئن إلى ما اطمان إليه عمر ؛ في أن جمعه في مصحف ليس عملاً محدثاً ، وإنما هو امتداد لما سنه النبي ﷺ ، كما قال الحارث المحاسبي « كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابتها ، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب ، وإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت النبي ﷺ فيها القرآن منتشر ، فجمعها جامع ، وربطها بخيط ؛ حتى لا يضيع منها شيء » (١) . كما أنه محقق لمصالح عظيمة دعت الحاجة إليها لحفظ القرآن الكريم من الضياع ، وقد ورد في صحيح البخاري ما يوضح كل ذلك في رواية زيد بن ثابت ﷺ قال : « أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ مَقْتَلِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحْرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَاءِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَخَشَى أَنْ يَسْتَحْرَّ (٢) الْقَتْلُ بِالْقُرَاءِ بِالْمَوَاطِنِ ؛ فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ لِعُمَرَ : كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ عُمَرُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ . قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ ، عَاقِلٌ ، لَا تَنْهَمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ

(١) الإتيان للسيوطي ج ١/٢٠٥

(٢) استحر : بمعنى اشتد وكثر .

كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِّنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ . فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ فَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللِّخَافِ ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ^(١) ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَتَّى خَايَمَةَ بَرَاءَةَ فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتِهِ ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ﷺ» ^(٢) .

ومن هنا يظهر لنا أن من أسباب الجمع الأساسية الذي تمَّ في عهد

أبي بكر الصديق ﷺ كان هو :

أولاً: الخوف من ذهاب شيء من القرآن الكريم بموت حملته .

ثانياً: أنهم كانوا يريدون جمعاً للقرآن الكريم ؛ يتم بحضور جمهور الصحابة ، وينعقد الإجماع عليه ، على أنه هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ دون زيادة أو نقصان .

وذلك سداً لباب الفتنة ؛ التي ربّما كانت تقع فيما بعد ؛ لو لم

يقدر الله هذا العمل العظيم ؛ الذي تمَّ بعد معركة اليمامة في السنة الثانية عشر للهجرة .

(١) قد جعل النبي ﷺ شهادته بشهادتين ، في قصة الفرس التي ابتاعها النبي ﷺ للإعرابي فأنكر الإعرابي البيع ، وشهد خزيمة بصدق النبي ﷺ .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن ، ح رقم ٤٦٠٣ .

أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لهذا الجمع :

هنالك أسباب أدت إلى اختيار زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ليتولّى هذا الجمع ؛ الذي تمّ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهذه الأسباب بعضها عامة ؛ متوفرة في زيد وغيره ، لكنّها أساس في الاختيار ، وهنالك أسباب خاصة تميّز بها زيد بن ثابت ، مما جعله أهلاً لهذا الاختيار الموفّق من قبل أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب لتولّي هذه المهمة العظيمة .

الأسباب العامة :

١- أنّه كان من حفاظ القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وآله .

٢- أنّه كان من أبرز كتّاب الوحي للنبي صلى الله عليه وآله .

٣- أنّه كان شاباً ، عاقلاً ، غير متهم في دينه ، شهد له الجميع برجاحة العقل ، وشدة الورع ، وكمال الخلق ، واستقامة في دينه ، كما قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ ، عَاقِلٌ ، لَا نَتَّهِمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعَهُ » (١) .

قال ابن حجر رحمه الله : « كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه ، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له ، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه ، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له » (٢) .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) فتح الباري ج ٩/ ١٨

وهذه الصفات تعتبر عامة ؛ لأنها قد تتوفر فيه وفي غيره ، إذ كان هنالك غيره من كتاب الوحي ، ومن حملة القرآن ، ومن شهد لهم برجاحة العقل ، والدين ، ونحو ذلك ، ولكنها قد توجد متفرقة .

الأسباب الخاصة :

وهي الأسباب التي تميز بها زيد بن ثابت رضي الله عنه عن غيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم :

١- أنه شهد العرضة الأخيرة .

٢- أنه قرأ القرآن مرتين على النبي صلى الله عليه وسلم بعد العرضة الأخيرة في العام الذي توفي فيه ، كما روى البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال : ((قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين ، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت ؛ لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأها عليه، و شهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرأ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين)) (١) .

٣- أنه كان أكتب القوم : أي أحسنهم خطأً ، فقد سأل عثمان رضي الله عنه : مَنْ أَكْتَبَ النَّاسَ؟ قَالُوا : كَاتِبَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ . قَالَ : فَأَيُّ النَّاسِ أَعْرَبَ ؟ - وَفِي رِوَايَةِ أَفْصَحَ - قَالُوا : سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ،

(١) شرح السنة ، للبغوي ج٤/٥٢٦،٥٢٥ ، والمصاحف لأبي داود ص: ٢٤ ، وتفسير الطبري ج١/٦٢ ، والبرهان ، للزركشي ج١/٢٣٧ ، والمرشد الوجيز ص: ٦٩

قَالَ عُمَانُ : " فَلْيُمْلِ سَعِيدٌ وَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ " (١) .

٤- توفر هذه الصفات العامة والخاصة مجتمعة فيه ، إذ قد توجد بعض هذه الصفات في بعض أصحاب النبي ﷺ ولكن يصعب اجتماعها في واحد منهم .

منهج الجمع الذي تمّ في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

قام الجمع الذي تمّ في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ؛ والذي تولاه زيد بن ثابت بمعاونة عمر بن الخطاب ، وإشراف أبي بكر الصديق رضي الله عنهم ، على وفق أسس دقيقة .

لأنّ الغرض من هذا الجمع لم يكن كتابة القرآن فقط ، وإنّما هو الإجماع على قرآن مكتوب يكون إماماً للناس إذا اختلفوا في شيء منه ؛ وذلك لأنّ القرآن كان مكتوباً في بيت النبي ﷺ ، وعدد من الصحابة ، ومحفوظ في صدور الكثيرين منهم ، وفي مقدمتهم أبو بكر ، وعمر ، وزيد رضي الله عنهم ، ولكن الفائدة الأولى من هذا الجمع كانت هي التوثيق ، والتدقيق ، والوقوف على كل ما كتب بين يديّ رسول الله ﷺ ، ومطابقة ذلك لما هو في صدور أصحاب النبي ﷺ .

وقد قام هذا الجمع الذي اعتمد فيه على المكتوب ، والمحفوظ ، على ثلاثة أسس واضحة ، تدل على متانته ، ودقته ، وهي :

١- لا يأخذون شيئاً من المحفوظ في الصدور ؛ إلا إذا تلقّاه الصحابي من فم النبي ﷺ مباشرة ، دون واسطة .

(١) فتح الباري بشرح البخاري ، ج ١٩/٩ .

٢- لا يعتمدون على شيء من المكتوب من القرآن الكريم ؛ إلا إذا كان قد كُتِبَ بين يديّ النبي ﷺ ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب للصحابة رضي الله عنهم: « مَنْ كَانَ تَلَقَّى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ بِهِ » (١) ، وقال زيد : « فَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعَهُ مِنَ الرَّقَاعِ ، وَالْعُسْبِ ، وَاللِّخَافِ ، وَصُدُورِ الرَّجَالِ » (٢) .

٣- لا بد لمن تلقى شيئاً كتابةً، أو حفظاً من رسول الله ﷺ أن يشهد له بذلك شاهدين ، كما قال أبو بكر لزيد وعمر رضي الله عنهم : « أَقْعَدَا عَلَيَّ بَابَ الْمَسْجِدِ ، فَمَنْ جَاءَ كَمَا بِشَاهِدَيْنِ عَلَيَّ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَأَكْتَبَاهُ » (٣) .

مميزات جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ :

- ١- اقتصر في هذا الجمع على ما لم تنسخ تلاوته من الآيات .
- ٢- كان على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ؛ لأنّ مهمة الصديق كانت منحصرة في التحقق من عين ما كتب بين يديّ رسول الله ﷺ ، وجمعه في مكان واحد خشية الضياع .
- ٣- كان مرتّب الآيات بالإجماع وفي ترتيب السور خلاف .
- ٤- ظفر هذا الجمع بإجماع الأمة عليه ، لأنّه قام على أدقّ المعايير في

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٩/١٩ ، وقال رواه أبو داود في المصاحف .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : جمع القرآن ، ح رقم ٤٦٠٣ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٩/١٩ ، قال ابن حجر ، رواه أبو داود في

المصاحف ، ورجاله ثقات مع انقطاعه ، وذكره صاحب المرشد الوجيز بسنده ص : ٥٥ .

التثبت والتوثيق ، وهذا يدل على مكانة هذا الجمع .

٥- جمع في نسخة واحدة حفظت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

مصر هذه الصحف :

بقيت هذه الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله ، ثم انتقلت إلى عمر رضي الله عنه ، ثم نقلت الصحف بعد مقتل عمر رضي الله عنه بوصية منه إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها ، وظلت محتفظة بها إلى أن توفاه الله ، فأخذها مروان بن الحكم فشققها - وفي رواية أحرقها - كما يروي ذلك سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال : « كَانَ مَرَوَانَ يُرْسِلُ إِلَى حَفْصَةَ - يَعْنِي حِينَ كَانَ أَمِيرَ الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ مُعَاوِيَةَ - يَسْأَلُهَا الصُّحُفَ الَّتِي كُتِبَ مِنْهَا الْقُرْآنُ فَتَأْتِي أَنْ تُعْطِيَهُ إِيَّاهَا .

قَالَ سَالِمٌ : فَلَمَّا تُوفِّيَتْ حَفْصَةَ ، وَرَجَعْنَا مِنْ دَفْنِهَا ، أَرْسَلَ مَرَوَانَ بِالْعَزِيمَةِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لِيُرْسِلَنَّ إِلَيْهِ تِلْكَ الصُّحُفَ ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، فَأَمَرَ بِهَا مَرَوَانَ فَشَقَّقَتْ ، وَقَالَ : إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِأَنِّي خَشِيتُ أَنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَرْتَابَ فِي شَأْنِ هَذِهِ الصُّحُفِ مُرْتَابًا ، أَوْ يَقُولَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ » (١) .

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ، ص : ٢٤ - ٢٥ ، وإسناده صحيح .

جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان رضي الله عنه :

أسباب الجمع :

تلقي الصحابة للقرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على حرف واحد ، وإنما كان على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، وكان كل صحابي يتعلم ويُعلم القرآن بالحرف الذي تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون عند الواحد منهم ما ليس عند غيره ، وكان الصحابة يدركون هذا التباين فيما بينهم ، ولو شكك أحدهم في قراءة رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأكد لهم صحة القراءة بكلا الحرفين ، كما في قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يقول : « سَمِعْتُ هِشَامَ ابْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَائَتِهِ ؛ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرَأَنَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلِمَ ، فَلَبِثْتُ بِرِدَائِهِ ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ ! » ، قَالَ : أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ : كَذَبْتَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ أَقْوَدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرَأَنَّ بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَرْسَلُهُ ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ ، ثُمَّ قَالَ : أَقْرَأْ يَا عُمَرُ ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ ؛ فَأَقْرَعُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » (١) .

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : " أنزل القرآن على سبعة أحرف " ، ح

فقطع بذلك ما وقع بينهما من خلاف ، موضحاً لهما صحة قراءتهما، وأنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف؛ حتى أدرك الصحابة الأمر ، ولم يعد هذا موضع استغراب ، أو إنكار بينهم فيما بعد .

أمَّا في عهد عثمان رضي الله عنه فقد عاد الخلاف مرة أخرى ، وبصورة أشد وأوضح ، في داخل المدينة النبوية وفي خارجها ، ففي داخل المدينة كان بعد ظهور جيل جديد لم يدرك تلك الحقبة المباركة ، فقد كان كل طالب من الصبيان في المدينة يعتز بقراءته التي تلقاها عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ويخطئ الآخر ، وينكر عليه قراءته ، فقام عثمان رضي الله عنه فيهم خطيباً وقال : « أنتم عندي تختلفون ، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماماً » ^(١) ، ويرجع السبب خارج المدينة إلى انتشار الصحابة في هذه الأقاليم البعيدة نتيجة للتوسُّع الكبير للفتوحات الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه يعلمون أهلها القرآن الكريم، وقد كان كل واحد منهم يعلم بالحرف الذي معه، فلذا كان عندما يلتقي أهل الأمصار يحصل بينهم النزاع الذي خشى عثمان رضي الله عنه من وقوعه، وقد جاء حذيفة بما ظنَّه، وتخوَّف منه من شدَّة اختلاف أهل الأمصار البعيدة؛ وذلك بعد عودته من غزوة إرمينية وأذربيجان مع الجيش الإسلامي المكوَّن جنوده من أهل الشام أصحاب أبي بن كعب، وأهل العراق أصحاب عبد الله بن مسعود ، كما جاء ذلك في رواية أنس بن مالك رضي الله عنه : « أَنَّ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ ؛

(١) فتح الباري ، ج ٢٤/٩ .

وَكَانَ يُعَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَّةَ وَأَدْرَبِيحَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ،
فَأَفْزَعَ حَدِيثَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَقَالَ حَدِيثَةَ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَذْرِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ ؛ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى . فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا
فِي الْمَصَاحِفِ ، ثُمَّ تَرُدُّهَا إِلَيْكَ ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فَأَمَرَ
زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ
بْنَ الْحَارِثِ بْنَ هِشَامٍ ، فَتَسَخَّوْهَا فِي الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرُّهْطِ
الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ
فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا ؛ حَتَّى إِذَا نَسَخُوا
الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ
أُفْقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا ، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ ،
أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ » (١) .

فَأَفْزَعَ عُثْمَانُ ﷺ مَا رَأَى فِي الْمَدِينَةِ ، وَمَا سَمِعَهُ عَنْ أَخْبَارِ غَيْرِهَا ،
فَبَادَرَ بِفِكْرَةِ جَمْعِ النَّاسِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَمُصْحَفِ إِمَامٍ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ ،
وَيَدْعُونَ مَا سِوَاهُ ، وَذَلِكَ بِإِحْرَاقِ كُلِّ صَحِيفَةٍ وَمُصْحَفٍ غَيْرِهِ ، وَكَانَ
ذَلِكَ بَعْدَ مَشَاوِرَةٍ كَامِلَةٍ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى رَأْيِهِ ، كَمَا
جَاءَ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَنِ الْعِيزَارِ بْنِ جَرُولٍ عَنْ
سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ : « اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي
الْقُرْآنِ عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِلرَّجُلِ : قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب " جمع القرآن " ، ح رقم ٤٩٨٦ .

قراءتك ، فبلغ ذلك عثمان ، فجمعنا أصحاب رسول الله ﷺ فقال : إنَّ الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة ، وأنتم بين ظهرائهم ، فقد رأيت أن أجمع على قراءة واحدة ، قال : فاجمع رأينا مع رأيه على ذلك ، قال : وقال على : لو وليت مثل الذي ولي ، لصنعت مثل الذي صنع» (١) .

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : « أدركت أصحاب رسول الله ﷺ متوافرين ، فما رأيت أحداً منهم عاب ما صنع عثمان في المصاحف» (٢) - وفي رواية - " أعجبهم ذلك " .

فكان السبب لهذا الجمع هو قطع دابر الخلاف ، وحسم مادة النزاع في قراءة القرآن الكريم ، بسبب اختلاف الأحرف السبعة ؛ وذلك يجمع الناس على حرف واحد ، ورسم واحد ، يجمع في مصحفٍ إمام ، يقرأ منه كل أهل مصر ، ويحرق ما عداه من مصاحف وصحف .

المكلفون بجمع القرآن :

أسند عثمان مهمة نسخ المصاحف ، وكتابتها على حرف واحد إلى نفر ضمَّ أربعة أشخاص عرفوا بفضلهم ، وعلمهم ، وصلاحهم ، وهم : ١- زيد بن ثابت الأنصاري ، المقرئ ، الكاتب ، الفرضي ، اجتمع له شرف العلم والصحبة ، وكان ابن عباس يأتيه في بيته للعلم ، ويقول :

(١) السنن الكبرى ، ٤٢ / ٢ ، المرشد الوجيز ، ص ٤٥ .

(٢) أخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة ٣ / ١٠٠٤ ، وقال صاحب المقدمات الأساسية وإسناده صحيح ، ص ١٠٢ ، انظر فتح الباري ج ٩ / ٢٧ .

العلم يؤتى ولا يأتي ، وكان إذا ركب أخذ بركابه ، ويقول ابن عباس :
هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، فيأخذ زيد كفه ويقبّلها ، ويقول : هكذا
أمرنا أن نفعل بأهل نبينا ﷺ» (١) .

٢- عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي ، والده أحد العشرة المبشرين
بالجنة ، و أمه هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ ، وهو أول مولود
يولد للمهاجرين بالمدينة ، ولما ولد جاءت به أمه إلى النبي ﷺ فحنكه
فكان أول شيء دخل جوفه ريق النبي ﷺ ، ودعا له بخير وسماه عبد الله ،
وهو أحد العبادلة الأربعة الذين اشتهروا بالعلم ورواية الحديث ، وعنوا
ب حفظ القرآن ، وهو أحد شجعان العرب ، وفقهاء الصحابة ، ونجبائهم
علماء ، وعملاً ، وأصلاً ، وفضلاً» (٢) .

٣- سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي ، وكان من
فصحاء قريش ، وأشبه الناس لهجة بالنبي ﷺ ، وقد أقيمت عربية القرآن
على لسانه ، وتوفي رسول الله ﷺ وعمره تسع سنين ، وكان من أجود
قريش ، وأبرز حلمائها ، وكان معاوية يقول : « لكل قوم كريم ،
وكرمنا سعيد ، توفي سنة ٥٩ هـ» (٣) .

(١) انظر أسد الغابة ج ٢/٢٧٨ ، الإصابة ج ٤/٤١ ، سير أعلام النبلاء ج ٢/٣٢١ ، شذرات
الذهب ج ١/٩٣ .

(٢) انظر البداية والنهاية ، ج ٢/٤٧٦ .

(٣) انظر الإصابة ج ٢/٤٧ ، وتهذيب التهذيب ج ٤/٤٨ ، وسير النبلاء ج ٣/٤٤٥ ، وشذرات
الذهب ج ١/١١٧ .

٤- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي ، كان من أشرف قريش ، ومن علمائهم ، وابنه أبو بكر أحد الفقهاء السبعة ، واختلف العلماء في صحبته ، توفي سنة ٤٣ هـ» (١) .

وقد قَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةَ : « إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَارْتَبِعُوا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ؛ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا » .

وقد قامت هذه اللجنة وبمعاونة بعض الصحابة بالمهمة خير قيام ، وفق الأسس التي وضعها معهم عثمان ؓ .

أسس الجمع الذي تم في عهد عثمان ؓ :

قام الجمع الذي تم في عهد عثمان ؓ على أسس واضحة تظهر من خلال الأدلة الصحيحة التي جاءت حول هذا الموضوع وهي :

١- أن يعتمد على الصحف ؛ التي جمعت في عهد أبي بكر كأساس لهذا الجمع ؛ كما هو واضح في الرواية : « فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ » (٢) .

٢- أن يجمعوه على حرف واحد من الأحرف السبعة ؛ وهو حرف زيد بن ثابت الذي سمعه في العرضة الأخيرة ، وقرأ به على النبي ﷺ ، وكان عليه عامّة الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وسوف يأتي الحديث عنه في باب الأحرف السبعة إن شاء الله .

(١) انظر الإصابة ٦٦/٣ ، تهذيب التهذيب ١٥٦/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : " جمع القرآن " ، ح رقم ٤٩٨٧ .

٣- أن يكتبوه بلغة قريش كما هو واضح في قول عثمان لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ
الثَّلَاثَةِ : « إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَاصْبِرُوا
بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ » (١) .

قال أبو شامة المقدسي : «قلت : ومعنى قول عثمان " إنَّ القرآن
أنزل بلسان قريش " أي : معظمه بلسانهم ، فإذا وقع الاختلاف في كلمة
فوضعها على موافقة لسان قريش أولى من لسان غيرهم ، أو المراد : نزل
في الابتداء بلسانهم ، ثم أبيض بعد ذلك أن يقرأ بسبعة أحرف » (٢) .

٤- أن يكتبوه برسم يشتمل على أوجه القراءات الصحيحة الثابتة عن
النبي ﷺ كما سوف يأتي الحديث عنه إن شاء الله في باب الرسم .

٥- أن ينسخوه في عدد من المصاحف .

وقد تمَّ هذا الجمع في أواخر سنة ٢٤هـ وأوائل سنة ٢٥هـ .

مميزات جمع القرآن في عهد عثمان :

تميّز الجمع الذي تمَّ في عهد عثمان بعدة مميزات من أبرزها :

١- جمع القرآن على حرف واحد من الأحرف السبعة ، قال ابن القيم
رحمه الله : « جمع عثمان الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة ؛
التي أطلق لهم الرسول ﷺ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة » (٣) .

(١) المرجع السابق .

(٢) المرشد الوجيز ص ٦٩ ، وانظر فتح الباري ج ٢٨/٩ .

(٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، لابن قيم الجوزية ، ص ١٦ .

٢- كتب بلغة قريش ، ورسم برسم يحتمل لأوجه القراءات الصحيحة
الثابتة عن النبي ﷺ .

٣- كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف اليوم في المصاحف
دون خلاف .

٤- نسخ القرآن في عدد من المصاحف .

٥- جمع بهدف حمل الناس على القراءة من هذا النسخ ، وتحريق ما سواه
من صحيفة ، ومصحف ؛ كما جاء في رواية البخاري : « وَأُرْسِلَ إِلَى
كُلِّ أَفْتِيٍّ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا ، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ
صَحِيفَةٍ ، أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ » (١) .

عدد المصاحف التي أمر عثمان بنسخها :

اختلف العلماء في عدد المصاحف التي نسخها عثمان وأرسل بها في
الآفاق إلى عدة أقوال :

١- قيل : أنها أربعة ، قال أبو عمرو الداني : « أكثر العلماء على أن
عثمان رحمه الله لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ ، فوجه إلى
الكوفة إحداهن ، وإلى البصرة أخرى ، وإلى الشام الثالثة ، واحتبس عند
نفسه واحدة » (٢) .

٢- وقيل : أنها خمسة بإضافة المصحف للمكي ، وقال السيوطي : « هذا هو المشهور » (٣)

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب " جمع القرآن " ح رقم ٤٩٨٦ .

(٢) انظر المقنع ص ٩ ، والمرشد الوجيز ص ٧٤ .

(٣) الإتقان للسيوطي ج ١ / ٢١٠

٣- وقيل : أنها سبعة ؛ يجعلهم لأهل المدينة مصحف عام ، ولعثمان مصحف خاص .

٤- وقيل : أنها سبعة ، قال أبو حاتم السجستاني : « لما كتب عثمان ﷺ المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف ، فبعث واحداً إلى مكة ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وآخر إلى الكوفة ، وحبس بالمدينة واحداً » (١) .

٥- وقيل : أنها ثمانية ، قاله الشاطبي ، قال : خمسة متفق عليها ، وثلاثة مختلف فيها ، قال محمد أبو شهبه : « ومراده بالخمسة ، الكوفي والبصري والشامي ، والمدني العام ، والمدني الخاص الذي حبسه لنفسه وهو المسمى بالإمام ، وبالثلاثة المكي ، ومصحف البحرين ، واليمن » (٢) .
والذي تميل إليه النفس أنها سبعة وذلك للآتي :

أن عدد القراء الذين أرسلهم عثمان ﷺ مع المصاحف إلى الأمصار ليدرسوا منها كانوا خمسة وهم :

- ١- عبد الله بن السائب ، كان مع المصحف المكي .
- ٢- والمغيرة بن أبي شهاب ، كان مع المصحف الشامي .
- ٣- وأبا عبد الرحمن السلمي كان مع المصحف الكوفي .
- ٤- وعامر بن عبد بن قيس ، كان مع المصحف البصري .
- ٥- وزيد بن ثابت ، كان يقرئ من المصحف المدني .

(١) المرشد الوجيز ص ٧٣ .

(٢) المدخل لدراسة القرآن ص ٢٥٢ .

٦- السادس هو المصحف الإمام الذي احتفظ به عثمان كمرجع للأمة ، وهو الذي عندما قتل كان يقرأ منه .

ويظهر من هنا أنَّ مكة أرسل لها عثمان رضي الله عنه مصحفاً ؛ لأنه لا يمكن أن يترك مهبط الوحي دون أن يرسل لها مصحفاً إماماً ، والذين لم يثبتوا المصحف المكي النقل يردُّ عليهم ، وكما أنَّ الذين أضافوا مصحف اليمن والبحرين ، وبعضهم مصر ، لم يستطيعوا أن يثبتوا الأئمة الذين أرسلهم عثمان رضي الله عنه مع هذه المصاحف ، ولم يرسل عثمان رضي الله عنه مصحف إلا ومعه إمام مقرئ لكي يعلم الناس منه ، ومهما يكن في الأمر من خلاف فإن عثمان رضي الله عنه حرص أن يرسل لكل أهل مصر مصحف لكي يتعلم الناس منه ، ويدعوا ما سواه ، وهذه كانت واحدة من أسباب تعدد المصاحف ، إضافة إلى أن هذا التعدد ساعد على اشتغالها على جميع أوجه القراءات الصحيحة الثابت المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنَّ الخط إذا كان لا يحتمل كل أوجه القراءات الصحيحة كتبوه في بعض المصاحف بما يحتمل أوجه للقراءة ، وفي المصاحف الأخرى بما يحتمل للأوجه الأخرى ، وذلك نحو : "ووصى ، وأوصى" من قوله تعالى : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾^(١) ، ونحو : ﴿بَجْرِي نَحْمًا الْأَمْهَارِ﴾ ، و ﴿بَجْرِي مِنْ نَحْمًا الْأَمْهَارِ﴾ في سورة التوبة^(٢) ... الخ ، تحاشياً من كتابة إحداها في الأصل والأخرى في الحاشية لئلا يوهم أنها

(١) سورة البقرة الآية (١٣٢) .

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٠) .

تصحیح أو تفضیل لها ، وکما سوف یأتی تفصیله بإذن الله ﷻ فی باب الرسم .

أسباب اشتراط التلقي من أفواه القراء للقرآن الكريم :

اشترط العلماء لتعلم القرآن الكريم ، أن يتلقاه الإنسان من حافظ متقن للقرآن الكريم ، وذلك للآتي :

١- لأنَّ للتلاوة أحكام لا يمكن تعلمها إلا عن طريق التلقي والسماع ، إذ يصعب معرفتها عن طريق الكتابة فقط مثل الإدغام ، والإخفاء ، والقلقلة ، والروم ، والإشمام ... الخ .

٢- لما فی رسم المصحف من اختلاف عن الرسم الإملائي ، إذ هنالك حروف مكتوبة لا تنطق ، وأخرى محذوفة وتنطق ، وحرف مرسوم برسم ويقرأ بوجه آخر ، وقد فصلت هذا في مبحث الرسم .

٣- ولأنَّ هذه هي الصورة التي تلقى بها النبي ﷺ القرآن ، وعلم بها أصحابه رضي الله عنهم ، لذا أرسل عثمان ؓ القراء مع كل مصحف إمام ؛ ليُعلم الناس منه .

٤- للاحتياط لألفاظ الوحي حتى لا يدخلها تحريف ، خاصة القرآن قد أحكمت ألفاظه إحكاماً ، فأدنى تغيير في حرف أو شكل يؤدي في الغالب إلى خلل كبير في المعنى ، كقوله تعالى: ﴿أَعْمَتَ عَلَيْهِمْ﴾ في سورة الفاتحة ، فلو ضمَّ القارئ التاء في ﴿أَعْمَتَ﴾ لتغير المعنى تماماً .

مصير هذه الصحف :

هنالك كلام لبعض العلماء عن وجود بعض هذه المصاحف في بعض الأماكن كـ " مصر، و تركيا ، والعراق ، وغيرها بصورة غير قاطعة بل يغلب الظن أنها ليست هي عين ما كتب في عهد عثمان رضي الله عنه فقد قال ابن كثير رحمه الله: « وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن الشرقي في المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كان قديماً بمدينة طبرية، ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثماني عشرة وخمسمائة، وقد رأيت كتاباً عزيزاً، جليلاً، عظيماً، ضخماً بخط حسن مبين قوي، بحجر محكم، في رقٍّ أظنه من جلود الإبل، والله أعلم » (١) .

فما ذكره ابن كثير يوضح وصفاً دقيقاً لهذا الكتاب ، وأن هذه المصاحف ظلَّ جزء منها موجود إلى عهد الحافظ ابن كثير رحمه الله . ولكن الراجح أنه لا يوجد منها شيء اليوم يمكن أن نقطع به ، لكن الذي نُقلَ ووصل إلينا اليوم في المصاحف ؛ هو نسخة من عين ما كتب في عهد عثمان رضي الله عنه ، وهذا موضع إجماع وهو الأهم .

وجه فعل عثمان رضي الله عنه بجمع الناس على حرف واحد :

عثمان رضي الله عنه أحد الخلفاء الراشدين ، وأحد المبشرين بالجنة . عرف بفضلته وعلمه ، واتباعه لهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كان يقدم على أمر في القرآن الكريم إلا إذا اطمأن إلى شرعيته وصوابه ، كما أن اجتماع رأي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع رأيه دون أن يساور واحداً منهم أدنى شك أن ما فعله

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ٤٢ .

عثمان رضي الله عنه بعيد عن تحريف للقرآن ، بل هو يحقق مصلحة الأمة ، كيف وهم قد أجمعوا رأيهم مع رأيه ، وحرقوا ما عندهم من مصاحف ، والتزموا بما جاء في هذه المصاحف ؛ التي نسخت وجمعت في عهد عثمان رضي الله عنه ، فما وجه ذلك ، وكيف جاز لعثمان رضي الله عنه أن يلزم الناس بحرف واحد دون بقية الأحرف الستة التي نزل عليها القرآن الكريم من عند الله عز وجل :

١- أن عثمان رضي الله عنه لم يترك واجباً ولا مستحباً ، وإنما ترك أمراً مباحاً لا يعاب عليه ، لأن القراءة بحرف من الأحرف السبعة واجب ، والقراءة ببقية الأحرف الأخرى مباح ، قال الطبري رحمه الله : قيل : « إن أمره إياهم ذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة .. وإذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم بقية الأحرف تاركين ما عليهم نقله ، بل كان الواجب عليه من الفعل ما يؤديون به الواجب ، وهو أحد هذه الأحرف ، فإذا حفظوه ونقلوه بواحد منها فقد فعلوا ما كلفوا به » ^(١) .

٢- مصلحة اجتماع الأمة ، وقطع أسباب الخلاف كان يتطلب ذلك ، قال ابن القيم رحمه الله : « فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمة أن يختلفوا في القرآن ، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف ، ففعلوا ذلك ، ومنعوا الناس من القراءة بغيره ، وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت ، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت ، ويطمع فيهم العدو ؛ فرأى جمعهم على طريق واحد ، فترك بقية الطرق جاز ذلك ، ولم يكن فيه إبطال لكون

(١) انظر تفسير الطبري ج ١/٦٤ ، بتصريف .

تلك الطرق موصلة إلى المقصود ، وإن كان فيه نهى عن سلوكه لمصلحة الأمة» (١) .

٣- إدراك الصحابة رضي الله عنهم لسبب نزول القرآن على سبعة أحرف، وهو كان للتيسير على الأمة ؛ التي شوفهت بالقرآن في بداية الأمر، وكانوا قبائل شتى فيهم الأمي ، والعجوز الذي يصعب عليه التحلي بين يوم وليلة عمّا عهده لسانه منذ نعومة أظفاره ، وإن كانت هذه الأحرف تؤدي معنى واحداً لا خلاف بينها فيه ، فلما صارت هذه الأحرف سبباً لخلاف كبير ، ربما يؤدي إلى التشكيك في القرآن ، وأن العلة التي من أجلها أنزل الله الأحرف السبعة قد زالت ، جمع عثمان رضي الله عنه الناس على حرف واحد ، ونال هذا الجمع إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وهم لا يمكن أن يجتمعوا على ضلالة .

الفرق بين جمع أبي بكر الصديق ، وجمع عثمان رضي الله عنهما:

اعتنى العلماء بالحديث عن الفرق بين الجمعين اللذين تمّا في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وذلك لإزالة اللبس الذي قد يقع ، ولتوضيح مميزات كل جمع ، ولذا يمكن تلخيص أهم هذه الفروق فيما يلي:

١- اختلاف الأسباب والدواعي لكل جمع . فسبب الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان الخوف من ذهاب شيء من القرآن الكريم بذهاب حَمَلته ، وذلك بعد أن استحر القتل بقراء القرآن في معركة اليمامة .

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، لابن قيم الجوزية ص ١٦ .

أما في عهد عثمان ؓ فكان السبب في جمعه الخوف على الأمة من الفتنة بسبب الاختلاف في أوجه قراءته نسبة لاختلاف الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم .

٢- أهداف الجمع في عهد أبي بكر ؓ كان جمع القرآن في مصحف واحد إمام يكون مرجع للأمة عند الاختلاف ، وفي عهد عثمان ؓ كان الهدف كتابة القرآن في عدد من المصاحف ، وحمل الناس على القراءة والنسخ منها ، وإحراق ما عداها .

٣- جمع أبي بكر الصديق ؓ كان على الأحرف السبعة ، في حين أن جمع عثمان ؓ كان على حرف واحد من الأحرف السبعة .

٤- جمع أبي بكر ؓ اتفق العلماء على أنه كان مرتب الآيات ، واختلفوا في ترتيب السور ، أما جمع عثمان ؓ فقد اتفق العلماء على أنه كان مرتب الآيات والسور على ما هو عليه الحال اليوم في المصاحف .

٥- جمع أبي بكر كان في مصحف واحد ، وأما جمع عثمان كان في عدد من المصاحف .

٦- أسس الجمع الذي تمّ في عهد أبي بكر ؓ تختلف عن أسس الجمع الذي تمّ في عهد عثمان ، مما جعل لكل جمع خصائص ومميّزات مختلفة .

المبحث السادس

ترتيب القرآن الكريم

ترتيب القرآن الكريم

من المباحث المهمة في علوم القرآن ، بعد معرفة جمعه والمراحل التي

مرَّ بها ذلك الجمع ، معرفة ترتيبه ، وهو ينقسم إلى مبحثين مُهمَّين :

الأول : ترتيب الآيات ، والثاني : ترتيب السور ، وإليك الحديث عن كل نوع :

المبحث الأول : ترتيب آيات القرآن :

١- تعريف الآية :

أولاً : في اللغة : تطلق الآية ويراد بها عدة معاني منها :

١- المعجزة ، ومنه قوله تعالى : ﴿سَلِّ يَا رَبِّي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾^(١) ،

أي : معجزة واضحة .

٢- العلامة ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ

رَبِّكُمْ﴾^(٢) ، أي : علامة ملكه .

٣- العبرة ، ومن قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) أي :

عبرة لمن اعتبر .

(١) سورة البقرة الآية : ٢١١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٤٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٤٨ .

٤- البرهان والدليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ
السِّنِّكُمْ وَالْوَالِدَاتُ لِآبَائِكُمْ﴾^(١) ، والمعنى : أن من براهين وجود الله ، واقتداره ، وأتصافه
بالكمال ، خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان .

٥- الأمر العجيب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(٢)
وتقول العرب : « فلان آية في العلم وفي الجمال » .

٦- الجماعة ، ومنه قولهم : «خرج القوم بأيّتهم» أي جماعتهم ، والمعنى :
أنهم لم يدعوا وراءهم شيئاً^(٣) .

ثانياً : في الاصطلاح :

هناك عدد من التعريفات لعلماء علوم القرآن الكريم للآية
اصطلاحاً ، من أبرزها : ما ذكره الشيخ عبد العظيم الزرقاني بأنها :
« طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن »^(٤) ، ولكن
بعد النظر والتدقيق نجد أن هذا التعريف فيه إبهام ، وهو غير ضابط في
الوصف ؛ وذلك لأنه لم يحدد نوع هذه الطائفة ، ونرى - والله أعلم - أن
تعريف الآية في الاصطلاح هو : « طائفة من حروف وكلمات القرآن
ذات بداية ونهاية مندرجة في سورة من القرآن الكريم » .

(١) سورة الروم الآية : ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآية : ٥٠ .

(٣) انظر البرهان ١/٢٢٦ ، والإتقان ١/٢٤٤ ، ومناهل العرفان ١/٣٣٨ ، ودراسات في

علوم القرآن للرومي ص ١١٤ .

(٤) مناهل العرفان ١/٣٣٨ .

ثالثاً : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي :

هنالك تناسب ، وتناسق وترابط كبير بين ما جاء في معنى الآية

من حيث اللغة والاصطلاح وذلك :

١- لأنَّ الآية القرآنية معجزة باعتبار ضم غيرها إليها ، فأعجزت المتحدِّثين أن يأتوا بمثلها .

٢- وهي علامة على صدق من جاء بها .

٣- وفيها عبرة لمن أراد أن يعتبر ويتذكر .

٤- وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم على قدرة الله ، وعلمه ، وحكمته ، وعلى أنَّ القرآن كلام الله ، وعلى صدق رسالة النبي ﷺ ، وفيه براهين وأدلة البحث وما إلى ذلك .

٥- وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز .

٦- وفيها معنى الجماعة؛ لأنَّها مكونة من جملة كلمات، وحروف مجتمعة (١) .

٢- إطلاقات الآية عند العلماء :

يطلق لفظ الآية عند العلماء ويراد به :

١- جزء آية كقول عبد الله بن عباس أرجى آية في القرآن ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ (٢) .

(١) انظر الإتقان ١/٢٤٤ ، ومناهل العرفان ١/٣٣٩ ، والمدخل لدراسة القرآن ص ٢٧٨ ،

ودراسات في علوم القرآن للرومي ، ص ١١٤ .

(٢) سورة الرعد الآية : ٦

٢- وقد يراد به الآية اصطلاحاً ؛ كقول النبي ﷺ لأبي بن كعب :
« أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم ؟ قال : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ » (١) ، وقول عبد الله بن مسعود : « أعظم آية في كتاب الله ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، وأجمع آية في القرآن بخير وشر : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيسَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ » (٢) ، وإن أكثر آية في القرآن فرجاً : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣) .

٣- وقد يطلق لفظ الآية على ما هو أكثر منها ؛ كقول عبد الله بن مسعود ﷺ : « أخوف آية في القرآن ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ » (٤) ، أو قوله أشد آية في كتاب الله تفويضاً : ﴿وَمَنْ يَبْغِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ﴾ فإنهما آيتان ، وليست آية واحدة » (٥) .

(١) سبق تخريجه ص : ٧١

(٢) سورة النحل الآية : ٩٠

(٣) سورة الزمر الآية : ٥٣

(٤) سورة الزلزلة الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٥) انظر تفسير الطبري ج ٩/٤٢ ، والمصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١١٩٣ .

٣- عدد آيات القرآن الكريم :

قال السيوطي رحمه الله : « أجمع العلماء على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية ، واختلفوا فيما زاد عن ذلك ، كما قال أبو عمر الدانبي : « أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك ، فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات، وقيل : وأربع عشرة آية ، وقيل : وخمس وعشرون آية ، وقيل : وست وثلاثون آية »^(١) ويرجع ذلك لاختلاف القراء البصريين، والكوفيين، والشاميين، والمكيين، والمدنيين في العدد .

ونقل كذلك الإجماع على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف ومائتا آية ابن الجوزي في كتابه " فنون الأفنان " ، وفصل كل ما جاء من أقوال في مذاهب القراء عن عدد آيات القرآن ، يمكن أن يرجع إليه لمزيد الفائدة^(٢) .

٤- سبب الاختلاف في عدد الآيات :

يرجع سبب اختلاف السلف في عدد الآي القرآني ، إلى أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف ، ليعلم الصحابة أنها فاصلة ورأس آية ؛ حتى إذا علموا ذلك صار يصل أحياناً الآية بما بعدها إذا استدعى الأمر لذلك ؛ لتمام المعنى ، فيعتبر من سمعها حيثذ أنها ليست فاصلة ، وأن الآيتين آية واحدة ، وربما يكون لم يسمع التوقيف الأوّل ، فيروي ما سمعه، ولذا اختلف

(١) الإقتان ١/٢٣٣ .

(٢) ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

العدد في بعض الآيات ، وهو اختلاف يسير، ولا يؤثر شيئاً على تمام القرآن وكماله ، ووصوله إلينا دون زيادة أو نقصان ، وهو يرجع في غالبه لارتباط المعنى ، وربما يكون اختلافهم هذا من قبيل اختلاف التنوع في الرواية عن الرسول ﷺ ، أو أنّ كل واحد منهم روى ما سمعه وبلغه عن النبي ﷺ ، فوقف عند حدود علمه ، والأمر سهل وفيه متسع (١) .

وآيات القرآن تختلف في الطول والقصر على حسب موقعها في السور ، فأطول آية في القرآن هي آية الدّين في سورة البقرة (٢) ، وأقصر آية «طه» ، و«يسر» ، «ق» ، «ص» عند من عدّها آية ، وقد تكون الآية من كلمة واحدة كـ «الرحمن» (٣) ، و «مدهامتان» (٤) ، وقد تكون من كلمتين كـ «والطور» (٥) ، «والضحى» (٦) وقد تكون أكثر من ذلك ؛ وهو غالب آيات القرآن الكريم (٧) .

٥ - طريق معرفة رؤوس الآي :

للعلماء في معرفة بداية كل آية ونهايتها رأيان :

الرأي الأول : يرى أنّ الطريق إلى ذلك توقيفي .

(١) انظر الإتيان ٢٣٣/١ ، والممدخل لدراسة القرآن ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٢ .

(٣) سورة الرحمن الآية : ١ .

(٤) سورة الرحمن الآية : ٦٤ .

(٥) سورة الطور الآية : ١ .

(٦) انظر الإتيان (١/٢٤٤) .

(٧) سورة الضحى الآية : ١ .

الرأي الثاني : يرى أنّ بعض الطريق إلى ذلك قياسي اجتهادي ،
وبعضه توقيفي ، وإليك الحديث عن كل رأي ، والرّاجح منهما :

الرأي الأول : القول بأنّه توقيفي ، متوقف ذلك على ما جاء عن
النبي ﷺ فقالوا: ما ثبت أنّه وقف فيه دائماً ؛ قلنا أنّه آية ، وما وصله دائماً؛
قلنا أنّه ليس آية ، وما وقف فيه النبي ﷺ أحياناً ، ووصله أحياناً؛ فإن
الوقف ليدلّ على أنّه رأس الآية ، والوصل ليدلّ على اتصال المعنى ، فليس
عندهم للرأي والقياس مجال ، واستدلوا على أنّ الأمر توقيفي بعدد من
الأدلة منها :

أولاً: أنّ النبي ﷺ كان يحدّد لأصحابه عدد آيات السور، وكان
ذلك معروفاً بينهم، كما جاء عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:
« أمّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم »^(١) ، سُمّيت بالسبع المثاني؛
لأنّها تنفي في كل ركعة في الصلاة ، أي تكرر .

وبما جاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إنّ سورة من القرآن ثلاثون
آية شفعت لرجلٍ حتّى غفر له، وهي سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ »^(٢).

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾، ح
رقم ٤٣٣٥.

(٢) رواه الترمذي رقم ٢٨١٦ ، وأحمد رقم ٧٩٢٧ ، ٧٦٣٤ ، وأبو داود رقم ١٤٠٠ ،
والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم ١٧٠ ، وابن ماجه رقم ٣٧٧٦ ، وابن الضريس في
فضائل القرآن رقم ٢٣٦ ، وابن حبان رقم ٧٨٧ ، والحاكم رقم ٢٠٧٥ ، والبيهقي في
الشعب ٢٥٠٦ ، وقال الترمذي حديث حسن ، وقال الحاكم صحيح الإسناد .

ثانياً : واستدلوا بقراءة النبي ﷺ ؛ فإنه كان يقف في قراءته على رؤوس الآي، كما جاء عن أم سلمة « أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً (سَمِ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ) ، (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ) (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) » (١) .

ثالثاً : استدلو بما ورد عن فضائل بعض الآيات ، يدل على أنها كانت محددة معلومة للجميع من حيث البداية والنهاية ، كقوله ﷺ : « مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ » (٢) ، وقوله ﷺ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ » (٣) ، ما ورد عن عمر قال : « مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ ؛ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ : « يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ » (٤) فلو لم يوضح النبي ﷺ لصحابته بداية هذه الآيات ونهايتها لما عرفوا ذلك ، ولوقع الاختلاف بينهم .

رابعاً : كما استدلو على التوقيف بأن العلماء عدوا (الم) في

البقرة ، وآل عمران ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة آية ، ولم

(١) رواه أحمد ح رقم ٢٥٣٧١ ، وأبو داود ح رقم ٤٠٠١ ، والترمذي ح رقم ح رقم ٢٩٢٨ ، والدارقطني في سننه ح رقم ٣١٢ ، ٣١٣ ، وقال إسناده صحيح ، وكلهم نقات .

(٢) سبق تخريجه ص : ٧٢

(٣) سبق تخريجه ص : ٧٢

(٤) رواه مسلم ، كتاب الفرائض ، باب : ميراث الكلاله ، ح رقم ٣٠٣٥ .

يعدُّوا نظيرها ﴿الرّ﴾ آية في يونس، وهود، ويوسف ، وعدّوا ﴿المص﴾ آية، ولم يعدُّوا نظيرها ﴿المر﴾ آية ، وعدّوا ﴿يس﴾ آية ، ولم يعدُّوا نظيرها ﴿طس﴾ في النمل آية ؛ إلى غير ذلك من التماثلات ، فإذا كان الأمر مبنياً على القياس ، فإنَّ القياس يقوم على جمع التماثلين ولا يفرق بين المتشابهين .

خامساً : واستدلوا بما يلاحظه الإنسان في خواتيم الآيات من التجانس والتناسق فيما ورد فيه النص عن قراءة النبي ﷺ ، وجريان ذلك على نظائره في جميع سور القرآن يؤكد أن فواصل الآي توقيفية .

سادساً : واستدلوا بعدم ورود اختلاف بين الصحابة يذكر في هذا الموضوع الواسع ؛ الذي يصعب حمله على قاعدة واحدة منضبطة ؛ يدل على أن الأمر كان توقيفياً ، إذ لو خضع لأدنى اجتهاد كان لا بد أن يقع اختلاف في مثل هذا الأمر .

الرأي الثاني : أنَّ بعضه توقيفي وبعضه قياسي ، فقد قالوا : ما ثبت فيه النص على أن النبي ﷺ كان يقف فيه دائماً قلنا أنه رأس آية ، وما ثبت أنه كان يصله دائماً قلنا أنه ليس بآية ، وما لم يرد فيه النص القاطع مثل أن ينقل أنه كان يقف فيه أحياناً ، ويصله أحياناً ؛ قلنا : هذا يجوز فيه القياس والاجتهاد ؛ وذلك بقياس غير المنصوص عليه بما ورد فيه النص مستدلين بما يلي :

أولاً : عدم ورود النص الصريح فيه ؛ يفتح المجال للقياس ، والاجتهاد .

ثانياً: بأن هذا النوع من القياس لا محذور فيه ، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وإنما غايته تحديد موضع الفاصلة .

الراجع :

الراجع في هذه المسألة كما يظهر من الأدلة : أن تحديد فواصل الآيات وعددها أمر توقيفي ، لا مجال للاجتهاد فيها ؛ كما ظهر ذلك من خلال تحديد النبي ﷺ لعدد آيات بعض السور ، وتحديد فضائل بعض الآيات بما كان معروفاً متواتراً عند أصحاب النبي ﷺ ، ولأنّ القول بالاجتهاد يفتح مجالاً يصعب سده ، قال الزمخشري في تفسيره : « فإن قلت ما بالهم عدّوا بعض الفواتح آية دون بعض ؟ قلت: هذا علم توقيفي ؛ لا مجال للقياس فيه » (1) .

٦- ترتيب الآيات في سورها :

قد تضافرت الأدلة الصحيحة القاطعة ؛ التي توضح أنّ ترتيب آيات القرآن الكريم في سورها توقيفي من النبي ﷺ ليس للرأي والاجتهاد فيه مجال ، بل وقع الإجماع على ذلك ، من أبرز هذه الأدلة :

أولاً : ما ثبت من أنّ جبريل عليه السلام كان ينزل بالآية أو الآيات على النبي ﷺ ، ويوضّح له موضعها من السور ، ويأمر النبي ﷺ كتّاب الوحي بكتابتها في الموضع المحدّد ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ابن عفّان قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّورُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ

(1) الكشف ١٨/١ .

يَكْتُبُ ، فَيَقُولُ : ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا» (١) .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ : « كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا إِذْ شَخَّصَ بَصْرَهُ ، ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالْأَرْضِ ، قَالَ : ثُمَّ شَخَّصَ بَصْرَهُ فَقَالَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ يَهْدَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ (٢) » (٣) .

ثَانِيًا : مَا ثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بِهَذَا التَّرْتِيبِ الَّذِي نَقَلَ إِلَيْنَا ، فِي صَلَاتِهِ ، وَمَوَاعِظِهِ ، وَبِهِ تَلَقَّى الصَّحَابَةُ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَرَضُوا بِهِ حَفْظَهُمْ عَلَيْهِ ، وَنَقَلُوا لَنَا مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعُوا تَرْتِيبًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْقَلُوا إِلَيْنَا خِلَافَ ذَلِكَ ، فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَآلَ عِمْرَانَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ ، كَمَا جَاءَ عَنْ حَدِيثِهِ قَالَ : صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ ؛ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ . فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ . ثُمَّ مَضَى ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي

(١) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التوبة ، ح رقم ٣٠١١ ،

ومسند أحمد ، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة ، باب : مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ح رقم ٣٧٦ ، ٤٦٨ ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٢) سورة النحل الآية : ٩٠ .

(٣) رواه الإمام أحمد ، مسند الشاميين ، باب : حديث عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ ، ج ٢١٨/٤ ، ح رقم ١٧٢٤٠ .

رَكْعَةٍ ، فَمَضَى ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ؛ ثُمَّ افْتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ؛ يَقْرَأُ مَتْرَسَلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ . وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ . وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ . ثُمَّ رَكَعَ ؛ فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ » (١) .

ورود في صحيح البخاري أنه قرأ سورة الأعراف في صلاة المغرب (٢) ، والطور كذلك (٣) ، وسورة " قد أفلح المؤمنون " (٤) ، وسورة الروم في صلاة الصبح (٥) ، وكذلك سورة الجن (٦) ، وكان يقرأ السجدة ، وسورة " هل أتى على الإنسان " (٧) ، في صلاة الصبح يوم الجمعة (٨) ، وقرأ " ق " مراراً في الخطبة يوم الجمعة (٩) ، وسورة اقتربت (١٠) وق في صلاة العيد (١١) ، وقرأ سورة

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسفرين ، باب : استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ، ح رقم ٧٧٢ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأذان ، باب للقراءة في المغرب ، ح رقم ٧٦٤ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب : القراءة في الصبح ، ح رقم ٤٦٣ .

(٤) هي سورة المؤمنون .

(٥) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح ، ح رقم ٤٥٥ .

(٦) البخاري ، كتاب الأذان ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر و ح رقم ٧٧٣ ، ومسلم ،

كتاب الصلاة ، والجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن ، ح رقم ٤٤٩ .

(٧) هي سورة الإنسان .

(٨) رواه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ، ح رقم

٨٩١ ، ومسلم في كتاب الجمعة ، باب : ما يقرأ في صلاة الجمعة ، ح رقم ٨٧٩ .

(٩) رواه مسلم في كتاب الجمعة ، باب : تخفيف الصلاة والخطبة ، ح رقم ٨٧٢ .

(١٠) هي سورة القمر .

(١١) رواه مسلم كتاب صلاة العيدين ، باب : ما يقرأ به في صلاة العيدين ، ح رقم ٨٩١ .

النجم ليلة على الكفار بمكة^(١) ، وإلى آخر ما ورد من روايات كثيرة ، ولا شك أنه كان يقرأ ذلك مرتباً على النحو الذي حفظ ونقل إلينا ؛ وذلك لأن الصحابة حرصوا أن لا يغير من ذلك شيئاً ، كما ورد عن ابن الزبير رضي الله عنه قال : قُلْتُ لِعُمَّانَ بْنِ عَفَّانَ : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْفِقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾^(٢) ، قَالَ : قَدْ نَسَخْتَهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى^(٣) فَلِمَ تَكْتُبُهَا أَوْ "تَدْعُهَا"^(٤) قَالَ يَا ابْنَ أَخِي : لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ^(٥) .

فهذا قول قاطع من عثمان رضي الله عنه على أنه لا يستطيع أن يغير شيئاً ، وإنما يلتزم بما سمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « فَقَدْتُ آيَةَ مِنَ الْأَحْزَابِ ؛ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ بِهَا ، فَالْتَمَسْنَاهَا ، فَوَجَدْنَاهَا مَعَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه « مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ مَحَبَّةً مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ »^(٦) فَالْحَفِظْنَاهَا فِي سُورَتِهَا فِي الْمُصْحَفِ »^(٧) .

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب : سورة النجم ، ح رقم ، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : سجود التلاوة ، ح رقم ٥٧٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٣٤ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٤٠ .

(٤) وهذا وهم من الراوي والمعنى : " لماذا تكتبها ؟ " أو قال : لماذا تتركها مكتوبة ؟ مع أنها منسوخة .

(٥) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْفِقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ ، رقم ٤١٦٦ .

(٦) سورة الأحزاب الآية : ٢٣ .

(٧) رواه البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة أحد ، ح رقم ٢٥٩٦ ، ٣٧٤٣ ، ٤٦٠٤ .

ثالثاً : وقالوا مما لا شك فيه أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ القرآن كل عام مرة ؛ وعارضه إياه في العام الذي قبض فيه مرتين على هذا الترتيب ؛ الذي كان يقرأ به النبي ﷺ على أصحابه ، إذ لا يمكن أن يخالف النبي ﷺ الصورة التي قرأ بها القرآن معه وقد أمر باتباعه ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١) ، أي : فاتبع قراءته ، نطقاً وترتيباً .

رابعاً : ما ورد من أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ في بيان فضائل بعض الآيات ، ويلزم منه أن تكون هذه الآيات مرتبة ترتيباً توقيفياً من النبي ﷺ ، لأنها لو كانت بالاجتهاد لما عرف الصحابة ذلك مباشرة من النبي ﷺ ؛ كما في قوله ﷺ : ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ)) (٢) .

خامساً : واستدلوا بورود بعض الآيات الناسخة مقدمة في الترتيب على الآيات المنسوخة في السورة الواحدة ، مع أنه لا خلاف في أن الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول ، نحو قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجاً يَرْتَضُونَ...﴾ (٣) فإنها ناسخة للآية ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجاً وَصِيَّةً...﴾ (٤) ، فالثانية متقدمة في النزول ، متأخرة في

(١) سورة القيامة الآية : ١٨ .

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف وآية

الكرسي، ح رقم ١٣٤٢ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٣٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٤٠ .

الترتيب ، فلو كان الأمر في الترتيب اجتهادياً من الصحابة لقدّموا المنسوخ وأخروا الناسخ ؛ حسب ترتيب النسخ ، ونجد أن هناك آيات متفق على أنها آخر ما نزل من القرآن ، و آخر ما نزل من السورة ، ولا نجد لها في آخرها كقوله تعالى : ﴿وَأَتُوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١) ، هي آخر ما نزل من القرآن الكريم ونجدها في ترتيب المصحف الآية رقم " ٢٨١ " من سورة البقرة .

فترتيب القرآن تمّ على حسب ما كتب به في اللوح المحفوظ ، وما نُزِّلَ عليه في السماء الدنيا ، وفق حِكْمٍ وأسرارٍ إعجازية ، وبلاغية يصعب على الإنس والجن أن يحيطوا بذلك علماً ، ولم يرتب على حسب النزول لا في سوره ، ولا في آياته .

سادساً : وقوع الإعجاز والتحدّي في القرآن الكريم مرتبط بترايط آي السورة الواحدة ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٢) ، مما يؤكد على أن الأمر توقيفي ، إذ التحدّي جاء من عند الله ﷻ مباشرة .

سابعاً : أن جميع الروايات التي جاءت عن جمع الصحابة للقرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ، وفي عهد عثمان ؓ توضح أن جهدهم كان منصب حول جمع القرآن في مكان واحد ، أو نسخه في

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨١ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٣ .

عدد من المصاحف ، ولم يكن لهم عمل مرتبط بترتيب القرآن الكريم ،
وإلا لنقل لنا ذلك .

ثامناً : وقد نقل الإجماع على هذا الأمر غير واحد من أهل العلم
كما قال السيوطي رحمه الله : « الإجماع والنصوص المترادفة على أن
ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك ، وأما الإجماع فنقله غير واحد
منهم الزركشي في " البرهان " وأبو جعفر بن الزبير ^(١) في مناسباته فقال :
ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ ، وأمره بلا خلاف في هذا بين
المسلمين » ^(٢) .

وقال ابن الحصار : « ترتيب السور ، ووضع الآيات مواضعها إنما
كان بالوحي ، كان رسول الله ﷺ يقول : « ضعوا آية كذا في موضع
كذا » ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول
الله ﷺ ، ومما أجمع الصحابة على وضعه في المصاحف » ^(٣) وقال القاضي
أبو بكر في " الانتصار " : « الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله
الله ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ؛ هو
هذا الذي بين الدفتين ؛ الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه
شيء ، ولا زيد فيه ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ،
ورتبته عليه رسوله من أي السور ، لم يقدم من ذلك مؤخر ، ولا أخرج منه

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي ، وكان من النحاة الحفاظ " ت : ٨٠٧ هـ .

(٢) الإتيان ج ١/٢١٦ .

(٣) المرجع السابق .

مقدم ، وإنَّ الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب أي كل سورة مواضعها ، وعرفت مواقعها ، كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة» (١) .

حكم الالتزام بهذا الترتيب :

الالتزام بهذا الترتيب الثابت عن النبي ﷺ بأدلة متواترة ، ووقع عليه الإجماع واجب ، وتحرم مخالفته ، قال القاضي أبو بكر في " الانتصار " : « ترتيب الآيات أمر واجب ، وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا» .

ومخالفة الترتيب الذي ورد للسورة يسمى عند السلف تنكيس القراءة ، كما جاء عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال : قيل لعبد الله بن مسعود : « إنَّ فلاناً يقرأ القرآن منكوساً ، فقال عبد الله : ذاك منكوس القلب» (٢) .

وإذا علمنا أنَّ هذا الترتيب جاء عن الله تعالى ، ولم يقرأ النبي ﷺ إلا به ، والتمزم بذلك الصحابة ، ونُقل إلينا نقلاً متواتراً ، فلا شك أن الالتزام به واجب ، وأن الإنسان يَأثم إذا خالفه في تلاوة ، أو قراءة صلاة ، كأن يقرأ السورة من آخرها إلى مقدمتها ؛ لأن ذلك يؤدي إلى المخالفة ، وإلى إفساد المعنى ، وإفساد جمال النظم القرآني ، ويحط من قداسة هذا الكتاب العزيز ، ولا يمكن أن يفعل ذلك مؤمن عرف قدر كلام الله . قال ابن حجر رحمه الله : « وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن

(١) الإتيان ، ج ٢١٥/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ، ح رقم ٣٠٢٩٨ ، وأبو عبيدة في فضائل القرآن ، ص ١١٩ ، والبيهقي في الشعب ، رقم ٢٣١٢ ، ٢٣١٣ ، وقل صاحب المقدمات الأساسية " إسناده صحيح " ص ٥٣١ .

(٢) فتح للبري ج ٥٠/٩

منكوساً فمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها ، وكان جماعة يصنعون ذلك في القصيدة من الشعر مبالغة في حفظها وتذليلاً للسانه في سردها فمنع السلف ذلك في القرآن فهو حرام «

٧- فوائد معرفة الآية :

لمعرفة الآي وعددها فوائد كثيرة منها :

١- الوقوف على سنة النبي ﷺ في القراءة ، إذ الوقف على رؤوس الآي في القراءة سنة ؛ كما ورد ذلك في حديث أم سلمة رضي الله عنها « أَنَّهَا سُمِّلتُ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةَ آيَةٍ » (سَمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) «الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» (١) ، ولاشك أن الاهتداء إلى سنة النبي ﷺ في القراءة خير وفضل، وأكثر معين على ترتيل سليم ، وتدبر صحيح للقرآن .

٢- الوقوف على حدود الإعجاز في القرآن الكريم ، فإنّ أقل الإعجاز في التحدّي وقع بثلاث آيات قصار ، وجه ذلك أنّ الله أعلن التحدّي بسورة من القرآن ، كما قال تعالى : «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ» (٢) ، وأقصر سورة في القرآن هي سورة "الكوثر" ؛ وهي ثلاث آيات فقال العلماء : «أنّ كل ثلاث آيات قصار معجزة ، وفي

(١) الفاتحة الآيات : ١-٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٣ .

قوتها الآية الواحدة الطويلة التي تكافؤها»^(١) ، وبدون معرفة الآية لا يمكن أن نعرف القدر المعجز من القرآن الكريم .

٣- معرفة الآي ، وعدّها ، له ارتباط بمعرفة بعض الأحكام الفقهية من ذلك : أنه يعين على صحة الصلاة ، فقد انعقد الإجماع على أن الصلاة لا تصح بنصف آية ، وقال جمع من العلماء : تجزئ آية ، وآخرون : ثلاث آيات ، وآخرون : لابد من سبع ، وكذلك اعتبارها في مَنْ جهل الفاتحة فإنه يجب بلها سبع آيات عند مَنْ أوجبها ، ومنها اعتبارها في الخطبة ، فإنه تجب فيها قراءة آية كاملة ، ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة ، عند جمهور العلماء .

ومنها اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة ، أو ما يقوم مقامها ففي الصحيح : « أنه ﷺ كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة »^(٢) .

٤- معرفة بعض الفضائل التي ارتبط معرفتها بمعرفة بداية الآيات ونهايتها وترتيبها ، كمعرفة أعظم آية ، والآيتان في آخر سورة البقرة ، والعشر الأوائل أو الأواخر من سورة الكهف ، ونحو هذا .

٥- يساعد على فهم وتدبر القرآن بصورة كبيرة ، إذ أن كل آية تعطي معنى عظيماً في غالبها ، فتأتي الآية التي تليها بمعنى آخر يزيدنا وضوحاً ، أو يوضح ما أجمل فيها ، أو يؤكد ما جاء في مضمونها بشيء من التفصيل ، أو يقيد ما أطلق ، أو تخصص ما عمم ، كما أنه يعين على حمل الآيات ذات المعنى

(١) انظر مناهل العرفان ، ج ١/٣٣٤ .

(٢) انظر الإتيان ، ج ١/٢٣٥ ، ومناهل العرفان ، ج ١/٣٤٥ ، والحديث رواه مسلم ، كتاب

الصلاة بباب القراءة في الصبح ، ح رقم ٤٦١ .

الواحد والمواضيع المشتركة في السور المتعددة على معاني مرتبطة تعطي وحدة موضوعية متكاملة ، كما هو معروف في التفسير الموضوعي ، وهذا علم عظيم يدرسه الخذاق من أهل هذا الفن العظيم .

٦- يعين على توضيح مكان الأحكام للمتعلم بسهولة ، ويسر ، كما ورد في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَهْوًا غَيْرَ عِلْمٍ إِلَى قَوْلِهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١) » (٢) .

٧- يساعد ويسهل على الإنسان حفظ وتعلم القرآن ، كما كان هذا هو منهج الصحابة رضي الله عنهم في تعلم القرآن ، فكانوا لا يتجاوزون العشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، إلى غير ذلك من فوائد عديدة ، والله أعلم .

النوع الثاني : ترتيب السور :

١- تعريف السورة :

أولاً: في اللغة : السور : جمع سورة ، وهي تهمز ، ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من سُور الكأس ؛ وهو ما يبقى فيه من الشراب ؛ لأن كل سورة من القرآن بقية منه .

ومن لم يهمز جعلها من سَوْرَة الأسد . بمعنى القوة ، لأن قوة السورة أكثر من قوة الآية ، أو من السُّور . بمعنى الجماعة : يقال : لفلان

(١) سورة الأنعام الآية : ١٤٠ .

(٢) البخاري ، كتاب المناقب ، باب : جهل العرب ، ح رقم ٣٢٦٢ .

سور من الإبل أي جماعة، وذلك لأن السورة مشتملة على جماعة الآيات.
أو من السور المحيط بالأبنية ، لأن السورة محيطة بالآيات ،
والكلمات ، والحروف إحاطة السور بما في داخله .

وهي بدون همز بمعنى الرفعة ، والمنزلة ، والشرف ، وما طال من
البناء وحسن ، كما قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دوها يتذبذب^(١)

وكل سورة في القرآن الكريم لها منزلتها وشرفها وفضلها^(٢) .

ثانياً : في الاصطلاح : عرفها العلماء بعدة تعريفات كلها تؤدي

إلى معنى اصطلاحي صحيح منها أنها :

« قرآن يشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات »^(٣) قاله

الجعبري . وقيل : « طائفة مستقلة من آيات القرآن ؛ ذات مطلع

ومقطع »^(٤) ذكره الزرقاني . وقيل : « الطائفة المترجمة توقيفياً ، أي

المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ »^(٥) ، فهي إذاً في الاصطلاح

يمكن القول بأنها : « طائفة من آيات القرآن ، ذات بداية ونهاية ،

بترتيب من النبي ﷺ ، مسماة باسم خاص » .

(١) مفردات ألفاظ القرآن ، حسين بن محمد راغب الأصفهاني ص ١٦ ، ط : دار القلم ،

بيروت : الطبعة الأولى - عام ١٩٩٢م .

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز ج ١/٨٤ ، ٨٥ ، والقاموس المحيط، ج ٣/١٠٥ مادة "السور" .

(٣) انظر الإقنآن ، ج ١/١٨٣ .

(٤) مناهل العرفان ، ١/٣٥٠ .

(٥) انظر الإقنآن ، ج ١/١٨٣ .

٢- أسماء السور :

أولاً : مصدر التسمية :

اختلف العلماء في مصدر التسمية لسور القرآن الكريم إلى مذهبين :

الأول : أنها اجتهادية ، وعلى رأيهم هذا أنه لا مانع عندهم من

استنباط أسماء أخرى غير الواردة بما يتناسب مع مناسبات السور ، وهذا الرأي استبعده الزركشي .

والثاني : أنها توقيفية من النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام ، وهذا

رجحه عدد من أهل العلم المعترين ، قال السيوطي : « وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لينت ذلك » (١) .

الراجع :

الراجع أن أسماء السور توقيفية من النبي ﷺ بصورة ينبغي أن

لا يشك في ذلك مسلم ؛ وذلك للآتي :

١- ورود أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحمل أسماء السور ، من ذلك

كقوله ﷺ : « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقَدُّمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ » (٢) .

٢- ورود أحاديث كثيرة توضح فضائل بعض الآيات في سور محددة

بأسماء معينة ، كقوله ﷺ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ

(١) المرجع السابق .

(٢) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة

البقرة ، ح رقم ١٣٣٨ .

عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» (١) ، يلزم منه أن تكون هذه السورة كانت معروفة بهذا الاسم من النبي ﷺ .

٣- ورود أدلة كثيرة عن أصحاب النبي ﷺ يتحدثون عن سور من القرآن الكريم بأسماء محددة ، كأمر مسلم به فيما بينهما من هذه كما جاء في رواية عبد الله بن السائب قال : « صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ الصُّبْحَ بِمَكَّةَ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ أَوْ ذِكْرُ عِيسَى أَخَذَتْ النَّبِيُّ ﷺ سَعْلَةً فَرَكَعَ » (٢) .

وكقول عبد الله بن معقل : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ » (٣) .

وما ورد عن حذيفة قال : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ فَقُلْتُ : يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ، ثُمَّ مَضَى ، فَقُلْتُ : يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى ، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مُتْرَسِلًا ؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » فَكَانَ

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، ح رقم ٨٠٩ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في الصبح ، ح رقم ٤٥٥ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة ، ح رقم ٧٩٤ .

سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ» (١) .

وهناك روايات كثيرة أخرى .

٤- إذا ثبت عندنا بالإجماع أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي ؛ فلا يمكن أن نتصور الترتيب من رسول الله ﷺ للصحابة إلا بعد ذكر اسم السورة ، وتحديد الموضع الذي توضع فيه الآيات من سورها ، كما ورد عن ابن عباس ؓ لما نزلت آخر آية على النبي ﷺ : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (٢) ، قال له جبريل : يا محمد ضعها على رأس ثمانين ومئتين آية من سورة البقرة» (٣) .

٥- لو كان هذا الأمر تمَّ باجتهاد من أصحاب النبي ﷺ لنقل إلينا ذلك الاجتهاد ، وعلى أي أسس تم ذلك ، فلم ينقل إلينا اجتهاد لا في ترتيب آيات ، ولا في ترتيب سور ، ولا في تسميتها ، مما يؤكد على أنه أمر توقيفي .

٦- إن لأسماء السور دلالات عقدية، وعبادية، واجتماعية، وجهادية، وتاريخية ونحوها ، وهي تشير إلى معاني كثيرة واسعة ركز عليها القرآن من خلال خطابه للناس ، وهذا من المواضيع التي ما زالت تحتاج إلى جهود الباحثين من المتخصصين في الدراسات القرآنية وغيره ، وقد وقفت على

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب: استحباب تطويل القراءة في

الليل ، ح رقم ٧٧٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨١ .

(٣) السنن الكبرى للنسائي في التفسير رقم ١٢٠٥٧ ، ١١٠٥٨ .

كتاب د . محمد خليل بعنوان " دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري " (١) ؛ وهو يعتبر نافذة أولى يمكن من خلالها أن يعبر الباحثون إلى هذا الموضوع الواسع ، ذي الدلائل الكثيرة .

ثانياً: دلالات أسماء السور :

لأسماء سور القرآن الكريم معانٍ ودلالات عظيمة تحتاج إلى أن تفرد بدراسة خاصة في المستقبل إن شاء الله، ولكن نشير هنا إلى بعض هذه الدلالات:

أولاً : دلالات ذات بعد إيماني ؛ سواء كان فيما يتعلق بالإيمان بالله ، ويؤكد هذا الجانب وينميه أسماء سور عديدة كسورة " الأنعام ، الرعد ، النحل ، المؤمنون ، العنكبوت ، فاطر ، غافر ، الرحمن ، الإخلاص " .

أو فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء ، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات ، كسورة " يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، محمد ، نوح ، الأنبياء ، المائدة ، الإسراء ... الخ .

أو في ما يتعلق بالإيمان بالملائكة كسورة "الصفات، والمرسلات" .

أو فيما يتعلق بالإيمان بالقرآن كسورة "النور، الفرقان ، فصلت ... الخ.

أو في ما يتعلق باليوم الآخر كسورة " البقرة، الأعراف، الزمر، الدخان،

الجاثية، الواقعة، التغابن، القيامة، النبا، الانفطار، الانشقاق، الغاشية، ... الخ .

(١) ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

ثانياً: دلالات ذات بعد عبادي كسورة " الحج ، السجدة ، الجمعة " .

ثالثاً: دلالات ذات بعد جهادي كسورة الأنفال ، الأحزاب ، الفتح ، الحديد ، الصف ، العاديات ، النصر " .

رابعاً: دلالات ذات بعد اجتماعي كسورة " آل عمران، النساء، التوبة، الشورى، المجادلة ، الطلاق ، عبس ، الهمة ... الخ .

خامساً: دلالات ذات بعد تاريخي عظيم ، كسورة " الحجر ، مريم ، القصص ، الروم ، لقمان ، سبأ ، الأحقاف ... الخ .

سادساً: دلالات ذات بعد ثقافي كسورة " الشعراء ، القلم " .

سابعاً: دلالات ذات بعد اقتصادي كسورة "المطففين، الماعون" .

ويمكن أن تقسم دلالات السور على غير هذه الأقسام التي ذكرتها، وقد قصدت منها فقط هو إلقاء الضوء على جوانب هذا الموضوع المهم ؛ الذي هو جدير بالدراسة والبحث .

ثالثاً: أسماء السور من حيث تعدد الاسم وعدمه :

تنقسم سور القرآن الكريم من حيث تعدد الاسم وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

١- ما لها اسم واحد لم يرد غيره ، كسورة " النساء ، والأعراف ، والأنعام ، ومريم ، وطه ، والشورى ، والمدثر " .

٢- ما لها أكثر من اسم ، وهي :

أ- ما لها اسمان ، كسورة محمد تسمى " القتال " ، والجاثية تسمى " الشريعة " ، والمعارج تسمى " سأل " ، وسورة عمّ تسمى " النبا " .
ب- ما لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة تسمى " العقود ، والمنقذة " ، وغافر تسمى " الطُول ، والمؤمن " ، والإسراء تسمى " سبحان ، وبني إسرائيل " .

ج- سور لها أكثر من ثلاثة أسماء كالتوبة من أسمائها " براءة ، والفاضحة ، والحافرة ، والعذاب ، والبَحوث ، والمُبعرثة " .
وكسورة الفاتحة من أسمائها " أم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، الصلاة ، الحمد ، والكافية ، والشافية ، والواقية " ، فقد ذكر لها السيوطي في الإتقان " خمسة وعشرين اسماً " (١) .

١- أن تسمى عدة سور باسم واحد :

من ذلك تسمية البقرة وآل عمران بـ " الزهراوين " (٢) كما قال النبي ﷺ :
« اقرءوا القرآن فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ، اقرءوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ » (٣) ، وسورة الفلق والناس تسميان بـ " المعوذتين " ، كقول النبي ﷺ : « أَنْزَلَ أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يَرِ مِثْلَهُنَّ قَطُّ ، الْمَعُودَتَيْنِ » (٤) .

(١) انظر ، ج ١/١٨٥ - ١٨٩ .

(٢) سميت الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما " مسلم بشرح النووي ، ج ٦/٧٨ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ، ح رقم ٨٠٤ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل قراءة المعوذتين ، ح رقم

٣- طريق ترتيب السورة :

معرفة سور القرآن من حيث بداية كل سورة ، ونهايتها ، وما جاء فيها من آيات ؛ وفق ترتيب معين توقيفي ؛ لا مجال للرأي والاجتهاد فيه ، وقد نقلنا الأدلة الكافية ، والإجماع الذي ذكره عدد من أهل العلم في هذا الموضوع عند الحديث عن ترتيب الآيات .

وسور القرآن تختلف من حيث الطول والقصر ، وفق حكم إلهية عظيمة فأطول سورة " البقرة " ، وأقصر سورة " الكوثر " .

٤- عدد سور القرآن :

عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة على الراجح من أقوال أهل العلم ، ومنهم من قال : مائة وثلاث عشرة سورة ؛ منهم مجاهد ؛ وقولهم ضعيف ، قال الزركشي رحمه الله : « اعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هي في المصحف العثماني ، أولها الفاتحة وآخرها الناس ، وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة ؛ لاشتباه الطرفين وعدم البسمة ، ويردّه تسمية النبي ﷺ كلا منهما باسم مستقل » (١) .

وقال السيوطي رحمه الله : « أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به وقيل : وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة » (٢) .

(١) البرهان ج ١/٢٥١ .

(٢) الإتيان ج ١/٢٢٦ .

٥- أسباب ترك البسملة في سورة براءة :

تعددت أقوال العلماء في سبب إسقاط البسملة من المصاحف في

سورة براءة إلى أقوال عديدة من أبرزها ما يلي :

الأول : أن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا المصاحف في عهد

عثمان رضي الله عنه اختلفوا في ترك البسملة بين الأنفال وبراءة ، فقال بعضهم :

هي سورة واحدة ، وقال بعضهم : هما سورتان ، فتركت البسملة لقول

من قال إنهما سورة واحدة ، وكتبت كل سورة لوحدها لقول من قال

أنهما سورتان ، قاله أبو خارجة ، وأبو عصمة وغيرهما ، واستدلوا بما

رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ : « مَا

حَمَلَكُم أَنْ عَمَدْتُمُ إِلَى " الْأَنْفَالِ " وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي ، وَإِلَى " بَرَاءة "

وَهِيَ مِنَ الْمُؤَيَّنَاتِ ؛ فَقَرَأْتُمُ بَيْنَهُمَا ؛ وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا " بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوْلِ مَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ ؟

فَقَالَ عُثْمَانُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ نَزَلُ عَلَيْهِ

السُّورُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ

فَيَقُولُ : ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَإِذَا

نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ ، فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا

كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ بَرَاءةً

مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا

فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَأْتُ

بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَوَضَعْتُهَا فِي

السَّبْعِ»^(١) . ومما روى عن أبي بن كعب : « آخر ما نزل براءة ، وكان رسول الله ﷺ يأمرنا في أول كل سورة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ولم يأمرنا في سورة براءة بشيء ، فلذلك ضمت إلى الأنفال ، وكانت شبيهة بها»^(٢) . قال الزجاج: والشبه الذي بينهما أن في " الأنفال " ذكر اليهود ، وفي " براءة " نقضها . وكان قتادة يقول : هما سورة واحدة»^(٣) .

الثاني : روي عن سفيان بن عيينة ، ومالك بن أنس ، وابن عجلان ، وابن جبير أنها كانت تعدل سورة البقرة أو قريباً منها ، وأنه لما سقط أولها سقطت البسمة .

الثالث : أن براءة "سخط" ، و بسم الله الرحمن الرحيم "رحمة" ، فلا يجمع بينهما ، وفي قول آخر أن براءة نزلت "برفع الأمان" ، وبسم الله الرحمن الرحيم " أمان" ، كما روي عن ابن عباس رضی الله عنهما قال : « سألت علي بن أبي طالب ، لِمَ لَمْ تَكْتُبْ فِي بَرَاءَةِ " بَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ؟ قال : لأنها أمان ، وبراءة نزلت بالسيف»^(٤) .

(١) سبق ذكر الحديث ص: ١٦٥ ، وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر بل حكم عليه أنه لا أصل له ؛ وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم ٥٩٩ ، مع أنه حسنه بعض أهل العلم منهم الإمام الترمذي .

(٢) الجامع لأحكام القرآن لأبي العربي ج ٢/٤٤٥ .

(٣) زاد المسير في التفسير لابن الجوزي ج ٣/٣٩٠ .

(٤) رواه الحاكم في " المستدرک " ٢/٣٣٠ ، وسكت عنه ، وكذلك الذهبي في " التلخيص " .

قال الشيخ الجزائري في تفسيره: « هذا أحد خمسة أوجه في عدم كتابته البسملة في براءة وهو أوجهها »^(١) ، وقالوا : وكان من عادة العرب إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه وكتبوا إليهم كتاباً ؛ لا يكتبون فيه البسملة .

الرابع : أنها لم تكتب لأن جبريل عليه السلام لم ينزل بها على النبي ﷺ كما نزل بها في بداية كل سورة ، فلو قرأ بها جبريل على النبي ﷺ لنقله إلينا قال السيوطي: « لم يكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك »^(٢) ، وقال القشيري ، وعدد من العلماء بهذا .

ولعل هذا القول الأخير هو الأنسب ، ولا مانع من أن يحمل عليه القول الثاني والثالث ، إذ هي عبارة عن تعليل لعدم ذكر البسملة ، أما القول الأول فلا يخفى ضعفه ؛ أولاً لضعف الحديث ، وثانياً لأن الصحابة لم يكن عندهم اشتباه أن كل واحدة من الأنفال والتوبة سورة مستقلة ؛ لورود أدلة أخرى توضح ذلك ، كما أن هذا الموضوع يرجح القول بأن البسملة آية مستقلة ؛ كانت تنزل للفصل بين السور ، وأن إثباتها في المصاحف لم يكن خاضعاً للاجتهاد ، إنما أمر توقيفي ، وأن الراجح في عدم كتابتها هنا لعدم ثبوتها عن النبي ﷺ ؛ لأنه لو كان وضعها في المصاحف بالاجتهاد لوضعها الصحابة على عادة وضعها في بداية كل سورة ، والله أعلم .

(١) أيسر التفاسير ، ج ٢/٣٣٧ .

(٢) الإقناع ج ١/ ٢٢٦ .

٦- أقسام السور :

قسم العلماء سور القرآن من حيث الطول والقصر إلى أربعة

أقسام؛ كما جاء ذلك عن النبي ﷺ وهي :

١- الطوال : وهي سبع ، سورة " البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف " ، واختلفوا في السابعة ، فقيل : " الأنفال ، والتوبة " لمن عدتهما سورة واحدة ؛ لعدم وجود البسمة بينهما ، وقيل : إن السابعة " يونس " (١) .

٢- المثون : وهي السور التي تلي الطوال ، وتزيد آياتها عن مائة أو تقاربها ، فإلي تزيد كسورة " هود ، ويوسف ، والنحل ، والإسراء ، والكهف " والتي تقاربها كـ " الحجر " تسعة وتسعون آية ، و " مريم " ثمانية وتسعون آية .

٣- المثاني : قال الفراء : « هي السور التي آياتها أقل من مائة » (٢) ، وسميت بالمثاني لأنها تثني أكثر مما يثني الطوال والمثون ، وقيل : لأنها ثنيت فيها القصص كسورة " إبراهيم ، والرعد ، والنور ، والفرقان ... الخ " .

٤- المفصل : وهو ما يلي المثاني من قصار السور إلى آخر القرآن ، وقد اختلف العلماء في أوله على أقوال أصحها ما قيل : من " ق " ، وقيل : من " الحجرات " وهو الذي صححه الإمام النووي (٣) ، وآخره " الناس " بلا نزاع .

(١) كان الأولى أن يقولوا سورة التوبة لأنها أكبر من يونس ، وقبلها في الترتيب ، ولأنهم

لم يجعلوها مع الأنفال سورة واحدة .

(٢) الإتيان ج ١/٢٢١ .

(٣) انظر البرهان ج ٣/١ ، والإتيان ج ١/٢٢٢ ، فقد ذكرنا (الثنى عشر قولاً في ذلك) .

وسمي بالمفصل لكثرة الفصول بين السور بالبسمة ، وقيل : لقلة المنسوخ ؛ ولهذا يسمى بالمحكم في عهد رسول الله ﷺ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « جَمَعْتُ الْمُحَكَّمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا الْمُحَكَّمُ ؟ قَالَ : الْمُفَصَّلُ » (١) .

وقد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام :

١- طوالة : من أوله إلى سورة عمّ .

٢- وسطه : من سورة عمّ إلى سورة الضحى .

٣- وقصاره : من سورة الضحى إلى آخر القرآن ، قال ابن معن : « فطوالة إلى عمّ ، وأوسطه منها إلى الضحى ، ومنها إلى آخر القرآن قصره ، هذا أقرب ما قيل فيه » (٢) .

وقد استدلل العلماء على هذا التقسيم بحديث وإثلة بنِ الْأَسْقَعِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَمِينِ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ » (٣)

٧- ترتيب السور :

اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ما هو عليه الحال اليوم في المصاحف إلى ثلاثة أقوال :

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : تعليم الصّيبان القرآن ، ح رقم ٥٠٣٦ .

(٢) الإتيقان ١/٢٢٣ .

(٣) رواه أحمد في المسند ٤/١٩٤ ، الطيالسي رقم ١٠١٢ ، والبيهقي في الشعب ٢/٤٦٥

ح رقم ٢٤٨٤ ، وأبو عبيدة في الفضائل ص ٢٢٥ ، وقال الألباني ((الحديث بمجموع طرقه صحيح والله أعلم)) . سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٤٦٩ .

القول الأول : أنها توقيفية ، والقول الثاني : أنها اجتهادية ، والقول الثالث :
أن بعضها توقيفي وبعضها اجتهادي ، وإليك الحديث عن كل قول مع الترجيح .

القول الأول : أن ترتيب السور توقيفي :

ذهب عدد من العلماء إلى أن ترتيب السور توقيفي من النبي ﷺ ،
وأنه لم توضع سورة في موضعها إلا وفق ما جاء به جبريل على النبي ﷺ ،
وأن ترتيب السور كترتيب الآيات سواء بسواء ، كما قال ابن الأنباري :
« فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ ، فمن قدم
سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن » (١) .

وقال أبو جعفر النحاس : « إن ترتيب السور على هذا الترتيب من
رسول الله ﷺ » (٢) .

وقال ابن الحصار : « ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما
كان بالوحي » (٣) .

واستدلوا على أن ترتيب السور توقيفي بعدد من الأدلة ، أبرزها
ما يلي :

١ - بتحزيب الصحابة للقرآن الكريم كما ورد عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه
قال : « كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ أَسْلَمُوا مِنْ تَقِيفٍ مِنْ بَنِي
مَالِكٍ أَنْزَلْنَا فِي قُبَّةٍ لَهُ ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَيْنَ يَبُوتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا

(١) الإتيان ٢١٧/١ .

(٢) المرجع السابق ٢١٧/١ .

(٣) الإتيان ٢١٩/١ .

صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، وَلَا نَبْرُحُ حَتَّى يُحَدِّثَنَا وَيَسْتَكْبِي قُرَيْشًا، وَيَسْتَكْبِي أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ يَقُولُ: « لَا سَوَاءَ كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَدْلِينَ ، وَمُسْتَضْعَفِينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِحَالُ الْحَرْبِ عَلَيْنَا وَلَنَا ، فَمَكَثَ عِنَّا لَيْلَةً لَمْ يَأْتِنَا ؛ حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ قَالَ : قُلْنَا : مَا أَمْكُتُكَ عِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ » ، قَالَ : فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا قَالَ : قُلْنَا كَيْفَ تُحْزَبُونَ الْقُرْآنَ ؟ قَالُوا : تُحْزَبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ ، وَخَمْسَ سُورٍ ، وَسَبْعَ سُورٍ ، وَتِسْعَ سُورٍ ، وَإِخْدَى عَشْرَةَ سُورَةً ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً ، وَحِزْبَ الْمُفْصَلِ مِنْ قَافٍ حَتَّى يُخْتَمَ » (١) . قَالَ ابْنُ حَجْرٍ: « فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ . وقال : « ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذٍ حزب المفصل خاصة بخلاف غيره » (٢) .

وإذا جمعت أعداد السور هكذا ٣ + ٥ + ٧ + ٩ + ١١ + ١٣ كان المجموع ٤٨ سورة (٣) ، قال الزركشي: « وحينئذٍ فإذا أعددت ثمانية وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة "ق" » (٤) ، قال د. الرومي :

(١) رواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب : تحزيب القرآن ، رقم ١١٨٥ ، وابن ماجه رقم ١٣٣٥ ، وأحمد رقم ١٥٥٧٨ ، وقال يحيى بن معين كما في عون المعبود ٢٧٠/٤ إسناد هذا الحديث صالح .

(٢) فتح الباري ج ٩ / ٤٢

(٣) دراسات في علوم القرآن د. الرومي ص ١٠٨ .

(٤) البرهان ج ١ / ٢٤٧ .

« هذا إذا لم نعد الفاتحة، أما إذا عددناها فإن التي بعدهن سورة الحجرات، ولهذا وقع الاختلاف في أول المفصل ومن لم يعد الفاتحة من الطوال فقد عدها من المفصل»^(١) فهذا الحديث يدل على أن هذه السورة كانت مرتبة على هذا الترتيب المعروف اليوم منذ عهد النبي ﷺ .

٢- استدلووا بحديث واثلة بن الأسقع ؛ الذي جاء فيه قول النبي ﷺ : «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِائِينَ ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِائِيْنَ ، وَفُضِّلَتْ بِالْمُفَصَّلِ»^(٢) . قال أبو جعفر النحاس: « فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد ؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن»^(٣) .

٣- واستدلوا باختلاف ترتيب بعض السور المتجانسة في القرآن، بأنها لم ترتب متوالية ، فلو كان الأمر اجتهادياً لروعي فيه هذا الجانب ، إذ الاجتهاد يقوم على جمع المتجانسات والمتماثلات بعضها على بعض ، فسور المسبحات فصل بين سورها بالمجادلة ، والمتحنة ، والمنافقون ، وسورة " طسم " الشعراء ، و" طسم " القصص « لم يتعاقبا مع تماثلهما ؛ بل فصل بينهما بسورة أقصر منها ؛ وهي ﴿طس﴾ ، كما قال السيوطي رحمه الله : «ومما يدل على أنه توقيفي كون "الحواميم" رتبت ولاء وكذا

(١) دراسات في علوم القرآن ، د. الرومي ص ١٠٩ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ١٩٠ .

(٣) الإتيقان ١/٢١٩ .

"الطواسين" ، ولم ترتب "المسبحات" ولاء ؛ بل فصل بين سورها ، وفصل بين " طسم " القصص بـ " طس " (١) مع أنها أقصر منها ، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت " المسبحات " ولاء ، وأخرت " طس " سورة النمل عن القصص « (٢) .

٤- استدلووا بما ثبت من أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ القرآن كل سنة مرة ؛ وأن تلك العرضة لا بد أن تكون قد تمت على سورة معينة ؛ هي التي نقلت إلينا ، لأنه لا يمكن للنبي ﷺ أن يخالفه ، وما كان للصحابة أن ينقلوا لنا خلافها ، قال الكرمانى : « ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين » (٣) .

وقال الإمام مالك : « إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ » (٤) .

القول الثاني : أن ترتيب السور اجتهادي :

اجتهد عليه الصحابة رضي الله عنهم في عهد عثمان ثم أجمعوا عليه ، وهذا هو قول جمهور العلماء (٥) قال ابن فارس : « جمع القرآن

(١) المراد سورة النمل ، ولعل ما قاله صحيح إذا أريد الحروف الهجائية ، لاعدد الآيات .

(٢) الإتيقان ج ١/٢٢٠ .

(٣) الإتيقان للسيوطي ، ١/٢١٧ ، ٢١٨ .

(٤) المقنع للداني ص ٧ .

(٥) انظر الإتيقان ١/٢١٧ ، وفتح الباري ٩/٤٠ .

على ضربين : أحدهما تأليف السور كتقدم السبع الطوال ، وتعقيبهما بالمئين فهذا الذي تولته الصحابة ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل الطيّب عن أمر ربه»^(١) .

واستدلوا على قولهم :

أولاً : باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور ، فكان مصحف علي بن طالب مرتب على حسب النزول ، فأوله كان "اقرأ" ، ثم "المدثر" ، ثم "ن" ، ثم "المزمل" ، ثم "تبت" ، ثم "التكوير" ... وهكذا إلى آخر المكي والمدني ، وكان مصحف ابن مسعود أوله البقرة ، ثم "النساء" ، ثم "آل عمران" على اختلاف شديد ، ومصحف أبي "الفاتحة" ، ثم البقرة ، ثم "النساء" ، ثم "آل عمران" ، ثم "الأنعام" ، وهكذا غيرهم .

فقالوا : لو كان هناك ترتيب من النبي ﷺ ما اختلفت مصاحف الصحابة عن ترتيب النبي ﷺ ولكانت جميعاً على ترتيب واحد .

ثانياً : واستدلوا بما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة ؓ : « أن النبي ﷺ صلى بالبقرة ، ثم النساء ، ثم بآل عمران في ركعة » .

ثالثاً : واستدلوا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ : « مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى " الْأَنْفَالِ " ؛ وَهِيَ مِنْ الْمَثَانِي ، وَإِلَى " بَرَاءة " ؛ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ ؛ فَقَرَأْتُمْ بَيْنَهُمَا ؛ وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ ،

(١) الإتيان ج/ ٢١٧ .

مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ عُمَانُ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّورُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ ؛ فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَانَتْ قِصَّتَهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا ؛ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا ؛ وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ» (١) .

القول الثالث: أن ترتيب بعض السور كان توقيفياً من النبي ﷺ،

وبعضها كان اجتهادياً من الصحابة : فما وردت فيه الأدلة على ترتيبه قلنا أنه توقيفي ، وما لم يرد فيه دليل قلنا أن ذلك تركه النبي ﷺ لاجتهاد الصحابة ، قال الزركشي: « مال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ ، كالسبع الطوال ، والحواميم ، والمفصل ، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده ، قال أبو جعفر بن الزبير: « الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية ، ويبقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف » (٢) ، وقال ابن حجر : « ترتيب

(١) تقدم تخريجه ص: ١٢٥ .

(٢) البرهان للزركشي ٢٥٧/١ - ٢٥٨ .

بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً»^(١) ، وقد نصر هذا الرأي بشدة الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه "المناهل" فقال: «وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل العلماء ، ولعله أمثل الآراء»^(٢) ، وقال ابن العربي بعد أن ذكر حديث عثمان : « في هذا كله دليل على أن تأليف القرآن كان منزلاً من عند الله ، وأن تأليفه من تنزيله ، يبينه النبي ﷺ لأصحابه ، ويميّزه لكتّابه ، ويرتبه على أبوابه ، إلا هذه السورة فلم يذكر لهم فيها شيئاً ، ليتبين الخلق أن الله يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولا يسأل عن ذلك كله ، ولا يعترض عليه ، ولا يحاط بعلمه إلا بما أبرز منه إلى الخلق ، وأوضحه بالبيان . ودلّ بذلك على أن القياس أصل الدين ، ألا ترى إلى عثمان وأعيان الصحابة كيف لجأوا إلى قياس الشبه عند عدم النص ، ورأوا أن قصة براءة شبيهة بقصة الأنفال فألحقوها بها فإذا كان الله قد بين دخول القياس في تأليف القرآن فما ظنك بسائر الأحكام ؟»^(٣) .

الرأي الراجح :

لعل الرأي الأول الذي يقول أن ترتيب السور توقيفي هو الراجح - والله أعلم - وذلك للآتي :

أولاً : قوة الأدلة ووضوحها لحد كبير فيما ذهبوا إليه .

(١) الإتيان ٢١٩/١ .

(٢) ج ٣٥٦/١ ٢٥٨ .

(٣) أحكام القرآن ج ٤٤٦/٢ .

ثانياً : لورود أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تشير إلى الترتيب الذي في المصاحف اليوم منها قوله ﷺ : « اقرعوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران »^(١) ، وعن عبد الرحمن بن يزيد بن قيس قال : « سمعتُ ابنَ مسعودٍ يقولُ في بني إسرائيلَ ، والكهفِ ، ومرِّيمَ ، وطهَ ، والأَنْبياءِ ، إنَّهُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ »^(٢) ، وبما ورد كذلك عن النبي ﷺ « كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفْيِهِ ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا ، فَقَرَأَ فِيهِمَا (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) ، وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ حَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ ، وَمَا أَدْبَرَ مِنْ حَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »^(٣) .

ثالثاً : وما رجح هذا الرأي قول سليمان بن بلال : « سمعت ربيعة " هو ابن أبي عبد الرحمن ، المعروف بريعة الرأي " يسأل : لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما نزلتا بالمدينة ؟ فقال قدمت ، وألف القرآن على علم من ألفه به ، ومن كان معه فيه ، واجتماعهم على علمهم بذلك ، فهذا مما ينتهي إليه ولا يسأل عنه »^(٤) .

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ح رقم ١٣٣٧ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : تأليف القرآن ، ح رقم ٤٦١٠ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : فضل المعوذات ، ح رقم ٤٦٣٠ .

(٤) فضائل القرآن ص ٨٦ ، الإتقان ١/٢٢٠ ، وقال صاحب المقدمات الأساسية " أثر صحيح أخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة ج ٣/١٠١٦ " ص ١٣٦ .

فهذا الأثر وما جاء فيه يرجح أن ترتيبه توقيفي لأنه لو كان تم
باجتهاد لبين ذلك الاجتهاد وفق معطيات واضحة ، مثل أن يرتب على
حسب أسبقية النزول ، أو الطول ، أو القصر ، أو الموضوعات ، ولا
يُجد في ترتيب القرآن كل هذه المعطيات التي يمكن أن تنبني عليها
الاجتهادات البشرية ، وهذا يؤكد على أنه ترتيبه من لدن حكيم خبير .

رابعاً : ومما يؤكد أن ترتيبه توقيفياً أن الجمع الذي تم في عهد أبي
بكر وكذلك في عهد عثمان لم يكن لترتيب الآيات أو السور ، وإنما كان
لجمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر ، ونسخه في عدد من
المصاحف في عهد عثمان على حرف واحد ، فلو كان هناك اجتهاد يتعلق
بترتيب السور أو غير ذلك لنقل إلينا ، كما نقل إلينا ما هو دونه بكثير
مثل اعتراض عبد الله بن مسعود في عدم إشراكه في لجنة الجمع وغيره .

خامساً : لأنَّ أدلة الفريق الثاني والثالث عليها ملاحظات
وتعقيبات واضحة تضعف الاستدلال بها ، وهي :

١- أنَّ استدلالهم باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة ليس بدليل ، وذلك لأنه
ربما يكون ذلك قبل علمهم بالتوقيف ؛ الذي كان في نهاية الأمر بعد اكتمال
نزول القرآن الكريم ، كما أن مصاحفهم كانت خاصة ولم تكن عامة.

٢- وأما استدلالهم بقراءة النبي ﷺ في صلاة الليل فهو دليل ليس في محل
الخلافاً ، لأننا نتحدث عن ترتيب السور في المصحف ، وهذا عن ترتيب
السور في الصلاة ، ولعل النبي ﷺ فعل ذلك ليدل على جواز التقديم
والتأخير بين السور في الصلاة .

٣- أما أن استدلالهم بحديث ابن عباس وقوله مع عثمان ، فالحديث ضعفه عدد من أهل العلم ، قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه للمسند (٣٢٩/١-٣٣١) : في إسناده نظر ؛ بل هو عندي ضعيف جداً ، بل هو حديث لا أصل له وذكر علله ، وإن صح فهو خاص بترتيب الأنفال والتوبة ، وهو يؤكد التوقيف فيما سواهما ، ولا يمكن أن ترد بها الروايات الصحيحة الكثيرة الثابتة عن النبي ﷺ في ترتيب السور .

٨- الحكمة من تقسيم القرآن الكريم إلى سور :

تقسيم المولى الكريم سبحانه وتعالى القرآن إلي سور فيه حكمٌ

كثيرة وفوائد عديدة منها :

١- يساعد على تسهيل الحفظ والمدارسة للقرآن الكريم ؛ وذلك بالتدرج في التعليم من السور القصار إلى السور الطوال ، لأن النفس إذا تدرج معها من القليل إلى الكثير كان أنفع لها وأصلح . وهو من نوع التيسير الذي وعد الله به في كتابه .

٢- يساعد في تجديد الهمة والنشاط في نفس المتعلم نحو حفظ وتعلم القرآن الكريم ؛ لأنه إذا أكمل سورة سارع لتعلم أخرى حتى يصل إلى نهايته ، كالمسافر إذا أكمل منزلة نشط لما بعدها ، خلافاً لمن يسير في طريق دون منازل ، أو في بحر دون أن ير فيه مرافئ وشواطئ .

٣- يساعد على تسهيل الفهم ، وتثبيت المعنى ؛ لأن حسن الترتيب والتبويب من أعظم المعينات على فهم ما جاء في الكتاب ، وهو مشوق ودافع إلى استيعاب كل ما جاء في أبوابه ، لذا اعتمد كمنهج ثابت في

البحوث العلمية كما قال الزمخشري : « أن الجنس إذا انطوى تحته أنواع وفصول كان أحسن وأفخم من أن يكون باباً واحداً » (١).

٤- الدلالة على موضوعات السور وفهم كل ما جاء فيه على حدة لأن لكل سورة موضوعاتها وأهدافها ، فسورة يوسف مثلاً بسطت القول عن قصته وما احتوته من دروس وعبر، وكذلك سورة مريم، ونوح، كما أن سورة الأنفال شملت الحديث الدقيق عن معركة بدر؛ وما يهم أهل الإيمان من مسائل الجهاد، وسورة التوبة لم تترك للمنافقين سترًا إلا هتكته ، وسورة البقرة تكاد لم تدع حكماً تشريعياً إلا وتحدثت عنه ؛ إما تصريحاً أو تعريضاً وهكذا.

٥- أن الإنسان إذا حفظ سورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله قدراً مستقلاً فيعظم عنده ما حفظه، ويحرص على معاهدته وتكرار تلاوته ومدارسته .

٦- التنبيه على أن الطول ليس شرطاً للإعجاز ، فإن التحدي والإعجاز واقع ولو بأقصر سورة وهي سورة الكوثر .

٧- يساعد في تقسيم القرآن للتلاوة والقراءة في الصلاة ، ولذا كان غالباً ما يقرأ النبي ﷺ السورة كاملة في الركعة أو الصلاة .

٨- كما يساعد موضوع السورة الواحدة في الخطبة أو التعليم ، كما كان يذكر النبي ﷺ بسورة " ق " من على المنبر .

٩- كما أن كل سورة تمثل أسلوباً فريداً ومتنوعاً في الخطاب والعرض والأسلوب والمعالجة، فسورة يوسف مثلاً تأصل لقضايا العقيدة والأخلاق

(١) الكشف ج ١/ ٢٤١ .

من خلال منهج وأسلوب قصصي، وسورة الفرقان تعالج نفس الموضوع
بأسلوب فكري تفكري ومثلي ... الخ .

١٠- كما أن في هذه السور من تنوع في الأسلوب ، وترابط في الموضوع
وتناسق في المعاني، وجمال في العرض، ما يدل دلالة قاطعة على أن هذا
القرآن من لدن حكيم خبير^(١) .

(١) انظر الإتيان ج/١ - ٢٣٠ - ٢٣١، ومناهل العرفان ج/١ - ٣٥١، ٣٥٢، والمدخل لدراسة
القرآن ص ٢٨٧، ٢٨٦، ودراسات في علوم القرآن د . الرومي، ص ١١٢، ١١٣ .

المبحث السابع

المكي والمدني من القرآن الكريم

المكي والمدني من القرآن الكريم

١- أهمية علم المكي والمدني :

موضوع المكي والمدني من المواضيع المهمة في علوم القرآن الكريم، لأنه يتعلق بدراسة زمان ومكان نزول القرآن ؛ وذلك لأن من خصائص هذا الكتاب العزيز أنه لم ينزل في زمان واحد ، ولا في مكان واحد ، وإنما ابتداءً نزوله في مكة ، واستمر بضعاً وعشرين سنة في النزول ، ومن هنا تعددت أماكن نزوله حسب الأماكن التي كان النبي ﷺ موجوداً فيها ، سواء في مكة أو المدينة وهذا هو الغالب ، أو خارجهما ، في إقامته وسفره، وفي حالتي السلم والحرب من ليل أو نهار ، و صيف أو شتاء ، وذلك لأن نزول القرآن لم يرتبط بحالة خاصة ، أو وقت محدد ، بل كانت الآيات والصور تنزل على النبي ﷺ حسب الحاجة ، والمناسبة ، والحكمة الإلهية ، وقد كان لارتباط بعض الآيات بزمان معين عند نزوله ، أو مكان محدد من الأرض له دلالات كثيرة ، وفوائد عظيمة ، وحكم بليغة ، وإلا ما كان اهتم بذلك أصحاب النبي ﷺ ، لأن هذا التدرج والتنوع في نزول القرآن ؛ يعتبر مدرسة كاملة يأخذ المؤمن منها فهماً عميقاً للشرع ومقاصده وعلله ومدلولات أحكامه ؛ وفقهاً واسعاً للدعوة في معرفة أساليبها وأولوياتها ، وتفنن خطابها ، ودليل من دلائل الإعجاز التي تأخذ مجامع القلوب إلى اليقين بأن هذا القرآن من لدن حكيم خبير ، لأنه مع تباعد زمانه وتعدد مكانه نسيج واحد ، لا خلل فيه ولا اختلاف، يصدق بعضه بعضاً .

إضافة إلى أنه يمثل تاريخ التشريع ، ومولد دعوة الإسلام ، ونشأتها، وتطورها ، ووقائع تفصيلية عن المؤثرات الزمانية والمكانية على سيرها ، والأمة في حاجة كبيرة إلى معرفة ذلك في كل وقت خاصة في زماننا هذا الذي بعد الناس فيه عن آثار النبوة ، وغيث الأرواح والقلوب ، ليحيوا دعوة الإسلام مرة أخرى في قلوبهم وبلادهم ، على نفس المنهج الذي رسمه الله لدعوة الإسلام لتولد وتقوى في العهد الأول ، وفق مرحلة البدايات التي يمثلها القرآن المكي ، والنهايات في نضوجها واكتمالها الذي يمثله القرآن المدني .

ونحن لن نستطيع أن نستقصي هذا الموضوع الواسع العظيم من خلال هذا المبحث بقدر ما أننا نريد أن نلقي الضوء على بعض النقاط الأساسية التي من خلالها نستطيع أن نُمَيِّز الأمر ، وأن نظهر لنا معالمة العظيمة ، أما تفاصيله فقد كتب فيها العلماء ، وهي تحتاج إلى كتابات وأبحاث عديدة غير ما كتب ، إذ أن هذا الموضوع إلى اليوم لم يعط حقه من العناية حتى تستفيد منه دور العلم ، ومؤسسات الدعوة ، وجماعات الإصلاح .

٢- عناية العلماء بالمكي والمدني :

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بموضوع المكي والمدني في القرآن اهتماماً خاصاً ، وتتبعوا القرآن سورة سورة ؛ بل آية آية لمعرفة زمان النزول ومكانه، معتمدين على صحيح المنقول ، وسليم المنظور وفق اجتهاد قام على أسس وضوابط ، ويظهر هذا الاهتمام من خلال النقاط الآتية :

أولاً: عناية أصحاب النبي ﷺ به؛ كما يقول عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه :
« وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ
أُنزِلَتْ، وَلَا أُنزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمَ
أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ » ^(١) وكان علي بن
أبي طالب يقول على المنبر : « سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا
أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل
نزلت أم بالنهار ، أفي سهل أم في جبل » ^(٢) ، وقال أيوب : « سألت رجل
عكرمة عن آية من القرآن فقال : نزلت في سفوح ذلك الجبل وأشار إلى
سَلْع » ^(٣) .

ثانياً : هنالك عدد من العلماء أفردوا هذا الموضوع بالتأليف قديماً
وحديثاً ، منهم مكِّي بن أبي طالب حمّوش القيسي (ت : ٤٣٧هـ) ، لكن
كتابه مفقود ، وعبد العزيز بن أحمد بن سعد الدميري المعروف بالديري
(ت : ٦٩٤هـ) وكتابه كذلك مفقود .

(١) رواه البخاري في الصحيح ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراءة من أصحاب النبي ،
ح رقم ٤٦١٨ .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ج ١ / ٦٨ ، ٦٧ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣ / ٣٢٧ .

ومن الدراسات الحديثة :

١- خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها د. أحمد عباس البدوي ، وهي رسالة علمية حصل بها كاتبها على الدكتوراه عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م من جامعة أم القرى بمكة .

٢- خصائص السور والآيات المدنية وضوابطها ومقاصدها لـ " عادل محمد صالح أبو العلا " وهي رسالة ماجستير في جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، وقد طبعته دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة .

وهناك بعض الرسائل والبحوث الخاصة منها : " مقدمة في خصائص القرآن بين العهدين المكي والمدني " د. السيد عبد ، " والمكي والمدني في القرآن " د. محمد عبد الرحمن الشايح .

ثالثاً: لا يخلو كتاب من كتب علوم القرآن القديمة والحديثة من الحديث عن هذا الموضوع ، وتفصيل القول حول أهم النقاط التي تتعلق به، مما يدل على أهميته .

رابعاً: جعله العلماء من العلوم الواجبة على المفسر تعلمها ، ويحرم عليه إن جهلها أن يتكلم في كتاب الله ، كما قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري بعد أن عدّد خمسة وعشرين نوعاً من أنواع علوم القرآن بعد ذكره لشرف هذا العلم ، قال : « فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله »^(١) .

(١) انظر البرهان ١/١٩٢ ، والإتقان ١/٢١١ .

خامساً : مما يدل على اهتمام العلماء بهذا العلم تلك الفوائد
الكثيرة التي نص عليها العلماء ، وهي فوائد لا غنى لمعلم ، أو متعلم ،
أو فقيه ، أو داعية عنها .

٣- تعريف المكي والمدني :

للعلماء في تعريف المكي والمدني أقوال ثلاثة ، أحسنها تعريف من
عرف المكي والمدني باعتبار زمان النزول ، وذلك يجعل الهجرة حداً
فاصلاً ، فقالوا : « المكي ما نزل قبل الهجرة ؛ وإن كان بغير مكة ،
والمدني ما نزل بعد الهجرة ؛ وإن كان بمكة ^(١) ، وما نزل في أثناء الهجرة
قبل أن يصل النبي ﷺ إلى المدينة ؛ فهو مكّي » .

وهذا التعريف رجحه العلماء لأنه حاصر وضابط ، ولا تخرج عنه
آية من آيات القرآن ، خلافاً للقولين الآخرين ، لأن من عرفه باعتبار
مكان النزول قالوا : " المكي ما نزل بمكة وما جاورها كـ " منى ،
وعرفات ، والحديبية " و المدني ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد ،
وقباء ، وبدر ، فإنه غير حاصر ولا ضابط ، لأن ليس كل القرآن اختصر
نزوله على هذه الأماكن ؛ بل هناك آيات قرآنية نزلت في تبوك ،
والطائف ، وبيت المقدس وغيرها .

(١) مثل آية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ مدنية مع أنها

نزلت في عرفات بمكة في حجة الوداع . وكقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

مدنية مع أنها نزلت جوف الكعبة بعد الهجرة عام الفتح .

ومن عرفه كذلك باعتبار الخطاب ؛ وذلك يجعل المكي ما كان فيه
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ، و ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ باعتبار أن الكفر كان غالباً فناسبهم هذا
 الخطاب ، والمدني ما كان فيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باعتبار أن الإيمان كان
 غالباً فناسبهم كذلك أن يخاطبهم الله بما هو محبب إلى نفوسهم ، فهو غير
 حاصر ولا ضابط ، وذلك لأن ليس كل القرآن مصدر أو فيه هذه
 النداءات الثلاثة ، ومما يضعفه أكثر أن هناك سور متفق عليه أنها مدنية
 كالبقرة وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ، والنساء وهي مصدرة بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ،
 وسور مكية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كسورة الحج فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 ارْكُوعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١) « (٢) .

٤- طريق معرفة المكي والمدني :

لمعرفة المكي والمدني من القرآن الكريم طريقان الأول : سماعي ،
 والثاني : قياسي ، كما قال الشيخ برهان الدين الجعيري المقرئ الشافعي
 في كتابه " حسن المدد في معرفة العدد " : « لمعرفة المكي والمدني طريقان
 سماعي ، وقياسي » (٣) .

فالسماعي : عمدته النقل الصحيح عن أصحاب النبي ﷺ الذين
 عاصروا الوحي ، وعاشوا التنزيل ، وعرفوا زمان نزول القرآن ومكانه ،

(١) سورة الحج الآية : ٧٧ .

(٢) انظر البرهان ١/١٨٨ ، والإتقان ١/٢٢٢ .

(٣) انظر البرهان ١/١٨٩ .

خاصة قد ثبت بالروايات الصحيحة اهتمامهم الكبير بهذا الجانب ، أو عن التابعين خاصة الذين اعتنوا بأخذ القرآن من أصحاب النبي ﷺ ؛ فيما ليس للصحابة فيه قول . ولم ينقل عن النبي ﷺ في تحديد ذلك شيء لأنه كان من الأمور المعلومة والمشاهدة والمعاشة يوماً بعد يوم ، وكل آية ، أو آيات ، أو سور تنزل على النبي ﷺ فقد كان يوضحها لأصحابها ، وما كان ينزل عليه بالليل كان يوضحه لأول من يقابله في صلاة الصبح من أصحابه ، كما جاءت الروايات الكثيرة التي توضح ذلك ، كما جاء عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَوْلَهُ : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : تَكَلِّتْ أُمَّكَ يَا عُمَرُ نَزَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ . قَالَ عُمَرُ : فَحَرَكْتُ بَعِيرِي ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزَلَ فِي قُرْآنٍ ، فَمَا نَشِيتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِحًا يَصْرُخُ بِي ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرْآنٍ ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةَ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ (١) » (٢) . ومثال لهذا ما ورد عن عائشة رضي الله عنها ،

(١) سورة الفتح الآية : ١ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ، ح رقم ٣٨٥٩ .

وفيه « لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ ﴿بِلِلسَةِ السَّاعَةِ مُوعِدُهُمْ وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ (١) وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ » (٢) أي بالمدينة .

والقياسي : وهو يعتمد على معرفة الضوابط التي وضعها العلماء للمكي والمدني ، مع الخصائص الموضوعية لكل منهما ، فقاسوا بها ما لم يرد فيه نص صحيح عن أصحاب النبي ﷺ والتابعين ، على ما ورد فيه نص ، وذلك بعد أن استقرأ العلماء السور والآيات التي ورد فيها نص من المكي والمدني ، وخرجوا بهذه الضوابط ؛ التي نوضحها لك في النقطة التالية إن شاء الله .

٥- الضوابط التي تميز بها المكي والمدني :

استقرأ العلماء الآيات والسور التي ورد فيها النقل عن أصحاب النبي ﷺ أنها مكية أو مدنية فخرجوا منها بضوابط قاسوا عليها ما يرد فيه نقل ، بل أصبحت هذه الضوابط يمكن بواسطتها تميز المكي من المدني بكل سهولة ويسر دون الرجوع إلى النقل .

أ- ضوابط السور المكية :

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية ، وهي (١٤) سجدة ، و ﴿ص﴾ ليست من عزائم السجدات .

(١) سورة القمر الآية : ٧٧ .

(٢) رواه البخاري ، فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، ح رقم ٤٦٠٩ .

٢- كل سورة فيها لفظ " كلا " فهي مكية ، وذكرت ثلاثة وثلاثين مرة ، في خمسة عشرة سورة ، في النصف الأخير من القرآن ، لأنها كلمة رد وزجر تناسب عناد المشركين وكبرياتهم^(١) .

٣- كل سورة مبدوءة بقسم فهي مكية ، وهي خمس عشرة سورة هي " الصافات ، الذاريات ، الطور ، النجم ، الرسائل ، النازعات ، البروج ، الطارق ، القمر ، الشمس ، الليل ، الضحى ، التين ، العاديات ، العصر " .

٤- كل سورة مفتوحة بأحرف التهجي فهي مكية ، ما عدا البقرة وآل عمران فإنهما مدينتان بالإجماع ، فيكون الباقي سبعة وعشرين سورة مكية .

٥- كل سورة فيها «يا أيها الناس» ، وليس فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهي

مكية كيونس ، وفاطر ، أما إذا انفردت فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهي مدنية .

٦- كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية ما عدا سورة البقرة .

٧- كل سورة فيها قصص الأنبياء ، والأمم الغابرة ؛ فهي مكية سوى البقرة وآل عمران^(٢) .

(١) قال العماني : ((وحكمة ذلك أن النصف الأخير نزل أكثره بمكة ، وأكثر أهلها جبابرة فتكرر كلا على وجه للتهديد والتعنيف لهم والإتكار عليهم بخلاف النصف الأول وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لثقتهم وضعفهم)) الإتيان ١٨/١ .

(٢) وقد أوصطها د. محمد عبد الرحمن الشايع في كتابه المكي والمدني في القرآن إلى ثلاثة وعشرين ضابط انظر ص ٢٨ - ٤١ ، ولكن ما ذكرناه هو الأهم الأوضح والذي اختاره عدد من أهل العلم .

ب. ضوابط السور المدنية :

- ١- كل سورة فيها ذكر الفرائض والحدود فهي مدنية .
- ٢- كل سورة فيها ذكر أهل الكتاب ومجادلتهم فهي مكية .
- ٣- كل سورة فيها ذكر الجهاد ، أو الحث عليه ، أو توضيح أحكامه فهي مدنية .
- ٤- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ، سوى العنكبوت ، وقد ورد في صدرها إحدى عشرة آية ذكر فيها المنافقون وهي مدنية على الراجح .
- ٥- كل سورة فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ وليس فيها ﴿يا أيها الناس﴾ فهي مدنية .

٦ - الخصائص الموضوعية للمكي والمدني :

أ- خصائص المكي :

للقرآن المكي خصائص تميز بها في موضوعاته وسمات أسلوبه يمكن إجمالها فيما يلي :

- ١- بسط القول عن توحيد الله ، وإفراده بالعبادة ، مع إبطال الشرك ومجادلة المشركين بما يقطع حججهم ويلجم ألسنتهم بالأدلة والبراهين العقلية والآيات الكونية ، مع إثبات صحة رسالة النبي ﷺ ، وأن القرآن كلام الله ، وأن البعث حق ، وتفصيل الحديث عن القيامة وهولها ، وذكر الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها .

٢- تشريع أصول العبادات ، والمعاملات ، والأخلاق التي يقوم عليها
 كيان المجتمع ، والتي دعت إليها كل الديانات السماوية ، كقوله تعالى :
 ﴿لَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
 يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) ، كما تناول فضح جرائم المشركين وما كانوا
 عليه من سوء العادات كسفك الدماء ، ووأد البنات ، وأكل أموال اليتامى
 والضعفاء ظلماً ونحو ذلك .

٣- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجراً وعظة للمشركين ، وتسلية
 وتثبيتاً للنبي ﷺ والمؤمنين .

٤- قصر الآيات والسور غالباً ، مع قوة الألفاظ ، وإيجاز العبارة ، وبلاغة
 المعنى في أسلوب يكثُر فيه التأكيد ، والتهديد ، والوعيد ، وضرب
 الأمثال، وتكرار بعض الجمل والآيات .

ب- خصائص المدني :

- ١- بيان العبادات كـ « الصلاة والصيام والزكاة » ، والمعاملات كـ
 « النكاح ، والطلاق ، والبيوع » ، والحدود ، كـ « حد الزنا ، والسرقه » ،
 ونظام الأسرة ، ونظام الدولة من قواعد وأحكام للسلم والحرب .
- ٢- دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام ، وإقامة الحججة
 عليهم ، وبيان تحريفهم وانحرافهم ، وكشف سوء ماضيهم وواقعهم ،
 كما نجد ذلك بصورة واضحة في البقرة ، وآل عمران ، والتوبة .

(١) سورة النحل الآية : ٩٠ .

٣- كشف الستار عن حقيقة المنافقين ، وبيان صفاتهم الذميمة ،
ونواياهم السيئة ، وخبثهم ، ومكرهم ، وكيدهم ، وخطرهم ، وجبنهم ،
وهلعهم ، كما جاء ذلك في التوبة ، والأحزاب ، والمنافقون ، وغيرها .
٤- ذكر كل الأحكام الخاصة بالجهاد والحروب والغزوات ، وما بينها من
صلح ومعاهدات ، وما فيه من غنائم ، وفئ ، وأسر ، كما نجد ذلك في
البقرة ، والأنفال ، والتوبة ، ومحمد ، والفتح .

٥- طول أكثر الآيات والسور ، بما يتناسب مع البسط لتوضيح شرائع
الإسلام وأحكامه ، في أسلوب يغلب عليه هدوء العبارة ولينها ، في
خطاب يغلب فيه النداء الإيماني .

٧- السور المكية والمدنية والمختلف فيها :

للعلماء رحمهم الله أقوال مختلفة في تحديد السور المكية والمدنية ؛
وذلك بعد أن استقرأوا سور القرآن وفق الروايات الصحيحة ، ووفق
الضوابط والمميزات الموضوعية التي وضعها العلماء ، لكنهم اتفقوا على
عشرين سورة أنها مدنية ، واثنان وثمانون سورة أنها مكية ، واختلفوا في
اثنى عشرة سورة كما ذكر هذا أبو الحسن الحصار في كتابه "الناسخ
والمنسوخ" فقال : « المدني باتفاق عشرون سورة ، والمختلف فيه اثنتا
عشرة سورة ، وما عدا ذلك مكي باتفاق » ثم نظم في ذلك أبيات يوضح
فيها السورة المدنية والمختلف فيها ، وقال في آخرها :

وما سوى ذلك مكّيّ تترله فلا تكن من خلاف الناس في حصر
فليس كل خلاف جاء معتبرا إلاّ خلاف له حظ من النظر^(١)

فالسورة المتفق عليها أنّها مدنية هي :

- | | | |
|---------------|----------------|---------------|
| البقرة . ١ | ٢ . وآل عمران | ٣ . النساء |
| ٤ . المائدة | ٥ . الأنفال | ٦ . التوبة |
| ٧ . النور | ٨ . الأحزاب | ٩ . محمد |
| ١٠ . الفتح | ١١ . الحجرات | ١٢ . الحديد |
| ١٣ . المجادلة | ١٤ . الحشر | ١٥ . الممتحنة |
| ١٦ . الجمعة | ١٧ . المنافقون | ١٨ . الطلاق |
| ١٩ . التحريم | ٢٠ . النصر | |

والسور المختلف فيها هي :

- | | | |
|--------------|-------------|--------------|
| ١ . الفاتحة | ٢ . الرعد | ٣ . الرحمن |
| ٤ . الصف | ٥ . التغابن | ٦ . المطففون |
| ٧ . القدر | ٨ . البينة | ٩ . الزلزلة |
| ١٠ . الإخلاص | ١١ . الفلق | ١٢ . الناس . |

والسور المكية هي ما عدا هذه السور ، وقد حاول عدد من
العلماء وعلى رأسهم السيوطي رحمهم الله في " الإتيقان " الترجيح
والتحقيق في السور المختلف فيها .

(١) الإتيقان ١/ ٢٨ ، ٢٩ .

٨- أنواع السور المكية والمدنية :

وصف العلماء للسورة بأنها مكية أو مدنية لا يلزم منه أن يكون جميعها مكيّاً أو مدنيّاً ، وإنما يكون أحياناً الحكم على الغالب ، أو تبعاً لفتحها ، ولذا قسم العلماء السور المكية والمدنية إلى أربعة أقسام :

أ- مكي خالص مثل : " اقرأ ، والمدثر ، والقيامة " .

ب- ومدني خالص مثل " البقرة ، وآل عمران ، والنساء " .

ج- ومكي إلا بعض الآيات ، مثل سورة الإسراء فإنها مكية إلا قوله

تعالى: ﴿وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) ،

فقد ورد في صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كنت أمشي مع

النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب ، فمرّ بنفر من اليهود فقال :

بَعْضُهُمْ سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ ، لَا يُسْمِعُكُمْ مَا

تَكْرَهُونَ . فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ . فَقَامَ سَاعَةً

يَنْظُرُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ ؛ حَتَّى صَعِدَ الْوَحْيُ ؛ ثُمَّ قَالَ:

﴿وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢) ، والأمثلة في هذا كثيرة

ذكر بعضها السيوطي رحمه الله في الإتيان^(٣) .

(١) سورة الإسراء الآية : ٨٥ .

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ، ح رقم ١٢٢ ،

٦٧٥٣ ، ٦٩٠٨ .

(٣) انظر الإتيان ج ١/٤٠ .

د- ومدني إلا بعض الآيات وهذا النوع قال العلماء أنه نادر ، قال ابن حجر : «قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السور إلى المدينة فلم أراه إلا نادراً»^(١) ومثل العلماء لهذا بسورة الأنفال فإنها مدنية إلا قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسُوكَ أَوْ يُسْلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلَيْمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمَشْكُونُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، إلا أن ابن عباس يرى أنها مدنية نزلت عليه تذكيراً له بنعمة الله عليه .

٩- أنواع تتعلق بالمكي والمدني :

وهناك أنواع أخرى ألحقها العلماء بالمكي والمدني ، وهي وإن كانت داخلة في الأنواع الأربعة إلا أنها من باب زيادة التفصيل في الأمر فمن أهمها :

(١) فتح الباري ، ج ٩/ ٣٣ - ٣٤ ،

(٢) سورة الأنفال الآيات : ٣٠ - ٣٤ .

١- ما نزل في السفر وما نزل في الحضر ، وأغلب القرآن نزل في الحضر ،
وبعضه نزل في السفر كسورة الفتح .

٢- ما نزل ليلاً وما نزل نهاراً ، فأغلب القرآن نزل بالنهار، وبعضه نزل
ليلاً كالمعوذتين ، كما جاء ذلك في الصحيحين^(١) ، وآية الثلاثة الذين
خلفوا^(٢) .

٣- ما نزل صيفاً وما نزل شتاءً، مثال لما نزل في الصيف آية الكلاله^(٣) ،
وآيات غزوة تبوك ، ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا
يَفْقَهُونَ﴾^(٤) ، ومثال لما نزل في الشتاء آيات الإفك ، فقد جاء في الصحيح
عن عائشة « أنها نزلت في يوم شاتٍ^(٥) وآيات غزوة الأحزاب »^(٦) .

١٠- فوائد العلم بالمكي والمدني :

أولاً : يساعد على فهم وتدبر القرآن بصورة دقيقة وسليمة ، مثال
ذلك آية الثلاثة الذين خلفوا ، كما جاء في البخاري عن كعب بن مالك
قال : « فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الْآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي ، مَعْنِيَّةٌ

(١) تقدم تخريجه ص: ٧٢

(٢) الآية في سورة التوبة رقم ١١٨ .

(٣) سورة النساء الآية ١٧٦ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٨١ .

(٥) البخاري ، كتاب الشهادات ، باب : تعديل النساء بعضهن البعض ، ح رقم ٢٤٦٧ .

(٦) انظر الإتقان ، ج ١/٦٨ ، ذكر السيوطي أنواع أخرى مع التمثيل لكل نوع ؛ لمزيد

الفائدة .

فِي أَمْرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا أُمَّ سَلَمَةَ تَيْبَ عَلَيَّ كَعْبٍ . قَالَتْ :
 أَفَلَا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرُهُ ؟ قَالَ : إِذَا يَحْطِمُكُمْ النَّاسُ ؛ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ
 سَائِرَ اللَّيْلَةِ ؛ حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ
 عَلَيْنَا ، وَكَانَ إِذَا اسْتَبَشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً مِنَ الْقَمَرِ » (١)
 ففي نزول هذه الآية في هذه الساعة من الليل ؛ دلالات عظيمة من أبرزها
 أن هذه هي الساعة ؛ التي يتوب الله فيها على عباده ، كما جاء في
 الحديث عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ
 وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ
 يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » (٢)
 وقد بَوَّبَ الإمام مسلم باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء ، وذكر
 حديث جابر ؓ قال : « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا
 يُؤَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ
 وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ » (٣) .

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب : وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، ح رقم ٤٦٧٧ . .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب : الدعاء نصف الليل ، ح رقم ٦٣٢١ ، ومسلم
 في صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل ، ح رقم
 . ٧٥٨

(٣) ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، باب : في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء ، ح رقم

فهذه الأحاديث توضح فضل الوقت الذي أنزل الله فيه آية الثلاثة الذين خلفوا ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى عباده أن يغتنموا هذه الساعة لدعائهم ، واستغفارهم ، وحاجتهم مع ربهم .

وكذلك مثل نزول آيات آل عمران بالليل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١) .

فإن التفكير في السماء الدنيا بالليل في قمرها المنير ، ونجومها الزاهية، وهدوء الليل الساكن ، وظلامه المرعب كل ذلك له دلالات عميقة في نفوس أهل الإيمان ومشاعرهم ، ولذا يهرعون إلى الصلاة يطمثون بمناجاة ربهم ودعائه .

ثانياً : الاستعانة به في ربط معاني القرآن بواقع الحياة ووقائعها وأحداثها ، فإننا نتعلم من القرآن المكّي أن الناس في أوقات ضعف الدعوة وبداياتها ، يحتاجون إلى أن يزودوا بقصص الأنبياء والصالحين تسليّة وتثبيتاً ، وكيف صبروا أولئك حتى نصرهم الله ، وأهلك عدوهم مع عدده ، بأسباب لم تكن في حسابهم ، وأن يذكروا كذلك بالصبر على الأذى ، والتحمل ، وضبط النفس ، وعدم الاندفاع والاستعجال وراء استدراجات أهل الباطل لمنزلتهم ؛ بل ينبغي أن نحدد نحن تاريخ معركتنا،

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٩٠ ، ١٩١ .

وزمانها ، ومكانها ؛ وفق إمكانياتنا وخططنا . والالتزام بالقيم الأخلاقية ، وأن يغرس فيهم الإيمان وينمي ، وأن فقه القوة والتمكين يركز فيهم على أن يذكروا نعمة الله عليهم الذي نصرهم على عدوهم واستخلفهم في الأرض ، فيجب عليهم أن يقيموا حدود الله ، وفرائضه ، وأن لا يختلفوا فيفسلوا ، وتذهب ريجهم ، وألاً يغتروا بكثرتهم ، وأن يتعلموا فقه التعامل مع المنافقين وفتنهم ، وكيف يكون الحال في حالة النصر ، وكيف يكون الموقف في لحظة الهزيمة ، وكيف تحسم الفتن الداخلية ؛ فإن هذا التدرج في النزول مدرسة تربوية ، تعليمية ، لا حدود لها أمام الأمة بأثر ، ونحن لم نأخذ منها إلا القليل القليل ، فالباب مفتوح على مصراعيه أمام الباحثين، فهل من مجيب ؟ .

ثالثاً : تميز الناسخ من المنسوخ ، وذلك لأن علم الناسخ والمنسوخ قائم على علم المكي والمدني الذي يهتم بتاريخ نزول الآيات والسور ، حتى نستطيع تميز المتقدم من المتأخر في النسخ عند التعارض في الأحكام .

رابعاً : الاستفادة من تدرج نزول القرآن الكريم في التعليم والدعوة ، أولاً في ترتيب أولويات الخطاب الدعوى ؛ وذلك بالبدء بالأهم في معالجة أمراض الأفراد والأمم ، إذ إن القرآن المكي ركّز على إصلاح العقيدة ، وتقويم السلوك ، والأخلاق ، وبعد أن ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحرام والحلال، وتفصيل الأحكام، لأن الإنسان إن صلّى، وصام، وحج، وفعل الخيرات؛ لكن كان مشركاً بالله ما نفعه ذلك عند الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ مِّشْرِكٍ بِاللَّهِ فَصَدَّ حَرَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^(١) .

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

كذلك يعرف الإنسان أن خطاب الكافرين الطغاة يختلف عن خطاب المؤمنين المتقين، ولذلك جاء القرآن المكي فيه الكثير من التهديد والوعيد، والقسم والتأكيد، وضرب الأمثال، وذلك لقسوة تلك القلوب وتعنتها وإعراضها، بخلاف القرآن المدني، كما يتعلم الإنسان كيفية مخاطبة أصناف البشر من أهل الكتاب من يهود ونصارى، وكذلك أهل النفاق.

خامساً: الوقوف على سيرة النبي ﷺ وذلك لأن نزول القرآن على النبي ﷺ سائر تاريخ الدعوة بمراحلها المختلفة، حيثما كان، ومن هنا كان القرآن الكريم هو المرجع الأصيل للسيرة النبوية، وعليه تصحيح روايات أهل السير التي ليس لها سند صحيح.

سادساً: معرفة مدى عناية المسلمين واهتمامهم بالقرآن الكريم، وجهودهم المتواصلة في خدمته، حفظاً، وفهماً، ومتابعة لزمان نزوله ومكانه بما يورث الثقة، ويزرع اليقين في وصول هذا الكتاب إلينا دون زيادة أو نقصان، إذ أن الأمة لم تهتم فقط بنقل النص أو تفسيره، وإنما اهتموا كذلك بزمان نزوله ومكانه.



المبحث الثامن

أسباب نزول القرآن

أسباب نزول القرآن

١ - أقسام نزول القرآن :

ينقسم نزول القرآن الكريم من حيث سبب النزول إلى قسمين :

القسم الأول : ما نزل من القرآن الكريم غير مرتبط بسبب

خاص، وإنما نزل من أجل السبب العام الذي بين الله عز وجل أنه من أجله أنزل القرآن الكريم ، ألا وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور ،

وهدايتهم للتي هي أقوم في مسيرة حياتهم ، كما قال تعالى : ﴿الرَّكَابُ

أُوتِلْنَاكَ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ﴾ ^(١) وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ^(٢) ، وهذا القسم يشمل أكثر

آيات القرآن الكريم ، وسوره ، وهو ظاهر لا يحتاج إلى دراسة تخصه ؛

لذا لم يعن العلماء بدراسته .

القسم الثاني : ما نزل مرتبط بسبب نزول خاص ، بالإضافة إلى

السبب العام ، وهو يشمل الآيات التي نزلت في عهد النبي ﷺ مرتبطة

ببعض الوقائع التي كانت تحدث في عهد النبي ﷺ ، أو الأسئلة التي كانت

توجه إليه ، مثال لهذا ما رواه عبد الله بن عباس في قوله : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ

(١) سورة إبراهيم الآية : ١

(٢) سورة الإسراء الآية : ٩

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفْتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ وَكَانَ يُعْرِفُ مِنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ الَّتِي فِيهَا لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قَالَ : عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأُنشِئْهُ فَأَتْبِعْهُ قُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا أَنْزَلْتَاهُ فَاَسْمِعْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ^(١) عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ : فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ ، فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ ﷻ ^(٢) .

٢- تعريف سبب النزول :

هو ما أنزل الله بشأنه قرآناً ؛ وقت وقوعه ، كحادثة أو سؤال :

أولاً: فقولنا "ما أنزل الله بشأنه قرآناً" ، فقد يكون النازل آية كما جاء عن ابن عباس عن عمر رضی الله عنهم قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرِ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ : «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنَّ تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ مَا دَامَ يَدَيْهِ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاؤَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ

(١) سورة القيامة الآيات : ١٦ - ١٩

(٢) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ، ح رقم

٤٥٤٨ ، ٤٥٤٧ ، ٤٥٤٦ ، ومسلم رقم ٦٧٩ ، ٦٨٠ .

مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) (١) فَأَمَدَهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَمْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ ؛ وَصَوْتِ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمُ حَيْرُومَ . فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ ؛ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ ، وَشَقَّ وَجْهُهُ ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاحْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : صَدَقْتَ ؛ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسْرُوا سَبْعِينَ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ : مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسَارَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ ؛ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَرَى الَّذِي ، رَأَى أَبُو بَكْرٍ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، فَتُمْكِنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ ، وَتُمْكِنِي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أُمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا ، فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَمْ يَهُوَ مَا قُلْتُ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ

(١) سورة الأنفال الآية : ٩

أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ؛ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءَ بَكَيْتُ ،
وَأِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءَ تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْكِي
لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ ، لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ
أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ شَجَرَةَ قَرِيْبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : (مَا
كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُسَخِّنَ فِي الْأَرْضِ) ^(١) إِلَى قَوْلِهِ (فَكُلُوا مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيْمَةَ لَهُمْ » ^(٢) .

وقد يكون النازل آيات كما جاء عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال :
« اشْتَكَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ مَا
أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَسَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : (وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا
سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ^(٣) » ^(٤) .

وقد يكون النازل سورة من القرآن الكريم ، كما روي عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ^(٥)
وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٧

(٢) رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، ح رقم
٣٣٠٩ ، والترمذي ، ح رقم ٣٠٦٦ وقال حسن صحيح غريب .

(٣) سورة الضحى الآيات ١-٣

(٤) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي وأول ما نزل ، ح رقم
٤٦٠٠ ، ومسلم ، ح رقم ٣٣٥٥ .

(٥) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .

يَا صَبَاحَاهُ فَقَالُوا : مَنْ هَذَا فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُمْ أَنْ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي ؟ قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا . قَالَ : « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » . قَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبَّ لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا ؟! ثُمَّ قَامَ . فَنَزَلَتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ^(١) ^(٢) .

ثانياً : وقولنا " وقت وقوعه " : فإنه قد تنزل الآيات أو السورة بعد الحادثة أو السؤال مباشرة كسورة المسد كما في الحديث السابق ، وقد يتأخر نزول الآية عن السبب أو السؤال بعض الوقت لحكمة أرادها الله ﷻ كحادثة الثلاثة الذين خلفوا نزلت بعد أربعين يوماً ، وحادثة الإفك نزلت بعد شهر من الواقعة ، وكالسؤال عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين نزلت الآيات بعد خمسة عشر يوماً من سؤالهم ، وذلك لأن النبي ﷺ قال لهم : « سأخبركم غداً ولم يستثن » .

أما إذا كانت الحادثة وقعت في الأمم الماضية وقبل بعثة النبي ﷺ ولم يرتبط بها سؤال فإنها لا تدخل في أسباب النزول ، كالحوادث التي وقعت بين موسى وفرعون ، وحادثة إبراهيم عندما ألقي في النار ، وحادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة أصحاب الفيل ، فكل ذلك يدخل في باب القصص والأخبار عن الأمم الماضية .

ثالثاً : وقولنا " كحادثة " قد تكون الحادثة مرتبطة :

(١) سورة المسد الآية : ١ .

(٢) رواه البخاري ، تفسير القرآن ، باب تباب خسران تنبئ تنمير ، ح رقم ٤٥٨٩ ،

٤٣٩٧ ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب : قوله ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، ح رقم ٣٠٧ .

١- بشخصية الرسول ﷺ كما روي عن جابر رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ فقال: « جَاوَرْتُ بِحِرَاءِ شَهْرًا فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلَتْ فَاسْتَبَطَنْتُ بَطْنَ الْوَادِي، فَتَوَدَّيْتُ، فَظَنَرْتُ أَمَامِي، وَخَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَظَنَرْتُ فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي؛ فَإِذَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ فِي الْهَوَاءِ- يَعْنِي جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَأَخَذَتْنِي رَحْفَةً شَدِيدَةً فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: « دَرُّوْنِي. فَدَرُّوْنِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَبِّكَ فَكْبِرْ* وَيَتَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (١) (٢) .

٢- وقد تكون الحادثة مرتبطة بزوجات النبي ﷺ؛ كما روى أَنَسٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أُمَةٌ يَطْوُهَا؛ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ حَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (٣) (٤) .

٣- وقد تكون الحادثة مرتبطة ببعض أصحاب النبي ﷺ، كما جاء عن جَابِرِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا

(١) سورة المدثر الآيات : ١ - ٤ .

(٢) رواه البخاري ، تفسير القرآن ، باب : قوله ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ٤٥٤٢ ، ٤٥٤١ ، ومسلم ،

الإيمان ، باب : ثم بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ح رقم ٢٣٣

(٣) سورة التحريم الآية : ١

(٤) رواه الحاكم في المستدرک ٤٩٣/٢ ، والنسائي كتاب عشرة النساء ، باب الغيرة ، ح

رقم ٣٨٩٧ ، وصححه ابن حجر في الفتح ٣٧٦/٩ ، وصححه صاحب الصحيح من أسباب

النزول ص ٣٢٣ .

فَنَزَلَتْ: ﴿إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ (١) « (٢) .

٤- وقد تكون الحادثة مرتبطة ببعض المشركين ، واحداً أو جماعة منهم كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا ، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا ، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا : إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ نُخَيِّرُنَا أَنْ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً ، فَتَزَلْ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ وَنَزَلَتْ : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٣) « (٤) .

٥- وقد تكون مرتبطة بالمنافقين، واحداً أو جماعة كما روى أبو مسعود رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ ؛ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ ، فَقَالُوا : مُرَائِي . وَجَاءَ رَجُلٌ ؛ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ، فَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعٍ هَذَا . فَتَزَلَتْ : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي

(١) سورة الجمعة الآية : ١١

(٢) رواه البخاري كتاب البيوع ، باب : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا﴾ ، ح رقم ١٩١٧ ، ومسلم ، ح رقم ١٤٢٨ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٥٣

(٤) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ، ح رقم ٤٤٣٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة ، ح رقم ١٧٤ .

الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ»^(١) «^(٢) .

٦- وقد تكون الحادثة مرتبطة بأهل الكتاب واحداً ، أو جماعة منهم كما روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : ((اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقال الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) «^(٤) .

رابعاً : " أما السؤال " فقد يتعلق بأمر ماضي ، كما قال تعالى :
﴿ وَسْأَلُوكَ عَنْ ذِي الْقُرْمَيْنِ ﴾^(٥) ، فهم سألووا النبي ﷺ عن خير هذا الملك العادل الذي ملك مشارق الأرض ومغاربها .

وقد يكون السؤال متعلق بأمر حاضر ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَسْأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿ سْأَلُوكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴾^(٧) .

(١) سورة التوبة الآية: ٧٩

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة ، باب : اتقوا النار ولو بشق تمره وللقليل من الصدقة ، ح رقم ١٣٢٦ ، ١٤١٥ ، ومسلم ١٦٩٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٦٥

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ٣/ ٢١٦ ، والبيهقي في الدلائل فتح القدير ٣٥٠/١ ، وقال صاحب الصحيح المسند من أسباب النزول إسناده حسن ص ٨٥ .

(٥) سورة الكهف الآية : ٨٣

(٦) سورة الإسراء الآية : ٨٥

(٧) سورة البقرة الآية : ١٨٩

وقد يكون السؤال متعلق بأمر في المستقبل كقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ

عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ^(١) . وقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ ^(٢) .

وينبغي التنبه أنه لا يلتمس لكل آية سبب نزول كما بينا ، إذ أن نزول القرآن الكريم لم يكن متوقفاً كله على سبب نزول خاص بل أغلبه نزل للسبب العام ، كما قال الجعبري رحمه الله : « نزل القرآن على قسمين ، قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال » ^(٣) .

٣- عناية العلماء بأسباب النزول :

اعتنى علماء علوم القرآن بصورة كبيرة بدراسة أسباب النزول ، وتظهر هذه العناية من خلال ما يلي :

أولاً : اهتمام أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين به ، كما يقول عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه : « وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنزِلَتْ ، وَلَا أُنزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيْمَ أُنزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ » ^(٤) ، يريد بهذا سبب نزولها .

(١) سورة النازعات الآية : ٤٢

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٥ .

(٣) الإتقان ج ٢٨/١ .

(٤) سبق تخريجه ص : ٢٨

ثانياً : تأكيد العلماء على أهمية هذا العلم للمفسر ، حتى يستطيع أن يفهم كثيراً من الآيات المتعلقة بأسباب النزول فهماً صحيحاً ، كما قال الواحدي في كتابه أسباب النزول : « يمتنع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »^(١) ، وقال ابن دقيق : « بيان سبب نزول الآية طريق قوي في فهم معاني القرآن »^(٢) ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب »^(٣) ، ولذا نهج علماء التفسير عند تفسير أي آية لها سبب نزول أن يذكروا قبل تفسيرها سبب نزولها ، ويستندون عليه في تفسير الآية وتوضيح معناها .

ثالثاً : هنالك عدد كبير من العلماء أفرد هذا الموضوع بمؤلفات

ودراسات خاصة وهي كثيرة منهم :

١- علي بن المديني شيخ البخاري (ت: ٢٣٤ هـ) كتابه مخطوطة لم تطبع.

٢- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ) له "أسباب النزول" وهو من الكتب القيمة المفيدة جداً .

٣- ابن الجوزي رحمه الله (ت: ٥٩٧ هـ) له "أسباب نزول القرآن" .

٤- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) له "العجاب في بيان الأسباب" .

(١) ص/١٠ .

(٢) الإيقان ٨/١ .

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٣/٣٣٩ .

٥- والإمام السيوطي (ت: ٩١١ هـ) له "الباب النقول في أسباب النزول" وقد قال عنه: « وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يولف مثله في هذا النوع ، سميته "لباب النقول في أسباب النزول" »^(١) ومن أهم من كتب فيه حديثاً :

٦- الأستاذ ابن خليفة عليوي له كتاب جامع النقول في أسباب النزول ، اهتم بذكر الآيات التي لها سبب نزول ، وشرحها .

٧- والشيخ مقبل بن هادي الوادعي له الصحيح المسند من أسباب النزول والشيخ عصام بن عبد المحسن الحميدان له كتاب " الصحيح المسند من أسباب النزول " ، فهي من الكتب الحديثة التي اعتنت بدراسة الأسانيد والحكم عليها^(٢) .

وغيرهم كثير من العلماء .

رابعاً : لا يخلو كتاب من كتب علوم القرآن من أفراد هذا الموضوع

بيحث خاص .

٤- طريق معرفة سبب النزول :

يعتمد العلماء في معرفة أسباب النزول على واحد من طريقتين :

الأول : ما نقل عن أصحاب النبي ﷺ ؛ وذلك لأنهم عايشوا

التنزيل ، وعاصروا الوحي ، ووقفوا على الحوادث والوقائع ؛ التي أنزل الله

فيها قرآناً ، وقول الصحابي في سبب النزول له حكم المرفوع للنبي ﷺ ؛

(١) الإتيان ج ٢٨/١ .

(٢) ط : مؤسسة الريان : بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

لأنه في هذا المقام لا مجال للرأي والاجتهاد فيه ، ويقبل رأيهم دون تردد بشرطين وهما :

أولاً : صحة السند .

ثانياً : أن تكون الرواية صريحة في سبب النزول غير محتملة .

كما قال الواحدي : « ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها ، وجدوا في الطلاب وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العالم بالنار » (١) .

الثاني : ما نقل عن التابعين ، ويقبل قول التابعي في سبب النزول

بأربعة شروط وضعها العلماء وهي :

١- أن تكون الرواية صحيحة وهي مرسلة .

٢- وأن تكون صريحة في سبب النزول .

٣- وأن يكون التابعي من أئمة التفسير الآخذين عن أصحاب النبي ﷺ كمجاهد وعكرمة ، وسعيد .

٤- وأن تعضد برواية تابعي آخر تنطبق فيها نفس الشروط (٢) السابقة .

قال السيوطي : « إن قول التابعي إذا كان صريحاً في سبب النزول

فإنه يقبل ويكون مرسلأ ، إذا صح المسند إليه ، وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد ، وعكرمة وسعيد بن جبير ، واعتضد

(١) أسباب النزول للواحدي ص ١٠ .

(٢) انظر المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ١٢٤ .

بمرسل آخر» (١). ولا يعتمد على أي قول يُني على اجتهاد في سبب النزول؛ لأن مثل هذا لا يعرف بالاجتهاد، لأنه قول في القرآن بدون علم. وهو محرم قطعاً كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢). كما أن قول الصحابي مقدم على قول التابعي إذا تعارضت أقوالهما.

٥- الألفاظ الدالة على سبب النزول :

استقرأ العلماء الألفاظ التي جاءت في الروايات المختلفة عن أسباب

النزول فقسموها إلى قسمين :

القسم الأول : ألفاظ صريحة في السببية ، وهي الألفاظ التي تنص

على السببية ولا تحمل غيره ، وهي التي صرح فيها الراوي بسبب النزول

كأن يقول : « سبب نزول هذه الآية كذا » أو يقول : « حدث كذا

فأنزل الله كذا » ، بأن يأتي بفاء تعقيبية داخلة على سبب النزول بعد ذكر

سببها ، فهذه الألفاظ نصاً صريحاً في السببية والأمثلة عن هذا قد تقدمت .

القسم الثاني : ألفاظ محتملة للسببية، ولما تضمنته الآية من أحكام، فهي ليست

نصاً في السببية ؛ كأن يقول الراوي: « نزلت هذه الآية في كذا »، مثاله ما روي عن

نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنزلت: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ (٣) في إتيان النساء في أدبارهن» (٤) .

(١) الإتيان ٣١/١ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٣٦

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٣

(٤) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن ، باب: قوله ﴿نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ ،

ح رقم ٤١٦٤ ، ومسلم رقم ٢٥٩٢ .

قال الزركشي : « قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: أنزلت هذه الآية في كذا؛ فإنه يريد بذلك أنها تضمنت هذا الحكم؛ لأن هذا كان السبب في نزولها ، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع»^(١) ، وقال ابن تيمية : « قولهم : نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول ، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية ؛ وإن لم يكن سبباً ؛ كما تقول : عني بهذه الآية كذا»^(٢) .

أو أن يقول الراوي : أظن أو أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا، مثل ما رواه عروة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : سَرَّحَ الْمَاءَ يَمْرُؤًا فَأَبَى عَلَيْهِ ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلزُّبَيْرِ : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ ؛ فَقَالَ : أَن كَانَ ابْنِ عَمَّتِكَ ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَحْسِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ »^(٣) »^(٤) .

(١) البرهان للزركشي ج ١/٢٤

(٢) مجموع الفتاوى ج ١٣/٣٣٩

(٣) سورة النساء الآية : ٦٥

(٤) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ، ح رقم ٤٢١٩ ، ومسلم ، ٤٣٤٧ .

٦- تعدد الروايات في سبب النزول وموقف المفسر منها :

إذا تعددت الروايات التي جاءت في سبب النزول - وهذا كثير في

كتب التفسير - فإن موقف المفسر منها يكون وفق القواعد التالية :

أولاً : إذا كانت الروايات صحيحة ولم تكن صريحة ، نحو قول

الراوي : نزلت هذه الآية في كذا ، وقول آخر أحسب أن هذه الآية نزلت

في كذا ، فهنا تقبل جميع الروايات كتفسير للآية ، وليس سبباً للنزول .

ثانياً : إذا كانت الروايات صحيحة وبعضها صريح ، وبعضها غير

صريح ، فالصريح يعتمد كسبب للنزول ، وغير الصريح يحمل تفسيراً

للآية ، وداخلاً في حكمها .

ثالثاً : إذا كانت الروايات صريحة في سبب النزول ، وكان بعض

الرواية صحيحة في سندها ، وبعضها ضعيف ، فالمعتمد عليه في سبب

النزول الرواية الصحيحة ، وتترك الرواية الضعيفة .

رابعاً : وإذا كانت الروايات كلها صحيحة وصريحة في سبب

النزول يبحث عن مرجح ، والمرجحات تكون إما بالإسناد ؛ بأن تكون

إحدى الروايات أعلى إسناداً وأصح من الأخرى ، أو بالقرائن كأن

يكون أحد الرواة مشاهداً للقصة دون الراوي الآخر . مثال لهذا ما رواه

البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ

اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَيَّ عَسِيبٍ فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْأَلُوهُ عَنِ

الرُّوحِ ، فَسَأَلُوهُ فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَيَّ الْعَسِيبِ وَأَنَا خَلْفَهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى

إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ ^(٢) . وروى الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ : أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ فَقَالَ : سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ، قَالَ : فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قَالُوا : أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا فَأَنْزَلَتْ : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ^(٣) ﴾ ^(٤) .

فالرواية الأولى تشير إلى أن الآية مدنية، والرواية الثانية تشير إلى أنها مكية، فالترجيح هنا للرواية الأولى لأنها في البخاري ؛ ولأن الراوي حاضر للقصة وذلك لأنه كان يمشي مع النبي أثناء ما سأله اليهود. وقد ذهب ابن كثير رحمه الله إلى الجمع بين الروايات، كأنه يرى أنه أولى من الترجيح، فقال: « قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ^(٥) ، أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي هذه الآية ^(٦) .

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥ .

(٢) رواه البخاري ، كتب العلم ، باب : قوله ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ح رقم ١٢٢ ، مسلم رقم ٥٠٠٢ .

(٣) سورة الكهف الآية : ١٠٩

(٤) رواه الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة بني إسرائيل ، ح رقم ٣٠٦٥ ،

وقال حسن صحيح غريب ، وأحمد في مسند ، ح رقم ٢١٩٥ .

(٥) هنالك رأي لبعض أهل العلم أنه لا مانع من أن يتكرر نزول الآية .

(٦) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ٧٨٣ .

وإذا كانت الروايات كلها صحيحة وصریحة ولا يوجد مرجح ، قال العلماء : « لا مانع أن تكون الآية أو الآيات نزلت بعد حدوث السببين أو الأسباب وذلك لقرب الزمن بينهما ، فيكون هذا من باب تعدد الأسباب والنازل واحد كما ورد في البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء فقال النبي ﷺ : « البينة أو حد في ظهرك » فقال : يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلمس البينة !؟ فجعل النبي ﷺ يقول : « البينة وإلا حد في ظهرك » فقال هلال : والذي بعثك بالحق إنني لصادق فلينزلن الله ما يرى ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١) فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ، ثم قامت فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا : إنها موجهة قال ابن عباس : فتلکأت وتكصت حتى ظننا أنها ترجع ، ثم قالت : لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي ﷺ : أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابع الإليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء فجاءت به كذلك ، فقال النبي ﷺ لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن (٢) .

(١) سورة النور الآية : ٦

(٢) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿وَيَذَرُهَا غِيَابًا﴾ أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، ح رقم ٤٣٧٨ .

وروى البخاري عن سهل بن سعد قال : « أَنْ عُوَيْمِرًا أَتَى عَاصِمَ
بْنَ عَدِيٍّ وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلَانَ ، فَقَالَ كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ
امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيْقَلْتُهُ ، فَتَقْتُلُونَهُ ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ
ذَلِكَ ، فَأَتَى عَاصِمَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
الْمَسَائِلَ ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ ، وَعَابَهَا ،
قَالَ عُوَيْمِرٌ : وَاللَّهِ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ، فَجَاءَ
عُوَيْمِرٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا أَيْقَلْتُهُ فَتَقْتُلُونَهُ أَمْ
كَيْفَ يَصْنَعُ ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي
صَاحِبَيْكَ ، فَأَمْرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُلَاعَنَةِ بِمَا سَمَى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ،
فَلَاعَنَهَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ حَبْسُهَا فَقَدْ ظَلَمْتَهَا فَطَلَّقَهَا ، فَكَانَتْ
سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي الْمُتَلَاعِنِينَ ، ثُمَّ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انظُرُوا فَإِنْ
جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ ، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ ، عَظِيمَ الْإِلْتِيَانِ ، خَدَلَجَ السَّاقَيْنِ ، فَلَا
أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ ؛ كَأَنَّهُ وَحَرَّةٌ ؛
فَلَا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا ، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الثُّغْتِ الَّذِي نَعَتَ
بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ ؛ فَكَانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ » (١) .

فالروايتان بدرجة واحدة في الصحة ، ولا مرجح لأحدهما على
الأخرى فقال العلماء يجمع بينهما على أنها سألا في وقت متقارب فأنزل
الله في شأنهما الآية .

(١) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ ، ح رقم ٤٣٧٨ ،
ومسلم ، ٢٧٤١ .

٧- تعدد النازل والسبب واحد :

قد يكون هناك سبب واحد فينزل الله فيه آيتين أو آيات متعددة ، وهذا عكس ما تقدم ، وهو مما لا إشكال فيه ؛ لأنه من باب البيان ، والإرشاد والتوضيح ، والإقناع ومن أمثله :

ما رواه الترمذي والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ اللَّهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَبِي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ^(١) » ^(٢) .

وأخرج أحمد والنسائي عن أم سلمة قالت : « قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا لَنَا لَا تُذَكِّرُنِي فِي الْقُرْآنِ كَمَا يُذَكِّرُ الرَّجَالُ ؟ قَالَتْ : فَلَمْ يَرُعْنِي مِنْهُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا وَنِدَاؤُهُ عَلَيَّ الْمِنْبَرِ . قَالَتْ : وَأَنَا أُسْرِحُ شَعْرِي فَلَفَفْتُ شَعْرِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرِ بَيْتِي ، فَجَعَلْتُ سَمْعِي عِنْدَ الْجَرِيدِ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿لِإِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ^(٣) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(٤) .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٩٥

(٢) رواه الترمذي ، ح رقم ٣٠٣٢ ، والحاكم ٣٠٠/٢ ، والطبراني في المعجم الكبير ، ح رقم ٦٥١ ، الواحد في أسباب النزول ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، وقال صاحب الصحيح المسند في أسباب النزول الشيخ عصام عبد المحسن ، إسناده صحيح ص ١١٢ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٥

(٤) رواه أحمد رقم ٣٨٤ ، والحاكم في المستدرک ٤١٦/٢ ، وابن جرير ٩/٢٢ ، الطبراني في المعجم الكبير ، والنسائي ، وصححه الحاكم ، وقال صاحب الصحيح المسند إسناده صحيح ص ٢٦٨ .

وأخرج الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها أيضاً أنها قالت :
« يَغْزُو الرَّجَالُ ، وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ المِيرَاثِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَمْنُوا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(١) قَالَ مُجَاهِدٌ:
وَأَنْزَلَ فِيهَا : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ^(٢) .

فالسبب في هذه الآيات واحد وهو سؤال أم سلمة رضي الله عنها
عن موضوع واحد في أصله وكان النازل في معالجة ذلك متعدد .

٨- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

قسم العلماء النازل من القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : أن يكون السبب خاصاً واللفظ النازل خاصاً .

ثانياً : أن يكون السبب عاماً واللفظ النازل عاماً .

فهذان النوعان لا خلاف بين العلماء في حمل كل منهما على الآخر وذلك
للمطابقة بين السبب واللفظ المنزل .

ثالثاً : أن يكون السبب خاصاً ، واللفظ النازل عاماً ، فهذا الذي

اختلف فيه العلماء ، والذي عليه الجمهور أن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب ، فمثلاً آيات الظهر وإن نزلت في خولة بنت ثعلبة مع
زوجها إلا أن الحكم عام لهما ولغيرهما ، وذلك لأنه لو أراد الله قصر
الحكم على السبب ما أنزل علينا لفظاً عاماً ، ولأن حمل النصوص العامة

(١) سورة النساء الآية : ٣٢

(٢) رواه أحمد ٣٢٢/٦ ، والترمذي كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة النساء ، ح
رقم ٢٩٤٨ ، وقال حديث مرسل .

على الأسباب الخاصة تخصيص للنص القرآني بما لا يصح أن يخص به ، كما فيه إبطال للعموم الذي هو أصل في خطاب الشريعة التي أنزلها الله لعموم الناس ، كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل : ﴿ اَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ^(١) ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْ هَذَا ؟ قَالَ : « لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » . وفي رواية مسلم : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ ؟ قَالَ : « بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً » ^(٢) .

فإن كان قذف هلال بن أمية لزوجته سبب خاص ، وجاء الحكم من الله عام : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ ^(٣) ، لأن اسم الموصول من صيغ العموم فيكون غير هلال بن أمية قد شمله الحكم المأخوذ من النص دون قياس أو دليل آخر ، فهذا الذي ذكره الجمهور هو الراجح ، وهو الذي فهمه الصحابة ومن بعدهم وساروا عليه ، وهو الذي يتفق مع الأصل العام الذي أنزل الله من أجله القرآن الكريم وهو هداية الناس جميعاً للتي هي أقوم ، وإنما أراد أن يكون هذا السبب مثلاً حياً للناس ، وواقعاً معاشاً فقد روى البخاري عن عبد الله بن معقل رضي الله عنه قَالَ : « قَعَدْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ

(١) سورة هود الآية : ١١٤

(٢) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله اَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ

الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ، ح رقم ٤٣١٩ ، ٤٩٥ ، ومسلم رقم ٤٩٦٣ ، ٤٩٦٤ .

(٣) سورة النور الآية : ٦

عُجْرَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْكُوفَةِ - فَسَأَلْتُهُ عَنْ فِدْيَةِ مَنْ صِيَامٍ، فَقَالَ : حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْقَمَلُ يَتَنَاثَرُ عَلَيَّ وَجْهِي ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا أَمَا تَجِدُ شَاةً ؟ ، قُلْتُ : لَا . قَالَ : صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ ، فَتَزَلْتُ فِيَّ خَاصَّةً ؛ وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةٌ « (١) .

كما أنه ينبغي العلم بأن الذين خالفوا الجمهور في أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم ، لأن هذا لا يقوله عاقل ولا مسلم على الإطلاق ؛ لأنه لم يقل أحد من علماء المسلمين أن عموميات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين ، وإنما غاية ما يقال أنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ وإنما يكون بالقياس ، أو بدليل آخر غير هذا الدليل الذي نزل في سبب خاص .

« فالآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً ونهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته ، وإن كانت خيراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته أيضاً » (٢) .

٩ - فوائد معرفة أسباب النزول :

أولاً: يعين على فهم الآية فهماً صحيحاً ، ويؤدي إلى معالجة ما يطرأ على البعض من إشكال ، وذلك لأن العلم بالسبب يورث العلم

(١) رواه البخاري، كتاب المحصر، باب الإطعام في الفدية نصف صاع ، ح رقم ٤٥١٧ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١٣/ ٣٤٠ بتصرف .

بالمسبب ، كما أشكل على عروة بن الزبير رضى الله عنهما فهم فريضة السعي بين الصفا والمروة من قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) ، وذلك لأن الآية نفت الجناح ، ونفي الجناح يدل على الإباحة ؛ لا الفريضة ؛ حتى رجع إلى عائشة رضى الله عنها وسألها عن ذلك ، فأفهمته أن نفي الجناح هنا إنما هو متعلق بما وقر في صدور المسلمين من الحرج ، والتأثم من السعي بين الصفا والمروة ؛ لأنه من عمل الجاهلية ؛ لأنه كانت لهم أصنام على الصفا والمروة ، وكانوا يطوفون بهما ، فلما شرع الإسلام السعي بين الصفا والمروة تخرج هؤلاء من الطواف ؛ فنزلت الآية ؛ فزال عنه الإشكال بعد أن عرف سبب نزول الآية ، كما جاء في البخاري عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : « قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدِيثُ السُّنِّ : أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فَمَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : كَلَّا ، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ كَانَتْ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ؛ إِنَّمَا أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا يُهْلُونَ لِمَنَاةَ ؛ وَكَانَتْ مَنَاةَ حَذْوُ قُدَيْدٍ ؛ وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطَّوَّفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ؛ فَلَمَّا جَاءَ

(١) سورة البقرة الآية : ١٥٨

الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ

شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ (١) « (٢) .

ثانياً : يساعد على إدراك الحكمة التي دعت إلى تشريع بعض

الأحكام ، ومعرفة مقاصد الشرع ، ومراعاته للمصالح العامة ، والخاصة في

معالجة الحوادث ، وحسن رعاية الله بخلقه وسعة سمعه ، وعلمه وحكمته

كما روى عروة عن عائشة قال : « تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ

إِنِّي لِأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ وَهِيَ تَشْتَكِي

زَوْجَهَا (٣) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ تَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكَلَّ شَبَابِي

وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي حَتَّى إِذَا كَبِرْتُ سِنِّي وَأَنْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي ، اللَّهُمَّ

إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِهِؤَلَاءِ الْآيَاتِ ﴿قَدْ سَمِعَ

اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (٤) « (٥) .

(١) سورة البقرة الآية : ١٥٨

(٢) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ

الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ ، ح رقم ٤١٣٥ ، ١٦٦٥ ، ومسلم ، رقم ٢٢٤٢ .

(٣) هو أوس بن الصامت رضي الله عنه .

(٤) سورة المجادلة الآية : ١

(٥) رواه الإمام أحمد ٤٦/٦ ، وابن ماجه ، ح رقم ٢٠٦٣ ، والحاكم في المستدرک ٢/

٤٨١ ، ورواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا ، والنسائي والواحدي في أسباب النزول

٤٣٣ ، وابن جرير ٥/٢٨ ، وقال صاحب الصحيح المسند إسناده صحيح ٣٠٥ .

فشرع الله كفارة الظهر^(١) بعد هذه الواقعة ؛ رحمة بهذه المرأة وأمثالها ، وحماية للأسرة المسلمة من التفكك ، وللأبناء من التشرذم ، كما فيه محاربة لمثل هذه الظواهر الجاهلية إذ أن المرأة لا يمكن أن تصير أماً بقول الرجل لها « أنت عليّ كظهر أمي » .

ثالثاً : يساعد على فهم واقع الدعوة ، وكيفية مواجهة الحوادث التي تواجهها : العقدية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والعسكرية ، لأن لارتباط بعض الآيات بأسباب نزول خاص جعل في القرآن واقعية تلمس الحياة اليومية للمجتمع في كل جوانبه مما يدل دلالة حيّة على أن هذا القرآن ينبغي أن يتخذ منهجاً للحياة ، تعالج وفق تعاليمه وقائع وأحداث الآية وكيفية استغلال مثل هذه الأحداث في الناحية التربوية والتعليمية ؛ لأن ربط نصوص الكتاب والسنة بوقائع الحياة وأحداثها تجعل معاني القرآن حية في نفوس المسلمين ذات أثر عميق في دواخلهم .

رابعاً : فيه تسهيل للحفظ لأن معرفة السبب يعين على الفهم ، والفهم يعين على الحفظ ، كما أن ربط الآيات بأحداث معينة يجعلها أكثر رسوخاً في الذهن ، وثباتاً في القلب .

خامساً : معرفة من نزلت فيه الآية بعينه ، لأن في ذلك من الفوائد الشيء الكثير إذ فيه إسناد الفضل لأهله ، ونفي التهمة عن البريء ؛ حتى

(١) وهي تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً .

لا تحمل على غيره بدافع البغض أو المحبة كما فعلت عائشة رضي الله عنها في ردها مروان بن الحكم عندما اتهم أخيها عبد الرحمن كما جاء في رواية يوسف بن مَاهِك قَالَ : « كَانَ مَرَوَانُ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةَ فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا ^(١) ، فَقَالَ : خُذُوهُ ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا ، فَقَالَ مَرَوَانُ : إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفْ لَكُمْ مَا أَتَيْتُمُونِي ﴾ ^(٢) فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُنْدِي » ^(٣) .

سادساً : كشف وجهه من وجوه بلاغة القرآن الكريم ؛ وذلك من خلال معرفة مراعاة الكلام لمقتضى الحال ؛ وذلك من خلال المطابقة والمقارنة بين الحادثة والنص القرآني الذي أنزل فيها .

سابعاً : إذا كان للآية سبب خاص وجاءت الآية بلفظ العموم ؛ وورد مخصص لها ؛ فإنه لا يخصص سبب نزولها ؛ وذلك لأن دخول السبب حكماً في النص قطعي ، وإخراجه بالتخصيص ظني لأنه اجتهاد ، ولا يجوز إخراج القطعي بالظني ، مثال هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ

(١) قال : " هذه سنة هرقل وقيصر " .

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٧

(٣) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفْ لَكُمْ مَا أَتَيْتُمُونِي ﴾ ، ح رقم

المُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لِعُنُوَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ،
فسبب نزول هذه الآية هو حادثة الإفك التي قذفت فيها أم المؤمنين
السيدة عائشة رضي الله عنها ، ولفظ الآية جاء عام في اللفظ والحكم
بأن لهم عذاب عظيم ولعنة في الدنيا والآخرة سواء تابوا أو لم يتوبوا ؛
لكن الآية الأخرى جاءت فاستثنت التائب ، كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ
يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مِمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) .

وبهذا التخصيص يخص عموم الآية الأولى ، ما عدا سبب نزولها ،
وفي هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ
المُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لِعُنُوَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣) :
« نزلت في عائشة خاصة » (٤) .

وفي رواية أخرى له قال في هذه الآية : « هذه في عائشة وأزواج
النبي ﷺ ، ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة ، وجعل لمن رمى امرأة من

(١) سورة النور الآية : ٣

(٢) سورة النور الآيتان : ٤ ، ٥

(٣) سورة النور الآية : ١٣

(٤) رواه الحاكم ، وقال إسناده صحيح ولم يخرجاه وواقفه الذهبي .

المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة ثم قرأ : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
تَمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

وهذا هو اللائق ببيت النبوة ؛ الذي أذهب الله عن أهله الرجس ،
وطهرهم تطهيرا ، ولا يمكن لمؤمن عرف الله ، وقدر رسوله أن يتعدى عليه
بهذا القدر من الأذى ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٢) ، أي أذى أعظم من هذا ؛ فقد
قال ابن كثير رحمه الله : «وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من
سبها بعد هذا ، ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه
كافر لأنه معاند للقرآن، وكذا الحكم في جميع أمهات المؤمنين» (٣) .

كما أنه يعين على معرفة الناسخ من المنسوخ ، والمكي من المدني ،
وله دور كبير في فقه الدعوة وكيفية التعامل مع الأحداث إلى غير ذلك من
فوائد .

(١) مجمع الزوائد للهيتمي ج ٧/٧٩-٨٠ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٥٧ ،

(٣) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، ٩٣٤ .

المبحث التاسع

التفسير والمفسرون

التفسير والمفسرون

أولاً : تعريف التفسير :

أ- في اللغة :

مأخوذ من مادة " فَسَرَ " : وهي كلمة تدور على معنى ظهور الشيء ، وبيانه ، وتوضيحه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلِ إِلَهِكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾^(١) أي : تفصيلاً وتوضيحاً ، ومنه فسرت الحديث ؛ إذا بينته ووضحته^(٢) .

ب- في الاصطلاح :

اختلفت عبارة العلماء في تعريفه ، وفي غالبها تدور حول بيان المعنى الذي أراده الله ﷻ من كلامه الذي أنزله إلينا ومن أحسنها تعريف الإمام الزركشي « علم يعرف به فهم كتاب الله ؛ المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه »^(٣) .
وعرف كذلك بأنه : « علم يفهم به كلام الله ﷻ على قدر الطاقة البشرية »^(٤) .

(١) سورة الفرقان الآية : ٣٣ .

(٢) القاموس المحيط مادة " فسر " ج ٢/١٩٢ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢/١٤٨ ، والإتقان ٤/١١٧٧ .

(٤) قواعد التفسير لخالد السبت ج ١/٢٩ .

ج- مفهوم التفسير والتأويل عند السلف :

يطلق التأويل عند السلف بمعنى التفسير ، كما جاء في دعاء النبي ﷺ لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »^(١) وهو الذي يقصده ابن جرير الطبري من اطلاقه للفظ التأويل في كتابه الذي عنون له بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ، ولكن للسلف معنى آخر للتأويل ؛ وهو إدراك حقيقة الشيء ، وما يؤول إليه الكلام ؛ وهذا هو المراد من كلام بعضهم في الوقف على قوله تعالى : «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» من قوله تعالى : «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ فَيَوَسَّعُونَ مَا نَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»^(٢) ، وأن الواو لما بعدها استئنافية ، ومثل هذا ما جاء عن صفات الله فإن تأويلها كتفسير معروف كمعنى العلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر مما وصف الله به نفسه ، لكننا لا ندرك حقيقة ذلك وكيفيته وحدوده لأن البشر «وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»^(٣) والله ﷻ

(١) تقدم تخريجه ص : ٣١

(٢) سورة آل عمران الآية : ٧

(٣) سورة طه الآية : ١١٠

لا مثيل له فيقاس عليه، **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** (١) ، وللمتأخرين في مصطلح التأويل ما يخالف ما كان عليه السلف ؛ وهو « صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى معنى مرجوح ؛ لقرينة تقترن به » ، وكل ما ورد من ذم للتأويل فهو يحمل على هذا الاصطلاح الحادث عند الخلف .

ثانياً: الحث على تدبر القرآن :

أمرنا الله ﷻ بتدبر هذا الكتاب العزيز ، والسعي لفهم معانيه ؛ لأن ذلك طريق الإيمان ، والعمل الصالح ، قال تعالى : **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)** (٢) ، قال ابن قيم الجوزية رحمه الله : « ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ، ويتفكر فيه ، ويعمل به ، لا بمجرد التلاوة مع الإعراض عنه » (٣) ، وقال في مدارج السالكين : « وأما التأمل في القرآن فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه ، وجمع الفكر على تدبره وتعقله هو المقصود من إنزاله ؛ لا مجرد التلاوة بلا فهم ، ولا تدبر » (٤) . وقال الشوكاني رحمه الله : « وفي الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه ؛ لا مجرد التلاوة دون فكر » (٥) .

(١) سورة الشورى الآية : ١١

(٢) سورة ص الآية ٢٩

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٢١٥ .

(٤) ج ١/٤٨٥ ، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان مط ٢ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(٥) فتح القدير ٤/٤٣٠ .

واستنبط القرطبي رحمه الله من هذه الآية وجوب معرفة معاني القرآن (١) .

وقال الزركشي رحمه الله : « القرآن كله لم ينزله مُنزله تعالى إلا لِيُفْهَمَهُ ، وَيُعَلَّمَ وَيُفْهَمَ ، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون ، والذين يعلمون ، والذين يفقهون ، والذين يتفكرون ؛ ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب » (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن المعلوم أن كل كلام فالقصد منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ، فالقرآن أولى بذلك ، وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم ، وبه نجاتهم وسعادتهم ، وقيام دينهم وديانهم » (٣) .

ومما يؤكد على أهمية فهم القرآن أن الله ذمَّ كل من أعرض عن تدبير معانيه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٥) ، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ / ١٩٢ .

(٢) البرهان ، ج ٢ / ١٦٠ .

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٣ / ٣٣٢ .

(٤) سورة النساء الآية : ٨٢

(٥) سورة محمد الآية : ٢٤

(٦) سورة المؤمنون الآية : ٦٨

وما ضلَّت الفرق من أمة الإسلام إلا لعدم فهمهم القرآن الكريم ؛
كما قال النبي ﷺ عن الخوارج كما جاء في حديث جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال : « أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ
حُنَيْنٍ وَفِي تَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ فَقَالَ : يَا
مُحَمَّدُ اْعْدِلْ . قَالَ : « وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِيتَ
وَحَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ » فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ : دَعْنِي يَا
رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ فَقَالَ : « مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أُنِّي
أَقْتُلُ أَصْحَابِي ، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَعُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ،
يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ » ^(١) وفي رواية حذيفة « لا تعيه
قلوبهم » .

قال الإمام النووي ، قال القاضي فيه تأويلان :

أحدهما : معناه : لا تفقهه قلوبهم ، ولا ينتفعون بما تلاوا منه ، ولا
لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والخلق ؛ إذ بهما تقطع الحروف .
والثاني : معناه : لا يصعد لهم عمل ، ولا تلاوة ، ولا يتقبل ^(٢) .
فهذا الحديث فيه أن جماعة الإسلام إن ابتعدت عن فهم هذا
الكتاب ، والعمل به ؛ كان هذا من أعظم الأسباب لانحرافها ،

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب : إثم من راعى بقراءة القرآن أو تأكل به ،

رقم ٤٠٠٤ ، ٦٨٨٠ ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصفاتهم ، رقم

١٧٦١ ، ١٧٦٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤١/٧ .

وضلاها ، ومن فهمه وتبعه لا يضل ولا يشقى ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَسْبَغَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَمَخْشَرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١) .

ثالثاً : فوائد تدبر القرآن الكريم :

لتدبر وفهم معاني القرآن الكريم فوائد كثيرة يصعب على الإنسان حصرها وجمعها، ولكن ما نذكره هو من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، وبالقليل على الكثير ، والله المستعان وعليه التكلان :

١- تعلم الحكمة ، والاعتصام بالعروة الوثقى :

قال الأصفهاني رحمه الله : « أشرف العلوم صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن ؛ بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة ، فإنها أشرف من الدباغة ، لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة ، وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة . وإما بشرف غرضها ، مثل صناعة الطب ، فإنها أشرف من صناعة الكناسه ، لأن غرض الطب إفادة الصحة ، وغرض الكناسه تنظيف المستراح . وإما لشدة الحاجة إليها كالفقه ؛ فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب ، إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب ، فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات .

(١) سورة طه الآيتان : ١٢٣ ، ١٢٤ .

إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات

الثلاث .

أما من جهة الموضوع ، فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو
ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما
بعدكم، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه .
وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة
الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية ؛ التي لا تفنى .

وأما من جهة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجليّ
أو آجلّيّ ؛ مفتقر إلى العلوم الشرعيّة ، والمعارف الدينية ، وهي متوقفة
على العلم بكتاب الله تعالى» (١) .

٢- زيادة الإيمان :

من أعظم الأمور التي تزيد إيمان العبد الارتباط بتدبر معاني القرآن،
وفهم ما جاء فيه ، والاستماع والنظر المتكرر إلى معانيه ، قال تعالى :
﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (١) ، أما من لم يفقه معانيه فلا تزيده إلا
بعداً وخسارةً ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا﴾ (٢) ، قال شيخ

(١) الإتيان ج ٤ / ١١٨١

(٢) سورة الأنفال الآية : ٢

(٣) سورة الأنعام الآية : ٢٥

الإسلام ابن تيمية : « دخل في قوله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » تعليم حروفه ومعانيه جميعاً ؛ بل تعلم معانيه هو المقصود الأول من تعلم حروفه ، وذلك الذي يزيد الإيمان » (١) .

٣- التلذذ بقراءة، واستماع القرآن الكريم :

ومن أعظم فوائده أن الإنسان يجد في نفسه شوقاً متواصلاً لتلاوة القرآن والاستماع إليه دون ملل ؛ لأنه كلما تدبر ازدادت معانيه في نفسه، وانشرح صدره إليه ، قال الإمام الطبري رحمه الله : « إني لأعجب ممن قرأ القرآن ، ولم يعلم تأويله كيف يتلذذ بقراءته؟ » (٢) . وقال الإمام الزركشي رحمه الله : « ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً » (٣) .

٤- تزكية النفس :

تدبر معاني القرآن الكريم والنظر في دلائله وحكمه من أعظم الأمور التي توصل إلى تزكية النفوس ، وتنمية العقول ، وشفاء الصدور كما قال تعالى : ﴿ وَتَنْزِيلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ، ولذا فأهل الإيمان دائماً إلى حياض القرآن يردون ، ومن عذاب لفظه يأخذون ، وفي دقائق معانيه يبحثون ، فهو غرة أعينهم ، ونور أبصارهم ، وغيث

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٣ .

(٢) تفسير الطبري ج ١/١ .

(٣) البرهان ج ١٧١/٢ .

(٤) سورة الإسراء الآية : ٨٢

قلوبهم ، قال ابن القيم رحمه الله : « فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ، ومعاده ، وأقرب إلى نجاته : من تدبر القرآن ، وأطال التأمل ، وجمع فيه الفكر على معاني آياته ؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها. وعلى طرقاتها وأسبابها ، وغاياتها ، ... وتثبت قواعد الإيمان في القلب ، وتشد بنيانه ، وتوطد أركانه ، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه ... وتبصره مواقع العير . وتشهده عدل الله وفضله ... وتعطيه فرقاناً يفرق به بين الهدى والضلال ، والغى والرشاد ، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة ، وانشراحاً وبهجة وسروراً ، فيصير في شأن والناس في شأن آخر ... فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه ... وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلي سواء السبيل ، وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل ... وتثبت قلبه عن الزيف والميل عن الحق .. وتناديه كلما فترت عزماته ووني في سيره ... إلي أن قال : وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد » (١) .

(١) مدارج السالكين ١/٤٨٥ - ٤٨٧ .

٥- الدخول في صفات عباد الرحمن :

ومن فوائد تدبر هذا الكتاب العزيز الاتصاف بصفات عباد الرحمن الذين قال الله تعالى عنهم ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾^(٢) ، وذلك لأن من صفات أهل الكفر والضلال الإعراض عن فهم ما جاء في هذا القرآن ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرِينَ كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا كَانُوا فِي أُدُنِهِمْ وَقُرَاءُ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٤) وما ذم الله أهل الكتاب إلا لعدم فهم معانيه كما قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(٥) ، وقال القرطبي : « وفي هذا تنبيه من الله ﷻ لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء »^(٦) .

(١) سورة مريم الآية ٥٨ .

(٢) سورة الفرقان الآية : ٧٣ .

(٣) سورة لقمان الآية : ٧ .

(٤) سورة محمد الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٥) سورة الجمعة الآية : ٥ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٦٤/١٨ .

٦- معرفة عظمة كلام الله :

ويظهر ذلك من حاجته إلى هذا القدر من التفسير على الرغم من أن الله يسره علينا ، فإن المصنف من الناس إذا قوي في مستواه العلمي فإنه يجمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة موجزة فيحتاج من يأتي بعد إلى شروح كثيرة لفهمه ، فإذا كان هذا فيما يتعلق بكلام الناس ، فكيف بكلام الخالق ، كما أن العبد يقف على حكم كثيرة لا يمكن أن يهتدي إليها إلا من خلال نور الوحي الإلهي الذي أنعم به علينا .

٧- الاهتداء إلى سنة النبي ﷺ :

لأنه ﷺ كان يقرأ بترسل ، وتدبر كامل ، وأن القراءة بغير تدبر خلافاً للسنة ، وأقل ثواباً ، وما تزال الأمة بخير ما ترسمت هدي نبيها ﷺ ، وقد أمرنا أن نقندي به .

رابعاً: الأسباب المعينة على تدبر القرآن الكريم :

هنالك بعض الأسباب التي تعين العبد المسلم الصادق على فهم وتدبر ما جاء في هذا الكتاب العزيز ، وبقدر ما تتوفر هذه الأسباب بقدر ما يمتلك من أسباب الإعانة لفهمه ، والتي منها ما يلي :

١- الإيمان الراسخ :

فالإيمان الراسخ يجعل المؤمن يدرك عظمة الله ، وعظمة كلامه الذي وصفه بأنه حكيم ، ومجيد ، وعزيز ، ومبارك ، وهدى ، ورحمة ، ونذير ، وبشير ، وشفاء ، ونور ، وبرهان ، وبصائر ، كما قال تعالى:

﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾^(٣) ، قال الشيخ السعدي رحمه الله : « أقوم : أي أكرم وأنفس وأصلح وأكمل استقامة ، وأعظم قياماً وصلاحاً للأُمور »^(٤) ، فالأمة مهما بلغت من العلم والمعرفة فهي لا تستغني عن نور الله لحظة في حياتها ، وأنها إن التمسست الهدى والنور في غيره أضلها الله ؛ وأظلم طريقها ، ومن هنا يجب على كل مسلم أن يدرك قيمة وعظمة هذا القرآن لعزته ، وهدايته ، وشفاءه ، وعلمه ، وتقواه ، وأن أمة بغير قرآن لا قيمة لها ، ولا نور لها ، ولا هدى ، قال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾^(٥) .

٢- إخلاص النية :

وكذلك من أعظم الأمور الموقفة لفهم كتاب الله ، وفتح كنوزه ، أن يقصد الإنسان بتعلمه نبيل رضى الله وثوابه ، والسير على هداه ، وعليه

(١) سورة الجاثية الآية (٢٠)

(٢) سورة المائدة الآيتان (١٥ ، ١٦)

(٣) سورة الإسراء الآية (٩)

(٤) القواعد الحصان : ١٤

(٥) سورة الأنعام الآية (١٠٤)

أن يتذكر أن ما يتعلمه هو كلام الخالق ليس هو كلام مخلوق ، وأنه لا يريد بتعلمه مالا ، ولا جاهاً ، ولا سمعةً ، وإنما يتعلمه لله ، وفي الله ، وقد سبق الحديث عن هذا في آداب تعلم القرآن الكريم .

٣- الابتعاد عن المعاصي والذنوب :

فالمعاصي والذنوب تذهب نور الإيمان من القلب، وتوهنه، وتمرضه، وتضعفه كما قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ * كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢) ، لأن القلب المريض أقل القلوب تأثراً بالقرآن، خاصة المعاصي التي لها ارتباط بالفهم كالقلب، والسمع، والبصر، واللسان ، ومن أخطرها تأثيراً على تعلم القرآن سماع الموسيقى والغناء، وآلات الطرب واللهاو ، التي تصد القلوب عن ذكر الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُلِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ ﴾^(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « أي هذا المقبل على اللهاو واللعب والطرب

(١) سورة البقرة الآية (١٠)

(٢) سورة المطففين الآيتان (١٣، ١٤)

(٣) سورة لقمان الآيتان (٦ ، ٧)

إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر وتصامم وما به من صمم كأنه ما سمعها ، لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا إرب له فيها»^(١) ، وذلك لأنه شغل نفسه وقلبه بالأحاديث الملهية للقلوب، عن الحديث الهادي للقلوب ، والشافي للنفوس .

٤- الاستعانة بالله ودعائه :

من أعظم الأمور الموقفة لفهم هذا الكتاب أن يسأل العبد ربه في خالص دعائه أن يرزقه فهمه ، ويسر عليه علمه ، كما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضی الله عنهما قال : « ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ »^(٢) ، أي القرآن ، وأن من استعان بالله على طاعته أعانه الله ، ولهذا أمر رسوله أن يدعو الله بزيادة العلم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(٣) ، وذلك لأن العلم هبة من الله خاصة علوم الشرع التي لا يدخلها الله إلا في قلوب تأهلت لذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٤) .

(١) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٠٦١

(٢) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ اللهم ، ح رقم ٧٣ .

(٣) سورة طه الآية (١١٤)

(٤) سورة الشورى الآية (٥٢)

٥- تلاوته حق التلاوة :

ومن أعظم الأسباب المعينة على تدبر هذا الكتاب تلاوته حق التلاوة ، فإن الابتعاد عن تلاوة القرآن يؤدي إلى قسوة القلوب وفساد النفوس ، كما قال تعالى حاكياً عن الأمم السابقة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِدُكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١) ، لذا رتب الله الفلاح على كثرة تلاوة القرآن الكريم ، كما قال تعالى : ﴿لِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنقَضُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢) .

وحتى تكون التلاوة بصورة صحيحة وسليمة ، ويتلوه المسلم حق تلاوته التي أمر الله بها كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنَاهُمْ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (٣) لا بد من توفر أمور من أبرزها :

١- أن تكون التلاوة صحيحة مجودة ؛ لأن إدراك المعنى قائم على نطق الكلمة بصورة سليمة ، ولأن اختلاف النطق للحروف ، أو إعراب الكلمة يؤدي إلى تغير المعنى دون شك ، ولهذا قال النبي ﷺ : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ

(١) سورة الحديد الآية (١٦)

(٢) سورة فاطر الآيتان (٢٩ ، ٣٠)

(٣) سورة البقرة الآية (١٢١)

السَّفَرَةَ الْكِرَامِ الْبَرَّةَ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» (١) .

٢- أن تكون التلاوة بترسل ، مع مراعاة أحكام الوقف ؛ حتى يستطيع أن يتدبر المعنى بصورة سليمة، كما قال تعالى لرسوله ﷺ مبيناً له كيفية أداءه للناس : ﴿وَقْرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِعُقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (٢) ، كما جاء في حديث حذيفة قال : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ ، فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ فَقَرَأَهَا ، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا ، يَقْرَأُ مَتْرَسَلًا ، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ » (٣)

قال الإمام النووي : « يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، فيه استحباب هذه الأمور

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، ح رقم ١٣٢٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية (١٠٦)

(٣) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تطويل القراءة في

الصلاة ، ح رقم ١٢٩١

لكل قارئ في الصلاة وغيرها، ومذهبنا استحبابه للإمام، والمأموم،
والمتفرد»^(١) ، وذلك لأنها تعين على تدبر المعنى .

وحيثما سئل زيد بن ثابت : « كيف ترى في قراءة القرآن في
سبع؟ قال : حسن ، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إليّ . سألني
لم ذلك؟ قال : فإنني أسألك؟ قال زيد : لكي أتدبره، وأقف عليه »^(٢) .
٣- أن تكون التلاوة بصوت حسن ، أي يَجْمَلُ صوته بالقراءة ، فإن
الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ، وله وقع على النفوس ، وجذب
للأذان، لذا قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(٣) وقال ﷺ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ
لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ » ، وفي رواية « يَجْهَرُ بِهِ »^(٤) ، وقال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ
يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ »^(٥) ، وقد
عرف عن عبد الله بن مسعود حسن صوته بالقرآن ، وقال ﷺ : « أحسن
الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله »^(٦) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٦/٥٥ .

(٢) رواه مالك في الموطأ ج١/٢٠١ .

(٣) سورة المزمل الآية (٤)

(٤) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ ، ح رقم

٦٩٧٣ .

(٥) رواه ابن ماجه، في المقدمة، باب فضل عبد الله بن مسعود، ح رقم ١٣٥ ، ومسنَد

أحمد ح رقم ٤٠٣٥ .

(٦) السلسلة الصحيحة للألباني ٤/١١١ رقم ١٥٨٣ .

قال ابن كثير رحمه الله : « المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت ؛ الباعث على تدبر القرآن ، وتفهمه ، والخشوع ، والخضوع ، والانقياد ، والطاعة »^(١) .

وقال الإمام النووي : « أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف والتابعين ومن بعدهم على استحباب تحسين الصوت بالقرآن »^(٢) .
٤- أن يكون مقصده من التلاوة العلم والعمل فما حسَّنه القرآن فهو عنده حسناً ، وما قبحه فهو عنده قبيحاً ، وما رَغَّب فيه اشتاق إليه ، وما نهى عنه كرهه في نفسه وخاف من ارتكابه ، قال الله تعالى : ﴿ كَابِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(٣) ، قال ابن القيم رحمه الله : « فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير ... فقراءة آية بتفكير خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب ، ويؤدي إلى حصول الإيمان ، وذوق حلاوة الإيمان »^(٤) .

٥ - وأن يقرأ القرآن في أوقات نشاطه ، كوقت الفجر لقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾^(٥) ، وأن يحافظ على ورد ثابت ؛ ولو كان قليلاً كما ورد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : « كَانَ

(١) فضائل القرآن ص ١٢٥ .

(٢) التبيين للنووي ص ٧٧ .

(٣) سورة ص الآية (٢٩)

(٤) مفتاح دار السعادة ص ٢٢١ .

(٥) سورة الإسراء الآية (٧٨)

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَصِيرٌ ، وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَصَلِّي فِيهِ ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ . وَيَسْتَطِئُهُ بِالنَّهَارِ ، فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ ؛ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دُوِّمَ عَلَيْهِ ؛ وَإِنْ قَلَّ ، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَتَبَتْهُ «^(١)» ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَثِّ عَلَى الْاِقْتِصَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَاجْتِنَابِ التَّعَمُّقِ ، وَلَيْسَ الْحَدِيثُ مَخْتَصًّا بِالصَّلَاةِ ؛ بَلْ هُوَ عَامٌ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِ الْبِرِّ ... وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى الْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ ، وَأَنْ قَلِيلَهُ الدَّائِمُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْقَطِعُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْقَلِيلُ الدَّائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ ؛ لِأَنَّ بَدْوَامَ الْقَلِيلِ تَدْوِمُ الطَّاعَةِ ، وَالذِّكْرُ ، وَالْمُرَاقَبَةُ ، وَالنِّيَّةُ ، وَالْإِخْلَاصُ ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَيَثْمَرُ الْقَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيدُ عَلَى الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ أضعافاً كَثِيرَةً »^(٢) .

٦ - كما أن ترديد الآية يزيد من فهمها وتدبرها ، كما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَرَدَّدَهَا حَتَّى أَصْبَحَ ﴿لَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لَفِيكُمْ عِبَادَتُكُمْ وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لَفِيكُمْ﴾ »^(٣) «^(٤)» .

(١) رواه البخاري ، كتاب اللباس ، باب الجلوس على الحصير ونحوه ، ح رقم ٥٤١٣ ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل ، ح رقم ١٣٠٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٦/٦٢ .

(٣) سورة المائدة الآية (١١٨)

(٤) رواه الإمام أحمد ، كتاب مسند الأنصار رضي الله عنهم ، باب حديث أبي ذر رضي الله عنه ، ح رقم ٢٠٢٤ ، وابن ماجه ، ح رقم ١٣٤٠ ، والنسائي ، ح رقم ١٠٠٠ .

٧- بالإضافة إلى مراعاة أحكام التلاوة الأخرى من طهارة ، واستعاذة ، وبسملة ، وفوق ذلك إخلاص النية لله تعالى ، والتقرب إلى الله بتلاوة كتابه ، وفهم خطابه ، والإنصات عند الاستماع إليه ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١) قال الشوكاني رحمه الله : « أمرهم الله سبحانه بالاستماع للقرآن ، والإنصات له عند قراءته لينتفعوا به ، ويتدبروا ما فيه من الحكم ، والمصالح »^(٢) .

٦- المدارس الجماعية للقرآن :

ومن الأسباب المعينة على فهم القرآن المدارس الجماعية له ، ولهذا حث النبي ﷺ على ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »^(٣) .

ويجذب أن تكون المدارس في شكل آيات محددة كما كان منهج الصحابة لا يتجاوزون العشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قال الآجري رحمه الله : « القليل من الدرس للقرآن مع التفكير فيه ،

(١) الأعراف الآية (٢٠٤)

(٢) فتح القدير ج٢/٢٨٠ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ح رقم ٤٨٦٨ ، والترمذي ، ح رقم ٣٣٠٠ ، وأبو داود ، ح رقم

وتدبره أحب إليّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ، ولا تفكر فيه ،
 وظاهر القرآن يدل على ذلك ، والسنة ، وأقوال أئمة المسلمين» (١) ، وقد
 كان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن في كل ليلة من ليالي
 رمضان « كَان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَحْوَدُ مَا يَكُونُ فِي
 رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ
 الْقُرْآنَ ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ » (٢) .

ومن هنا كان مدارس القرآن مع أهل العلم والفضل والصلاح
 وحضور حلقاتهم ، والسؤال على ما يشكل على الإنسان من أعظم
 الأسباب المعينة على فهمه .

٧- تعلم علوم القرآن الكريم :

ومن الأسباب الأساسية لفهم وتدبر القرآن الكريم تعلم علومه
 وهو يدخل في النصح لكتابه الوارد في حديث تميم الداريؓ حيث
 قال: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ . قُلْنَا لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَكِتَابِهِ
 وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ » (٣) .

قال الإمام النووي في النصح لكتابه : « هو الإيمان بأنه كلام الله
 تعالى ، ثم تعظيمه ، وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها ، والخشوع عندها ،
 وإقامة حروفه في التلاوة ... والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه

(١) أخلاق حملة القرآن ص ٨٢ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، ح رقم ٥ ، ٢٩٨١ ، ٣٢٩٠ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة ، ح رقم ٨٢ .

وأمثاله، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ،
والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ،
ونشر علومه ، والدعوة إليه» (١) .

وقال الإمام القرطبي رحمه الله : « فينبغي أن يعرف المكي والمدني ،
ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام وما ندبهم إليه في
آخر الإسلام» (٢) .

قال السعدي رحمه الله : « فالنظر في سياق الآيات مع العلم
بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله ، من أعظم
ما يعين إلى معرفة فهم المراد منه ، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم
العربية على اختلاف أنواعها» (٣) ، وقال الشاطبي رحمه الله : « معرفة
أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن» (٤) ، فعلم القرآن هي المفتاح
لفهمه ، والطريق السليم لتدبره ولا يمكن أن يفهم القرآن بصورة سليمة
من لا يعرف علومه ، وذلك مع القراءة المستمرة في كتب التفسير ، وما
سطره علماء علوم القرآن ، ابتداءً بالأسهل .

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص ١١٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١/١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ١٢ .

(٤) الموافقات ج ١/ ٨٦ .

٨- قيام الليل :

من الأمور التي تعين على فهم القرآن الصلاة به في الليل ، كما كان هديه ﷺ مع القرآن ، وكما قال تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾^(١) ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : « قَوْلُهُ أَقْوَمُ قِيلاً هُوَ أَحَدَرُ أَنْ يَفْقَهُ فِي الْقُرْآنِ وَقَوْلُهُ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا يَقُولُ فَرَاغًا طَوِيلًا »^(٢) ، قال الحافظ ابن كثير : « والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب والسمع ، وأجمع على التلاوة ... وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ، لأنه وقت انتشار الناس ، ولغظ الأصوات ، وأوقات المعاش »^(٣) .

وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله عن مدرسة جبريل للرسول ﷺ في كل ليلة من رمضان : « المقصود من التلاوة الحضور ، والفهم ؛ لأن الليل مظنة ذلك ؛ لما في النهار من الشواغل ، والعوارض الدنيوية ، والدينية »^(٤) .

وإذا جهر بها كان أكد في المطلوب ؛ لأن ذلك أجمع لذهنه كذلك، وأبعد لشروده؛ كما جاء عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) سورة المزمل الآية (٦)

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب نسخ قيام الليل والتيسير فيه ، ح رقم ١١٠٩ وحسنه الألباني .

(٣) المصباح المنير تهذيب تفسير ابن كثير ص ١٤٥٥ .

(٤) فتح الباري ج ٤٥/٩ .

« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ »^(١) - وَزَادَ غَيْرُهُ - « يَجْهَرُ بِهِ » ،
 وقال ﷺ : « إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ
 بِاللَّيْلِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرِ
 مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ ... »^(٢) ، وقوله لأبي موسى الأشعري :
 « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاعَتِكَ الْبَارِحَةَ ؛ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ
 آلِ دَاوُدَ »^(٣) .

وينبغي أن يقرأ في وقت نشاطه ، فإن استعجم* عليه القرآن ،
 فليرقد ، كما قال النبي ﷺ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ
 عَلَيَّ لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ »^(٤) .

٩- الشعور بأن خطاب القرآن له قبل غيره :

كذلك من الأمور التي تعين على فهم وتدبر القرآن الكريم أن
 يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً أن القرآن يخاطبه قبل غيره ، فالأمر أولاً إليه
 قبل غيره والنهي كذلك ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

(١) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، بلب قوله تعالى (واسرؤا قولكم أو اجهروا به) ح رقم
 . ٦٩٧٣

(٢) سبق تخريجه ص : ١١٧

(٣) سبق تخريجه ص : ١١٧

* استعجم القرآن : أي استغلق ، ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس ، مسلم بشرح النووي
 . ٦٥/٦

(٤) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته
 أو استعجم عليه القرآن ، ح رقم ١٣١٠ .

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا»^(١) ، وقال شعيب عليه السلام : «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَهَّاكُمْ عَنْهُ»^(٢) ، و كما قال تعالى : «وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَتَذَرِكُمْ بِهِ وَمَنْ نَبَلِّغْ»^(٣) قال محمد بن كعب القرظي : « من بلغه القرآن فكأنما قد رأى محمداً ﷺ وسمع منه »^(٤) ، وقال تعالى : «وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»^(٥) ، وقال تعالى : «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ»^(٦) ، وقد جاء في حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مثلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأَثْرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ ، وَلَا رِيحَ لَهَا »^(٧) .

(١) سورة التحريم الآية (٦)

(٢) سورة هود الآية (٨٨)

(٣) سورة الأنعام الآية (١٩)

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرظي خ ٧١٧/٣

(٥) سورة الأنعام الآية (١٥٥)

(٦) سورة البقرة الآية (١٨٧)

(٧) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام ، ح رقم

وهذا الاعتقاد يدفع المسلم إلى الاستفادة من كل آية يقرأها ،
ويحاول ربطها بالواقع ، والاستفادة من هداها في واقع الحياة ، وبهذا
يستتير المسلم بنور القرآن في ظلمات الحياة .

ومن قرأ القرآن ، واستشعر خطابه ؛ فإنه يتضاءل خوفاً عند
وعيده ، ويتشوق فرحاً لوعده ، ويطرب قلبه عند ذكره ، ويزداد حباً
وخضوعاً عند معرفة أسمائه وصفاته وهكذا .

١٠ - الإيمان ببسره وكماله :

كذلك من الأمور التي تعين على فهم هذا الكتاب العزيز ، أن يعتقد
المسلم اعتقاداً جازماً أن الله قد يسّر كلامه للناس ليفهموه ، ويعملوا به ، كما
قال تعالى : ﴿ وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴾ ^(١) ، فليس هو كتابٌ
مستعصي الفهم ، كما قال السعدي رحمه الله : « ولقد يسّرنا وسهّلنا ألفاظه
للحفظ والأداء ، ومعانيه للفهم والعلم ، لأنه أحسن الكلام لفظاً ، وأصدق
معناً ، وأبين تفسيراً ، ولهذا كان علم القرآن حفظاً وتفسيراً من أسهل
العلوم ، وأجملها على الإطلاق ، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين
عليه ، ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه ، والتذكير بقوله : ﴿ هَلْ مِنْ
مُدْرِكٍ ﴾ فهو علم ميسر ، ويعين الله العبد إذا طلبه ، ويسر له مقصوده ،
ويضاعف الله أجره ، ويرزقه الحكمة ، وفصل الخطاب » ^(٢) .

(١) سورة القمر الآية (١٧)

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٢٥ .

كما ينبغي للمسلم وهو يتلو آيات القرآن أن يعتقد بكماله وشموليته لطرق الهداية للتي هي أقوم لكل نواحي الحياة ، كما قال تعالى : **﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾** ^(١) ، وقوله تعالى : **﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلًا ﴾** ^(٢) وقوله تعالى : **﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾** ^(٣) ، فهذا الاعتقاد يجعل المسلم يقبل على القرآن بكلياته، ويجعله منهجاً له في الحياة، ويشق ثقة مطلقة بأن ما جاء فيه هو الخير والحق والعدل ، وإن خالف ذلك واقعه وموروثه ، وأن القرآن هو دواء الأمم مهما تعقدت مشاكلها في كل زمان ومكان ، وبقدر ما تقبل الأمة عليه بقدر ما تهتدي بهداه ، وتستنير بنوره .

١١ - تعلم العلوم المعينة على فهم القرآن الكريم :

كذلك من الأسباب المعينة لفهم القرآن الكريم القراءة والدراسة المتواصلة في كتب السنة ، إذ السنة شارحة للقرآن الكريم كما قال تعالى : **﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾** ^(٤) ، وقال رسول الله ﷺ : **« أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَيَّ أُرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهِذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَجْلَوْهُ وَمَا**

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨)

(٢) سورة الإسراء الآية (١٢)

(٣) سورة الإسراء الآية (٩)

(٤) سورة النحل الآية (٤٤)

وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ...»^(١) ، كذلك الوقوف على أقوال الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك لأنهم عايشوا التنزيل ، وعرفوا أسباب النزول ، وتعلموا على يد النبي ﷺ ، وكانوا أئمة في العلم والعمل ، وكذلك تعلم لغة القرآن من نحو وصرف وبلاغة ، وذلك لأنه لا يفهم القرآن من لا يعرف لغة القرآن كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٢) .

وينبغي للمسلم أن يسأل عن كل ما يشكل عليه من فهم للقرآن كما قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَاءِلِينَ ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَوَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنِيظُونَ مِنْهُمْ ﴾^(٥) ، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يرجعون إليه لفهم كل ما أشكل عليه كما ورد عن عائشة رضي الله عنها عندما سمعت قول النبي ﷺ : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ

(١) رواه الترمذي ، ح رقم ٢٦٦٦ ، وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وابن ماجه ح رقم ١٢ ، و أبو داود في السنن ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ح رقم ٣٩٨٨ ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث صحيح ، ح رقم ٣٨٤٨ .

(٢) سورة الزخرف الآية (٣)

(٣) سورة النحل الآية (٤٣)

(٤) سورة الحجر الآية (٧)

(٥) سورة النساء الآية (٨٣)

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ ،
وَلَيْسَ أَحَدٌ يُتَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُدِّبَ « (١) .

وكما سأل الصحابة النبي ﷺ عن الظلم لما نزلت الآية : ﴿الَّذِينَ

آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ ظُلْمًا أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢) .

فهذه بعض الأسباب التي تعين على فهم هذا الكتاب المجيد، وهي

تحتاج إلى المزيد، ومن عمل بما جاء فيه ، وجد ثمرة ذلك في حياته ومماته .

خامساً: أسباب اختلاف درجات العلماء في فهم آيات الكتاب:

إن العلماء منذ عهد النبي ﷺ وإلى يومنا هذا ليسوا على درجة

واحدة في فهم القرآن الكريم ، ومن هنا تعددت التفاسير ، وتنوعت

وذلك للآتي :

١- أن ألفاظ القرآن الكريم جاءت بأعلى نوع من أنواع الخطاب العربي

ألفاظه فصيحة ، وجمله بليغة ، ومعانيه غزيرة ، فلا يمكن لبشر أن يحيط

بكل جوانبه إن لم يبين الله له ذلك كرسوله ﷺ ، وإلا فكيف لناقص فإن

أن يحيط بكلام كاملٍ باقٍ .

(١) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله ﴿لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ،

رقم ٤٤٠٣ ، ٣١٧٤ ، ٣١ ، ومعلم ، كتاب الإيمان ، باب : صدق الإيمان وإخلاصه ،

رقم ١٧٨ .

(٢) سورة الأنعام الآية (٨٢)

٢- تفاوت الناس في الإلمام بما يحيط بالآيات من أحداث ووقائع وقت نزولها ، وهذا من أعظم ما يعين على فهم القرآن .

٣- وتفاوت الناس في معرفة لغة القرآن الكريم قديماً وحديثاً ، وبقدر ما يتمكن الإنسان من معرفة لغة القرآن بقدر ما يفهم من أسرار هذا الكتاب العظيم ما يخفى على غيره .

٤- وتفاوت المدارك والعقول البشرية من شخص لآخر ، ومن جيل لجيل ، ومن زمان لزمان .

٥- وتفاوت التقوى في النفوس ؛ لأن هذه القلوب بقدر ما تصفوا لله ﷻ بقدر ما يفتح الباري عليها من ينابيع الحكمة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

٦- اختلاف ميول العلماء ، واهتماماتهم ، وتخصصاتهم ؛ فتجد عالماً له اهتمام بالحديث والأثر في التفسير ، وآخر له اهتمام بالبلاغة ، وثالث بالنحو ، وآخر بالفقه وتقرير الأحكام ، وخامس له اهتمام بتقرير مسائل الإيمان وهكذا ، لذا قد يجد الإنسان في كل كتاب من كتب التفاسير ما لا تجده في غيره .

٧- اختلاف تطورات الحياة من جيل إلى جيل ، ومن وقت إلى وقت ، جعل كل أمة تدرك من أسرار ، وإعجاز هذا الكتاب الشيء الكثير ؛ الذي يوصلهم إلى اليقين بأنه الحق من رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ سَتَرْنَاهُمْ

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨٢

آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(١) ، هانحن اليوم نرى في أنفسنا بعد تقدم العلم ، وتطوره من بديع آيات الله ، وعجائب صنعه في أجزاء بدننا ؛ من جهاز بصري ، أو تنفسي ، أو دموي ، أو عقلي ، أو عصبي ، ونحو ذلك كيف يعمل كل منها ؟ ، وكيف تتداخل فيما بينهما بما تختار له العقول ، ويجعل الكل يهتف من دواخله : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٢) .

وعلى الرغم من أن تلك الأسباب جعلت فهم الناس للقرآن متفاوتاً ، لكن العلماء وضعوا طرق معينة يسير عليها كل متدبر في القرآن الكريم ليصل إلى فهم سليم وفق منهج صحيح ؛ لا يؤثر عليه ذلك التفاوت .

سادساً: طرق تفسير القرآن الكريم :

نسبة لاختلاف مناهج ودرجات المفسرين في فهم وتفسير القرآن الكريم ، وضع العلماء أسساً ينبغي أن يسير عليها كل من أراد أن يفسر هذا الكتاب العزيز وفق منهج سليم ؛ وهي ستة طرق متدرجة متوالية وبقها يفهم القرآن وتستنبط معانيه وحكمه ، وهي :

(١) سورة فصلت الآية : ٥٣

(٢) سورة لقمان الآية : ١١

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

هو أعلى أنواع التفسير ؛ لأنه توضيح لكلام الله بكلام الله ؛ فإن القرآن الكريم قد يجمل في موضع ويفصل في موضع آخر ، ويعمم في موضع ويخص في موضع آخر ، ويطلق الحكم في موضع ويقيده في موضع آخر ونحو ذلك ، مثال للفظ مجمل ثم فسر كقوله تعالى : ﴿ قَلَّمْ أَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) ، فسر هذه الكلمات التي أجملها هنا بقوله تعالى : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٢) .

ومثال لموضع عام ثم خصص كقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ ^(٣) ، فهذا حكم عام في كل مطلقة، مخصص بقوله تعالى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ ^(٤) ، ومثال لمطلق ثم قيد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقَبِلَ تَوْبَهُمْ ﴾ ^(٥) ، مقيد بقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ الآنُ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَنُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ أُولَئِكَ أَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ^(٦) .

(١) سورة البقرة الآية : ٣٧

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٣

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٨

(٤) سورة الطلاق الآية : ٤

(٥) سورة آل عمران الآية : ٩٠

(٦) سورة النساء الآية : ١٨

وأول من اعتنى بهذا النوع من التفسير هو النبي ﷺ ؛ فقد فسر مثلاً ما أشكل على الصحابة في معنى الظلم في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ ظُلْمًا﴾ (١) بقوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، كما جاء في البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ ظُلْمًا﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ ؛ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِأَنَّهُ : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ » (٢) (٣) ومن أبرز العلماء الذين اعتنوا بهذا النوع من التفسير الحافظ ابن كثير في تفسيره " تفسير القرآن العظيم " ، والشيخ محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي في كتابه " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " وغيرهم .

٢- تفسير القرآن بالسنة :

إذا لم نجد للقرآن تفسيراً في القرآن رجعنا إلى السنة النبوية وذلك لأن النبي ﷺ هو أعلم الخلق بعد معلمه جبريل بالقرآن الكريم ، وقد تكفل الله له ببيانه كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (٤) وهو معصوم بالوحي

(١) سورة الأنعام الآية : ٨٢

(٢) سورة لقمان الآية : ١٣

(٣) سبق تخريجه ص ٢٨٨ .

(٤) سورة القيامة الآية : ١٩

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) وهو المكلف بشرحه وبيانه للناس من خلال أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته ، فلا عجب أن يكون أعلم الناس به ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له ، بل قد قال الإمام الشافعي محمد بن إدريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (٣) » (٤) .

فلا أحد أعلم بأحكامه وأفهم لمعانيه منه ، لذا أمرنا بالرجوع إليه عند الاختلاف ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ

(١) سورة النجم الآيتان : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة النحل الآية : ٤٤

(٣) سورة النساء الآية : ١٠٥

(٤) مجموع الفتاوى ٣٦٣/١٣ .

كَلِمَةً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (١) فالسنة قد وضحت بجمل القرآن ،
وقيدت مطلقه ، وخصصت عامه ، وحلت مشكله ونحو ذلك .

مثال لتفسير الجمل قوله تعالى : «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» (٢) فعن عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ
زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤُوهَا » (٣) ، وكل ما جاء من
تفصيل عن الفرائض والحدود والمعاملات هو توضيح لما أجمل في القرآن .

ومثال لتخصيص العام كقوله تعالى : «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» (٤) مع
قوله ﷺ عن ميته البحر : « هُوَ الطَّهْرُ مِائَةٌ مِائَةٌ مِنَ الْحِلِّ مِيتَةٌ » (٥) .

ومثال لتوضيح المشكل ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ إِلَّا هَلَكَ . قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا مَسِيرًا) (٦) قَالَ : « ذَاكَ الْعَرَضُ يُعْرَضُونَ وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ » (٧) .

(١) سورة النساء الآية : ٥٩

(٢) سورة الفجر الآية : ٢٣

(٣) رواه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في شدة حر نار جهنم وبعد
قعرها وما تأخذ ، ح رقم ٥٠٧٦ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٣

(٥) رواه الترمذي ، كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في ماء البحر أنه طهور ، ح رقم ٦٤ ، وقل حسن
صحيح ، والنسائي كتاب الطهارة ، باب : ماء البحر ، ح رقم ٥٩ ، ٣٣٠ ، ٤٢٧٥ ، وأبو دود رقم ٧٦ .

(٦) سورة الانشقاق الآية : ٨

(٧) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا مَسِيرًا» ، ح رقم ٤٥٥٨ ،

١٠٠ ، ٦٠٥٥ ، ومسلم ، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها ، إثبات الحساب ، رقم ٥١٢٢ .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

إذا لم يجد الإنسان تفسيراً للقرآن في القرآن ، ولا في السنة ، رجع إلى أقوال أصحاب النبي ﷺ وذلك للآتي :

١- أنهم تعلموا على يد أعظم وأبرك معلم ، ألا وهو النبي ﷺ ، فهو الذي قد وضع لهم معاني القرآن بأوضح بيان ، شرح لهم معانيه ، وفصل لهم مجمل أحكامه ، وبين لهم ما أشكل عليهم من فهم ، ورعاهم رعاية خاصة ، ودعا لبعضهم بفقهه .

٢- أننا أمرنا بالافتداء بهم ، واتباع منهجهم ، لما لهم من فهم صائب ، وعمل صالح ، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا بَدَلُوا بُدِيلًا﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣) ، وقال تعالى :

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٥) .

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢٣

(٢) سورة الفتح الآية : ١٨

(٣) سورة التوبة الآية : ١٠٠

(٤) سورة البقرة الآية : ١٣٧

(٥) سورة النساء الآية : ١١٥

فكل هذه الآيات تؤكد اتباع منهج السلف علماً وعملاً .

٣- أنهم شاهدوا التنزيل وعاصروا الوحي ، وعرفوا أحوال نزول القرآن ، فهم أعرف الناس بأسباب نزوله ، وناسخه ومنسوخه ، وعامه وخاصه ، ومطلقه ومقيده ، ومحكمه ومتشابهه ونحو ذلك .

٤- أنهم كانوا أهل لغة ونزل القرآن بلغتهم ، فهم أفهم الناس لمعانيه ، وأحكامه ، وهديه .

حكم أقوال الصحابة :

أقوال أصحاب النبي ﷺ مقدمة في التفسير على أقوال جميع من جاء

بعدهم ، ولكن للعلماء في حكم التعامل معها تفصيل على النحو التالي :

١- إذا كان فيما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه كالأخبار المتعلقة بالغيب ، وأسباب النزول ؛ فهذه لها حكم المرفوع للنبي ﷺ إذا صححت في سندها .

٢- إذا رجعوا إلى اللغة فحكمه القبول ، لأنهم أعلم الناس بلغة العرب ؛ على كل من جاء بعدهم ، حتى علماء اللغة كالخليل بن أحمد وسيبويه وغيرهم .

٣- إذا رجعوا إلى أهل الكتاب فهذا له حكم الإسرائيليات وهي تلور في ثلاثة أحوال:

أ- ما وافق الكتاب والسنة يقبل كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ وَكُفِّرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّا نَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ .

(١) سورة الأحقاف الآية : ١٠ .

ب- ما خالف الكتاب والسنة فهو كذب ؛ نرده كما جاء عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ تَوْفَا الْبِكَالِيِّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَذَبَ عَلُوُّ اللَّهِ . حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيْبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ؛ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ... » (١) .

ج- ما لم نجد له في الكتاب والسنة ما يصدقه ، أو يكذبه ؛ فإنه مسكوت عنه ؛ فلا نؤمن به ، ولا نكذبه ، وتجاوز حكايته لما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَعُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ ، وَقُولُوا : (أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا) » (٢) ، ولقول النبي ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (٣) ، وغالب هذه مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني مثل أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعصا

(١) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب : ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم ، ح رقم ١١٩ ، ٣١٤٩ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب : من فضائل الخضر ، ح رقم ٤٣٨٥ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٣ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله «(أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا)» ، ح رقم ٤١٢٥ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، ح رقم ٣٢٠٢ ، والترمذي ٢٥٩٣ ، وأحمد ٦١٩٨ .

موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحيها إبراهيم إلى غير ذلك (١).

٤- إن اجتهدوا واتفقوا فهو حجة على من جاء بعدهم (٢) .

٥- إن اختلفت أقوالهم يبحث عن مرجح ، ولا يجوز إحداث قول آخر في المسألة .

٦- وإذا ورد القول عن واحد منهم ولا مخالف له فلاخذ برأيه أولى من غيره والله أعلم .

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين :

إذا لم نجد تفسيراً للآية في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة رجع كثير من العلماء إلى أقوال التابعين وذلك :

١- أنهم تعلموا على يد أصحاب النبي ﷺ ؛ خاصة الذين أخذوا منهم علماً كثيراً كمجاهد ؛ الذي يقول بأنه عرض المصحف ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، يوقفه عند كل آية ، ويسأله عنها ، وكسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم .

٢- أنهم عاشوا في القرون المفضلة ؛ التي قربت من عصر النبوة ، ولم تظهر فيها البدع المضلة بصورة كبيرة ؛ كما قال النبي ﷺ تزكية لفرقتهم : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ نَسِيْقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : وَكَانُوا

(١) مجموع الفتاوي ، ج ٣٦٧/١٣ .

(٢) الموافقات للشاطبي ٢١٨/٣ .

يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ ، وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ» (١) فهي خيرية علم وعمل .

٣- لأنهم عاشوا في عصر اللغة ، قبل أن تفسد العجمة اللسان العربي ، فهم أعلم الناس بعد أصحاب النبي ﷺ بلغة القرآن .

٤- أنهم كانوا أئمة في العلم والصلاح ، عرفوا باستقامة في المنهج ، وصلاح في المعتقد ، وحسن سيرة في العبادة وصدق وأمانة وورع وتقوى .

٥- تفسير القرآن وفق لغة العرب :

إذا لم يجد المفسر لتفسير الآية تفسيراً إلا في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة ، ولا في أقوال التابعين يرجع الإنسان إلى اللغة العربية التي نزل هذا القرآن عليها كما قال تعالى : ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (٢) ، وقال تعالى :

﴿كَابُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿أَنَا جَعَلْتَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤) . ولا يمكن لإنسان يجهل لغة العرب نحواً و صرفاً وبلاغة ومعنى أن يفسر القرآن ، كما قال مجاهد : « لا يجلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب » (٥) .

(١) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب : فضائل أصحاب النبي ﷺ ح رقم ٣٣٧٨ ،

٣٣٧٧ ، ٢٤٥٧ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة باب : فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ،

رقم ٤٥٩٩ ، ٤٦٠٠ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٣

(٣) سورة فصلت الآية : ٣

(٤) سورة الزخرف الآية : ٣

(٥) الإتيقان ٤/ ١١٩٤ .

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يرجعون إلى لغة العرب ويشيرون لمن خفي عليه معنى أن يرجع إليها، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما: « كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ ^(١) حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول: أنا ابتدأتها » ^(٢).

وكان يقول: « إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب » ^(٣).

٦- تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد :

وهذا النوع قسمه العلماء إلى قسمين: رأي محمود، ورأي مذموم .
أ- فالرأي المحمود: هو كل رأي مستمد من القرآن والسنة ، وكان صاحبه عالماً باللغة العربية وأساليبها والشريعة وأصولها ، وقد استدل العلماء في جواز الاجتهاد والرأي في استنباط الأحكام والمعاني والفوائد من القرآن الكريم بأدلة منها :

١- الآيات التي جاءت تحت على تدبر القرآن الكريم ، كما قال تعالى: ﴿كَابُ أُنزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٤) ، والتدبر اجتهاد لفهم المعنى .

(١) سورة الأنعام الآية : ١٤

(٢) أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن ص ٢٤٥ ، والبيهقي في الشعب رقم ١٦٨٢ ، وقال صاحب المقدمات الأساسية سنده حسن ، ص ٣٠٩ .

(٣) أخرجه للحاكم ح رقم ٢٨٤٥ ، وقال صحيح الإسناد .

(٤) سورة ص الآية : ٢٩

٢- اقرار النبي ﷺ لمعاذ أن يجتهد رأيه فيما لم يجد فيه شيء من الكتاب والسنة ، فعن معاذٍ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : كَيْفَ تَصْنَعُ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟ قَالَ : أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ . قَالَ : فَيَسْتَنُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ . قَالَ : أَجْتَهُدُ رَأْيِي لَا أَلُو . قَالَ : فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ » (١) .

٣- واستدلوا بدعاء النبي ﷺ لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » (٢) .

فلو كان تفسير القرآن كله مبني على النقل ، وليس فيه مجال للاجتهاد والنظر والاستنباط ؛ لما كان لابن عباس فضيلة على غيره . ولكن ينبغي أن يكون الرأي والاجتهاد فيما لا مجال للنص فيه ، وليس للنبي ﷺ فيه قول قاطع ، ولا بد أن يكون ممن كان أهل للاجتهاد ، ممن عرف لغة القرآن ، وألم بقواعد الشرع وأصوله .

ب - الرأي المذموم : هو تفسير القرآن بمجرد الرأي والهوى (٣) ، وهو مذموم لأنه قول على الله بغير علم في كلام الله ، وهو من كبائر الذنوب ،

(١) رواه أحمد في المسند ح رقم ٣١٠٠٠ ، سنن الترمذي ح رقم ١٢٤٩ ، والنسائي ح رقم ٥٣٠٤ ، وأبو داود ح رقم ٣٦١٩ ، وإسناده جيد .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٢١

(٣) انظر دراسات في علوم القرآن ، للرومي ص : ١٥٩

ومن أعظم ما نهى الله عنه ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

ولما روى عن النبي ﷺ : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »^(٣) ، وكل الأدلة التي جاءت عن النبي ﷺ وما نقل عن الصحابة في ذم الرأي إنما المراد به هذا النوع من أنواع الرأي وهو الرأي المذموم .

سابعاً : أهم كتب التفسير :

نذكر هنا أمثلة لكتب في التفسير اجتمعت فيها كل طرق التفسير الصحيح أو غالبها ، وذلك لأنها قامت على منهج سليم والأخذ منها أولى من غيرها ؛ حتى يستطيع الإنسان أن يميز بعد ذلك وهو يقرأ في الكتب الأخرى المفيدة لكنها لم تخلُ من ملاحظات عليها :

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للإمام أبي جعفر محمد بن جرير

الطبري المولود سنة "٢٢٤ هـ" والمتوفى في بغداد سنة "٣١٠ هـ" ، وهو من

(١) سورة الإسراء الآية : ٣٦

(٢) سورة الأعراف الآية : ٣٣

(٣) رواه أحمد في المسند ١/٢٣٣ ، ٢٦٩ ، والترمذي رقم ٢٩٥٠ ، والنسائي رقم ٤٠٨٤ ،

٤٠٨٥ ، والطبراني في الكبير ١٢٩٢ ، وقال الترمذي : حديث حسن .

أفضل كتب التفسير وأجمعها ؛ لأنه غلب عليه التفسير بالمأثور ، وأضاف إلى ذلك اجتهادات ، وتحقيقات قيمة وهو شيخ المفسرين ، وإمامهم ، ومن أبرز ما تميز به تفسيره ما يلي :

١- اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالمأثور عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين فهو من أكثر الكتب التي جمعت أقوالهم .
٢- التزامه بالإسناد في الرواية في جميع الأحاديث والآثار ، ولا يحكم عليها في الغالب .

٣- عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح بينها بعد النقد الدقيق لكل قول .

٤- ذكره لوجوه الإعراب مع عناية فائقة باللغة وجعلها مصدراً أساسياً للتفسير .

٥- ذكره لأوجه القراءات والتوجيه بينها .

٦- دقته في استنباط الأحكام الشرعية .

٧- مما يزيد من مميزات هذا الكتاب أن صاحبه من أعلم علماء زمانه كما قال ابن خزيمة : « ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير » فهو عالم قرآن ، وحديث ، وتاريخ ، وفقه .

٨- وكذلك من أبرز مميزات هذا الكتاب أنه خلا من البدع .

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي »^(١) .

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٨/١٣ .

٢- معالم التنزيل : للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

المتوفى سنة ٥١٦هـ ، وقد تميز هذا التفسير بعدة مميزات من أبرزها :

١- اعتماده في التفسير على المأثور عن السلف .

٢- اعتناؤه بأوجه القراءات .

٣- اعتماده على اللغة كثيراً في تفسيره .

٤- خلا من البدع والأحاديث الموضوعية .

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن تفسير الزمخشري والقرطبي ، والبغوي ؟ فقال : «أسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي ؛ لكنه مختصر من تفسير الثعلبي ، وحذف منه الأحاديث الموضوعية والبدع التي فيه ، وحذف أشياء غير ذلك» (١) .

٣- تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ أبو الفداء عماد الدين بن

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي نسباً الدمشقي مولداً ، ولد سنة ٧٠١هـ

وتوفي سنة ٧٧٤هـ ، وكان إماماً في التفسير ، والحديث ، والتاريخ ،

وتفسيره هذا يلي تفسير ابن جرير في المرتبة ، قال عنه الشوكاني : « هو

من أحسن التفاسير؛ إن لم يكن أحسنها» (٢) .

ومن أبرز ما تميز به ما يلي :

(١) المرجع السابق

(٢) التفسير والمفسرون ، للذهبي ، ج ١ / ٢٤٤

- ١- اعتماده تفسير القرآن بالقرآن كمصدر أول للتفسير ، يليه تفسير القرآن بالسنة ، ثم بأقوال الصحابة ، ثم بأقوال التابعين .
- ٢- اهتمامه باللغة وعلومها ، واعتبارها مصدر من أهم مصادر التفسير .
- ٣- تمسكه بعقيدة السلف الصالح في كلامه على آيات العقيدة ، خاصة آيات الأسماء والصفات .
- ٤- اهتمامه بذكر أسانيد الأحاديث ونقدها ، خاصة الروايات والآثار الموقوفة والمقطوعة من كلام الصحابة والتابعين .
- ٥- اهتمامه بذكر اختلاف القراءات وأسباب النزول .
- ٦- اهتمامه بتحقيق أقوال المفسرين والترجيح بينها .
- ٧- اهتمامه بذكر المعاني الإجمالية للآيات .
- ٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : للإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ولد سنة ١١٧٣هـ بهجرة شوكان في اليمن ، وتوفي عام ١٢٥٠هـ ، وقد نشأ في بيت علم ؛ حيث كان والده من قضاة صنعاء ، وتلمذ على يد علمائها حتى صار مجتهداً ، وكان يتبع المذهب الزيدي في الأحكام ، ويتمسك بمنهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ، وعرف باتباعه لمنهج الدليل والعودة إلى الكتاب والسنة، وترك التقليد ، وقد تميز تفسيره هذا بعدة مميزات أبرزها :
 - ١- تفسيره للقرآن بالقرآن ثم للقرآن بالسنة ، مع توضيحه لدرجة الأحاديث النبوية من حيث الصحة والضعف .

- ٢- اعتنى بذكر أقوال السلف ، وتوجيهها ، وأحياناً الترجيح بينها .
- ٣- قلة ذكره للإسرائيليات ، وإذا ذكرها في الغالب ما يحذر منها ، ويرد عليها .
- ٤- اعتنى بذكر الروايات الواردة في أسباب النزول ، مع اعتماده الصحيح ، ورده للضعيف .
- ٥- اعتنى بذكر أوجه القراءات ، ومن قرأ بها مع توجيهها من حيث الإعراب والمعنى .
- ٦- اعتنى بأوجه الإعراب ، ومع توجيه المعنى لكل وجه .
- ٧- اعتنى بتوضيح عقيدة أهل السنة والجماعة ، والرد على الطوائف والفرق المخالفة .
- ٨- اعتنى بالأحكام الفقهية مع ذكر بعض القواعد الأصولية .
- ٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : للعلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ ، من أفضل التفاسير المعاصرة ، وأنفعها ومن أبرز مميزاته ما يلي :
- ١- اعتنى بإيضاح القرآن بالقرآن كما هو واضح من مسماه ، والتزم أن لا يبين القرآن إلا بقراءة ثابتة متواترة .
- ٢- اعتنى بتوضيح الأحكام الفقهية حتى أخذ كتابه طابع الكتب الفقهية في بعض المواقع ، وله دقة في الاستنباط والمناقشة والترجيح وقوة الاستدلال .

٣- اعتنى بصورة كبيرة بجوانب اللغة العربية ، وشواهد الشعر ، و ما يحتاج إليه من صرف وإعراب .

٤- اعتنى بالمسائل الأصولية ، والكلام على أسانيد بعض الأحاديث .

٥- اعتنى بجوانب العقيدة الصحيحة ، والحرص على منهج الاستدلال واتباعه لأحسن طرق التفسير .

إلا أنه لم يكمله إنما انتهى عمله فيه عند سورة المجادلة وقام بإكماله تلميذه عطية محمد سالم.

٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : للشيخ عبد الرحمن بن

ناصر آل سعدي المتوفى سنة ١٣٧٦هـ بمدينة عنيزة ، وهو من العلماء البارزين ، وصاحب مصنفات علمية قيمة ، و يعد تفسيره هذا من التفاسير القيمة ، وقد تميز بالآتي :

١- مال فيه إلى الإيجاز ووضوح العبارة، وسهولة المعنى .

٢- يتجنب ذكر الخلاف إلا نادراً، ويهتم بالأقوال الراجحة من أقوال المفسرين .

٣- سار على منهج السلف في العقيدة، ويعتني بهذا الجانب في تفسيره بعبارات بليغة تزيد من معرفة المسلم بربه، وعظمته ، وجلاله .

٤- له دقة في استنباط الفوائد والأحكام والحكم .

٥- اعتنى بذكر المعنى الإجمالي للآيات .

وقد اكتفيت بهذه الكتب لأنها الأهم لطلابنا المبتدئين في هذا العلم ؛ ولأنها قامت على منهج سليم ، وينبغي لكل متعلم للقرآن أن يبدأ بها أو ببعضها، والمجال لايسع للحديث عن كل كتب التفسير ومناهج جميع المفسرين .

ثامناً- شروط المفسر :

لعظمة القول في كلام الله ﷻ ؛ وحتى لا يفسر القرآن من ليس أهل لتفسيره ، أو تبع للهوى وضع العلماء شروطاً للمفسر منهم من توسع فيها ، ومنهم من اختصر ، ومن أبرزها ما يلي :

١- صحة الاعتقاد :

وذلك بمعرفة عقيدة السلف الصالح التي كان عليها النبي ﷺ خاصة المسائل التي كثر فيها الخلاف بين الفرق الإسلامية كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغلاة المتصوفة ، وذلك لأن أهل الأهواء حاولوا أن يحملوا ألفاظ القرآن حسب عقائدهم الفاسدة فضلوا ضلالاً ميبئاً .

٢- سلامة المنهج :

وهو أن يكون مرجع الإنسان في تفسير القرآن الطرق التي وضعها العلماء من تفسير القرآن بالقرآن ، ثم تفسير القرآن بالسنة ، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة ، ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين ، ثم الاجتهاد وفق قواعد اللغة وروح الشرع ومقاصده، بعيداً عن البدعة ملتزماً بالسنة ، ناصراً لها ، سائراً على طريق الطاعة، متجرداً عن الهوى، مبتغياً وجه الله .

قال الزركشي رحمه الله : « وأعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة ، أو إصرار على ذنب ، أو في قلبه كبر ، أو هوى ، أو حب الدنيا ، أو يكون غير محقق للإيمان ، أو ضعيف الإيمان ، أو معتمداً على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهرٍ أو يكون راجعاً إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع ، وبعضها أكد من بعض »^(١) .

٣- أن يكون عالماً بالقرآن :

وذلك بما يمكنه أن يفسر القرآن بالقرآن ، ويرد المتشابه إلى المحكم ، وأن يكون عنده علم بأوجه القراءات .

٤- أن يكون عالماً بالسنة :

أي يكون عالماً بالسنة رواية ودراية ، أي مميزاً بين الصحيح من الضعيف في الروايات ، له مقدرة على فقه الأحاديث النبوية ، وذلك حتى لا يفسر القرآن برأيه ، ويكون للنبي ﷺ قول فيه ، أو يفسر القرآن بأحاديث موضوعة وضعيفة ، أو بفقهاء معوج .

٥- أن يكون عالماً باللغة العربية :

لأنه لا يمكن أن يفسر القرآن من يجهل لغة القرآن الكريم ؛ خاصة علم المعاني ، والبيان والبديع والنحو والصرف ، عارفاً بمعاجم اللغة وأساليبها وفنونها .

(١) البرهان ١٨٠/٢ - ١٨١ .

٦- أن يكون عالماً بأصول التفسير :

وذلك لأن أصول التفسير من العلوم الأساسية للمفسر ، خاصة العلوم التي أكد العلماء على أهميتها للمفسر وهي علم النسخ والمنسوخ ، والمكي والمدني ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، وأسباب النزول وغير ذلك مما لا غنى للمفسر عنها .

فهذه شروط لاغنى لمفسرٍ لكلام الله ﷻ عنها، بقدر ما ينقص منها من شروط بقدر ما يضعف عمله أو تفسيره، وربما يتحرف في فهمه لآيات هذا الكتاب العزيز .

فهرست المراجع

- ١- أحكام القرآن ، لأبي بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط: دار الكتب العلمية: بيروت: لبنان ، ط١ . انظر صفحة ٧٧٧ .
- ٢- أسباب النزول أبي الحسين علي بن أحمد ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م تحقيق ودراسة كمال نسريني زغلو .
- ٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري ، ط: دار الفكر : بيروت .
- ٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ، ط: دار الكتاب العربي : بيروت ، ط ٩ سنة ١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م .
- ٥- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .
- ٦- السبداية والسنهاية للحافظ ابن كثير، ط: دار هجر: جيزة، ط ١ سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٧- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار الفكر ، ط ٣ سنة ١٤٠٠هـ .

٨ - التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي ، ط: دار إحياء التراث

العربي : بيروت ، ط ٢ سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٩- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ط: دار الكتاب العربي،

القاهرة ١٣٨٧هـ .

١٠- السنن الكبرى للإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط:

دائرة المعارف العثمانية بمجيد آباد، الهند، نشر دار المعرفة: بيروت: ط ١

سنة ١٣٥٤هـ .

١١- الصحيح المسند من أسباب النزول ، الشيخ عصام بن عبد المحسن

الحمدان ، ط: مؤسسة الريان : بيروت : لبنان ، ط ١ سنة ١٤٢٠هـ -

١٩٩٩م .

١٢- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية شمس ابن محمد

بن أبي بكر، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط: دار الكتب العلمية : بيروت .

١٣- القاموس المحيـط ، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي، ط: مكتبة دار الباز - مكة ، طبعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م .

١٤- الكشاف للزمخشري ، ط: دار المعرفة : بيروت ، لبنان .

١٥- المدخل لدراسة القرآن الكريم للشيخ محمد بن محمد أبو شهبه ،

ط : مكتبة السنة، القاهرة ، ط ١ سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

١٦- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي ، ط: دار صادر: بيروت، ط: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

١٧- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، ط: دار الفكر ، بيروت ، ط: ١٣٠٨هـ - ١٩٧٨م .

١٨- المصاحف لأبي داود السجستاني ، ط: دار الباز - مكة ، ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ .

١٩- المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير ، إعداد جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، ط: دار السلام ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط ١ رجب ١٤٢٠هـ .

٢٠- المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع ، ط: مؤسسة الريان ، بيروت ، ط: ١٤٢٢هـ .

٢١- المقنع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: محمد أحمد دهان، ط: دار الفكر ، دمشق سنة ١٤٠٣هـ .

٢٢- الموافقات للإمام للشاطبي .

٢٣- النهاية في غريب الحديث والأثر المبارك محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني المشهور بابن الأثير ، ط : دار إحياء التراث العربي : بيروت : لبنان .

٢٤- الهدى والبيان في أسماء القرآن للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ، ط: المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، ط ١ سنة ١٣٩٧هـ .

٢٥- الواضح في علوم القرآن تأليف د. مصطفى ديب البغا ، محي الدين ديب مستو ، ط: دار الكلم الطيب : دمشق ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٩٦م ، ص ١٧٤ ، يراجع كلام الزركشي .

٢٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري ، ط: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، ط ٣ سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٢٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط: المكتبة العلمية، بيروت : لبنان .

٢٨- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي ، ط : دار إحياء التراث العربي : بيروت : لبنان .

٢٩- تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ط : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ، ط ١ سنة ١٣٢٥هـ .

٣٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد

الرحمن بن ناصر السعدي ، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط ١

سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لمحمد بن جرير الطبري .

٣٢- دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري ، محمد

خليل ، ط: مؤسسة الرسالة : بيروت : لبنان ، ط ١ سنة ١٤٢١هـ -

٢٠٠١م .

٣٣- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد

الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط: المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٤

سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، ط :

المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط ٤ سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٥- سنن ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد

فؤاد عبد الباقي ط : المكتبة العلمية ، بيروت .

٣٦- سنن أبو داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط:

دار الجليل: بيروت.

٣٧- سنن الترمذي محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد

شاكر ، مصطفى بابي الحلبي - مصر .

٣٨- سنن الدارمي للإمام أبو محمد عبد الله عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، نشر دار إحياء السنة النبوية .

٣٩- سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان، ط : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٤٠- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي .

٤١- شرح السنة للإمام البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط: المكتب الإسلامي :دمشق .

٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن حمد بن العماد الحنبلي ، دراسة وتحقيق : مصطفى

عبد القادر عطا، ط : دار الكتب العلمية ، ط ١ سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

٤٣- شعب الإيمان للإمام البيهقي ، تحقيق : د . عبد العلي عبد الحميد

حامد، ط: الدار السلفية ، بومباي - الهند ، ط ١ سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٤٤- صحيح البخاري الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم،

تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : رئاسة إدارة البحوث العلمية

والإفتاء والإرشاد - الرياض ١٤٠٠هـ .

٤٥- صحيح ابن حبان للحافظ محمد بن حبان بن معاذ ، ط : دار

الكتب العلمية بيروت - لبنان .

- ٤٦- صحيح مسلم ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٠ هـ .
- ٤٧- صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام يحيى بن شرف النووي ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٤٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود للإمام محمد اسحق العظيم أبادي ، ط : دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٤٩- قواعد التفسير ، لخالد عثمان السبت ، ط : دار ابن عفان - الخبر - المملكة العربية السعودية ، ط ١ سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- ٥٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط : دار السلام ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٥١- فتح البر في الترتيب الفقهي تمهيد ابن عبد البر ، ط : مجموعة التحف والنفائس الدولية ، الرياض ، ط ١ سنة ١٤١٦ هـ .
- ٥٢- فتح القدير أحمد بن علي الشوكاني ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ، ت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٥٣- فضائل القرآن للحافظ ابن كثير ، تحقيق : د. محمد إبراهيم البناء ، ط : دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة ، ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٥٤- فضائل القرآن لابن الضريس .

٥٥- فنون الأفتان في علوم القرآن لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي،

تحقيق : د. حسن ضياء الدين عتر ، ط : دار البشائر الإسلامية ، بيروت -

لبنان ، ط ١ سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
المبحث الأول : تعريف علوم القرآن الكريم	٩
١ - تعريف علوم القرآن الكريم	١١
أ - في اللغة	١١
ب - في الاصطلاح	١٢
٢ - الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي	١٤
أ - تعريف الحديث النبوي	١٤
ب - تعريف الحديث القدسي	١٥
ج - الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي	١٧
٣ - أسماء القرآن الكريم وأوصافه	١٩
أ - عدد أسماء القرآن الكريم	١٩
ب - بعض أسماء القرآن الكريم	٢٠
ج - بعض صفات القرآن الكريم	٢١
د - الحكمة من تعدد أسماء القرآن الكريم وأوصافه	٢٢
٤ - تعريف علوم القرآن الكريم	٢٣
أ - تعريف علوم القرآن بالمعنى العام	٢٣

٢٤	ب - تعريف علوم القرآن بالمعنى الخاص كـ «فن مدون» ...
٢٤	ج - أهمية تعليم علوم القرآن الكريم
٢٧	المبحث الثاني : علوم القرآن عبر التاريخ "النشأة والتطور".
٢٩	أ - فترة ما قبل التدوين
٢٩	١- في عهد النبي ﷺ
٣٠	٢- في عهد الصحابة رضوان الله عليهم
٣٣	٣- في عهد التابعين
٤٠	ب - عهد التدوين
٤١	١- القسم الأول: التدوين في علم واحد من علوم القرآن
٤٥	٢ - القسم الثاني: التدوين في علوم القرآن " كفن مدون"
٤٨	٣ . المؤلفات في العصر الحديث
٥٣	المبحث الثالث : فضائل القرآن الكريم وآداب تعلمه ...
٥٥	أ- فضائل القرآن الكريم
٥٦	١- القرآن في الملأ الأعلى
٥٦	٢ - القرآن عند نزوله
٦٠	٣ - أوصاف القرآن الكريم
٦٢	٤- تلاوة القرآن وتعلمه
٦٦	٥- منزلة أهل القرآن

٦٨	٦ - أحكام القرآن وهدية
٧٠	٧ - التحذير من هجر القرآن
٧٣	ب - فضائل بعض سور القرآن
٧٥	ج - فضائل بعض آيات القرآن
٧٦	د - آداب تعلم القرآن الكريم
٨٧	المبحث الرابع : خصائص القرآن الكريم
٨٩	١ - القرآن كلام الله
٩٢	٢ - تعدد نزول القرآن وحروفه
٩٣	٣ - تعهد الله بحفظ كتابه
٩٦	٤ - القرآن معجزة الرسالة
١٠٧	٥ - شمولية خطاب القرآن
١٠٩	٦ - القرآن شفاء للناس
١١٠	٧ - شفاعة القرآن لأهله يوم القيامة
١١١	٨ - قوة تأثير القرآن في النفوس
١١٢	٩ - تعدد فضائل القرآن
١١٣	١٠ - خصائص متعددة متعلقة بالقرآن
١١٥	المبحث الخامس : جمع القرآن الكريم
١١٨	النوع الأول : جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور
١١٨	أ - حفظ النبي ﷺ للقرآن

- ١٢٠ ب - حفظ الصحابة ومن بعدهم للقرآن
- ١٢٩ ج - حكم حفظ القرآن الكريم
- ١٢٩ د - خصائص جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور
- ١٣٠ النوع الثاني : جمع القرآن بمعنى حفظه في السطور
- ١٣٣ أ - جمع القرآن بمعنى كتابته في عهد النبي ﷺ
- ١٣٣ • كتاب الوحي
- ١٣٣ • وسائل الكتابة
- ١٣٤ • مميزات جمع القرآن في عهد النبي ﷺ
- ١٣٥ • أسباب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ
- ١٣٧ ب - جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ
- ١٣٧ • أسباب الجمع
- ١٤٠ • أسباب اختيار زيد بن ثابت لهذا الجمع
- ١٤٢ • منهج جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ
- ١٤٣ • مميزات جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ
- ١٤٤ • مصير هذه الصحف
- ١٤٥ ج - جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان ﷺ
- ١٤٥ • أسباب الجمع
- ١٤٨ • المكلفون بجمع القرآن

- ١٥٠ • أسس جمع عثمان ﷺ
- ١٥١ • مميزات جمع عثمان ﷺ
- ١٥٢ • عدد المصاحف التي أمر عثمان بنسخها
- ١٥٥ • أسباب اشتراط التلقي للقرآن من أفواه القراء
- ١٥٦ • مصير هذه المصاحف العثمانية
- ١٥٦ • وجه فعل عثمان بجمع الناس علي حرف واحد
- ١٥٨ • الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ﷺ
- ١٦١ المبحث السادس : ترتيب القرآن
- ١٦٣ أولاً : ترتيب آيات القرآن
- ١٦٣ ١- تعريف الآية
- ١٦٣ أولاً : في اللغة
- ١٦٤ ثانياً : في الاصطلاح
- ١٦٥ ثالثاً : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي
- ١٦٥ ٢- اطلاقات الآية عند العلماء
- ١٦٧ ٣- عدد آيات القرآن الكريم
- ١٦٧ ٤- سبب الاختلاف في عدد الآيات
- ١٦٨ ٥- طرق معرفة رؤوس الآي
- ١٧٢ ٦- ترتيب الآيات في سورها
- ١٨٠ ٧- فوائد معرفة الآية
- ١٨٢ ثانياً : ترتيب السور

١٨٢	١- تعريف السورة
١٨٢	أولاً : في اللغة
١٨٣	ثانياً : في الاصطلاح
١٨٤	٢- أسماء السور
١٨٤	أولاً : مصدر التسمية
١٨٧	ثانياً: دلالات أسماء السور
١٨٨	ثالثاً : أسماء السور من حيث تعدد الاسم وعدمه
١٩٠	٣ - طريق ترتيب السورة
١٩٠	٤ - عدد سور القرآن
١٩١	٥ - أسباب ترك البسملة في سورة براءة
١٩٤	٦- أقسام السور
١٩٥	٧- ترتيب السور
٢٠٥	٨ - الحكمة من تقسيم القرآن الكريم إلى سور
٢٠٩	المبحث السابع : المكي والمدني من القرآن الكريم
٢١١	١- أهمية علم المكي والمدني
٢١٢	٢- عناية العلماء بالمكي والمدني
٢١٥	٣ - تعريف المكي والمدني
٢١٦	٤- طريق معرفة المكي والمدني
٢١٨	٥- الضوابط التي يميز بها المكي والمدني

٢٢٠	٦- الخصائص الموضوعية للمكي والمدني.....
٢٢٢	٧- السور المكية والمدنية والمختلف فيها.....
٢٢٤	٨- أنواع السور المكية والمدنية.....
٢٢٥	٩- أنواع تتعلق بالمكي والمدني.....
٢٢٦	١٠- فوائد العلم بالمكي والمدني.....
٢٣١	المبحث الثامن: أسباب نزول القرآن.....
٢٣٣	أسباب نزول القرآن.....
٢٣٣	١- أقسام نزول القرآن.....
٢٣٤	٢- تعريف سبب النزول.....
٢٤١	٣- عناية العلماء بأسباب النزول.....
٢٤٣	٤- طريق معرفة سبب النزول.....
٢٤٥	٥- الألفاظ الدالة على سبب النزول.....
٢٤٧	٦- تعدد الروايات في سبب النزول وموقف المفسر منها.....
٢٥١	٧- تعدد النازل والسبب واحد.....
٢٥٢	٨- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.....
٢٥٤	٩- فوائد معرفة أسباب النزول.....
٢٦١	المبحث التاسع: التفسير والمفسرون.....
٢٦٣	١- تعريف التفسير.....

٢٦٣ أ - في اللغة
٢٦٣ ب - في الاصطلاح
٢٦٤ ج - مفهوم التفسير والتأويل عند السلف
٢٦٥ ٢ - الحث على تدبر القرآن
٢٦٨ ٣ - فوائد تدبر القرآن الكريم
٢٧٣ ٤ - الأسباب المعينة على تدبر القرآن
٢٩١ ٥ - أسباب اختلاف درجات العلماء في فهم آيات الكتاب
٢٩٣ ٦ - طرق تفسير القرآن الكريم :
٢٩٤ ١ - تفسير القرآن بالقرآن
٢٩٥ ٢ - تفسير القرآن بالسنة
٢٩٨ ٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة
٣٠١ ٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين
٣٠٢ ٥ - تفسير القرآن وفق لغة العرب
٣٠٣ ٦ - تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد
٣٠٥ ٧ - أهم كتب التفسير
٣١١ ٨ - شروط المفسر
٣١٥ فهرست المراجع